الجزء الثاني — المجلد الحادي والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٦ — ١٩ شعبان سنة ١٣٧٥

مجموعة ابن النقيب
أو
بواكير الحدائق والعرف

صاحب هذه المجموعة عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن النقيب وبابن حمزة الحسيني فتى من فتيان الشعر والأدب ، جمع الى صحة الطبع سعة الاطلاع وحسن الاختيار ؛ ولقد سبق لنا أن عرّفنا بديوانه في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣ ج ١ م ٣١) ونريد أن نعرّف في هذا الجزء بمجموعته المشتملة على مختارات من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض .

هذه المجموعة مخطوطة لا تزال في المسودة ، مكتوبة بقلم جامعها السيد عبد الرحمن ، نفسه كما يدل على ذلك ما ورد في أعلى الصفحة الأخيرة من المجموعة وهو قوله : (لكاتبه عبد الرحمن الحسيني) وقد خلت من العنوان والمقدمة

والخاتمة ، كما أن بعض أبوابها لم يكمل بعد ، أو لا يزال أبيض لم يكتب به شيءٌ ، وذلك لأنّ صاحبها توفي شاباً قبل أن ينتهي من جمعها .

وعدد صفحات هذه المجموعة ١٥٦ صفحة (طول الصفحة ٢٠ مم وعرضها ١٣ مم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين صقيل ، إلا عناوين الأبواب فانهـا مكتوبة بالحمرة ، وكذلك أول كلمة من كل كلام جديد ، ونقط الفصل ، فانها بالحمرة أيضاً ؛ وطريقة الكاتب في الكتابة أن يضع قبل مقول القول - أي في المكان الذي نضع فيه نقطتين متراكبتين - دائرة حمراء في صدرها نقطة حمراء ، وأن يضع بعد صدر كل بيت وبعد عجزه نقطة حمراء .

لما توفي صاحب هذه المجموعة سنة ١٠٨١ هـ كان له طفل اسمه سعدي [١] لم يبلغ السادسة من عمره ، فحفظتْ له هذه المجموعة ، حتى إذا بلغ أشده ودفعتْ اليه كتب على الصفحة الثالثة عشرة منها ما نصه : (من كتب الفقير الى عفو ربه المنان محمد سعدي بن عبد الرحمن الحسيني الحنفي . في منتصف سنة ١٠٩٥) ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يزيد على الأصل في بعض الأمكنة الخالية من الصفحات ، ولحسن الحظ كانت زياداته قليلة وكان خطه يختلف اختلافاً بيناً عن خط والده ، فضلاً عن أنه لم يتقيد بطريقة والده في الكتابة وتلوين المداد . وكأنه تبين له فيما بعد أنه لم يكن مصيباً في عمله فشطب على طائفة مما كتب .

ثم انتقلت هذه المجموعة بعد زمن طويل الى السيد عمر زيتونة فكتب على ظاهر الورقة الأولى : (في نوبة الحقير العاجز عمر بن ابراهيم زيتونة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٣) وانتقلت منه الى السيد محمود حمزة مفتي الشام وهي الآن محفوظة عندنا .

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . سلك الدرر للمرادي ٢/٥٦

تشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض ، أكثرها في وصف محاسن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار ، وتصوير الجمال والترف والنعيم والصبوة واللهو والشراب ومجالس الأنس والطرب ، وما الى ذلك من متع الحياة ومباهجها ؛ وهذه عناوين المجموعة كما كتبها جامعها بيده :

١ — في فوّارة الماء
٢ — جريان ماء الأودية
٣ — ماء البئر
٤ — في الحمام وما ينضاف اليها
٥ — ماء النيل
٦ — ماء دجلة والفرات
٧ — في البساتين
٨ — في الوديان
٩ — في الدور والقصور
١٠ — في الشموع
١١ — في المداخن
١٢ — في البخور
١٣ — في الكوانين
١٤ — في أنواع الطيب
١٥ — في نفس الحبيب وريقه
١٦ — في نور الكتان
١٧ — في نور الباقلا
١٨ — في الزرع وسنبله
١٩ — في الأرجوان
٢٠ — في السفرة والطعام
٢١ — في الحمّام
٢٢ — نزعة في الحسن
٢٣ — نزعة في نعومة البشرة
٢٤ — في الغمز والرمز والايماء
٢٥ — نزعة في الايماء المعنوي
٢٦ — في لمع الأسرة
٢٧ — في الابتسام
٢٨ — في الحديث والمناجاة والسرار
٢٩ — في السرر والأعكان
٣٠ — في الأعقاب والكراسع
٣١ — في رقة الطبع والفهم
٣٢ — في الدل ورخامة النغمة
٣٣ — في الخجل
٣٤ — في التقبيل والعض والتجميش
٣٥ — في العناق
٣٦ — في العفاف

(١) عيد من اعياد الفرس .
(٢) هذا الفصل نثر .

٧٧ – في السفرجل

٧٨ – في تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكره بها

٧٩ – في النور والكمائم

٨٠ – في العناب

٨١ – في الشجر على اطلاقه

وطريقته في التدوين أن يذكر المصدر الذي اختار منه ، وبذلك تمكنا من إحصاء مصادره نقلاً عنه وهي :

١ – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني

٢ – مناهج الفكر ومباهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط الكتبي الوراق

٣ – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام

٤ – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

٥ – من غاب عنه المطرب له

٦ – تتمة اليتيمة له

٧ – مركز الإحاطة للسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب

٨ – قطب السرور لأحمد بن القاسم المعروف بالرقيق النديم

٩ – عنوان المرقصات لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي

١٠ – المرقص والمطرب له

١١ – المغرب في محاسن أهل المغرب له

١٢ – حديقة المنادمة وطريقة المناسمة

١٣ – كتاب الديرة للسري الرفاء

١٤ – قلائد العقيان للفتح ابن خاقان

١٥ – المسهب في أخبار أهل المغرب للحجاري

١٦ — الأوائل لأبي هلال العسكري
١٧ — المحب والمحبوب للسري الرفاء
١٨ — ازدهار الأزهار للتيفاشي
١٩ — ديوان ابن المعتز
٢٠ — نزهة العيون لليافعي
٢١ — رياض الأزهار للشقاشي
٢٢ — نفح الطيب للمقري
٢٣ — لمح الملح لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري
٢٤ — التحقيق في شراء الرقيق
٢٥ — الكنايات للجرجاني
٢٦ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي
٢٧ — ديوان ابن خفاجة الأندلسي
٢٨ — وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٩ — تباشير السرور لابن المعتز
٣٠ — دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي
٣١ — مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن خاقان
٣٢ — شرح مقامات الحريري للشريشي
٣٣ — حماسة ابن الشجري
٣٤ — الحماسة لأبي تمام الطائي
٣٥ — مجمع الأمثال للميداني
٣٦ — زهر الآداب للحصري
٣٧ — الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني
٣٨ — العقد لابن عبد ربه
٣٩ — الكناية والتعريض للثعالبي

وهذه أمثلة مختصرة من المجموعة تدل على صحة الذوق وحسن الاختيار ؛
ورد في باب فوّارة الماء ما يأتي :

«علي بن الجهم أنشدها له صاحب المحاضرات :

وفوّارةٍ ثأرها في السماء فليست تقصّر عن ثارها
تردّ على المزن ما أسبلتْ على الأرض من فيض مدرارها

ولبعض الأندلسيين أنشدها المقري وإخاله أنشدها من المناهج ، يصف بركة عليها عدة فوارات :

غضبتْ مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفيّ مضمرِ
وكأنّ نبع الماء من جنباتها والعين تنظر منه أحسن منظر
قضبٌ من البلور أثمر فرعها لما انتهت باللؤلؤ المتحدر»

وورد في باب الحمام وما ينضاف اليها ما يأتي :

«ابو الحسن علي بن حصن الاشبيلي أنشدها له صاحب الذخيرة :

وما راعني إلاّ ابن ورقاء هاتفاً على فنن بين الجزيرة والنهرِ
مفستق طوقٍ لازوردي كلكلٍ موشّى الطلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤٍ وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديد شبا المنقار داجٍ كأنه شبا قلمٍ من فضةٍ مُدّ في حبر
توسّد من فوق الأراك أريكةً ومال على طيّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعي مراقاً أرابه بكائي فاستولى على الغصن النضر
وحثّ جناحيه وصفّق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال يوسف بن هارون الرمادي : بكرت إلى أبي المطرف بن المثنى وألفيت قد بكر قبلي ابن هذيل ، فقال لي ماعندك ؟ فقلت ليس عندي كبير معنى ، ولكن ماعندك أنت ؟ فأخرج من كمه قصيدته التي يقول فيها في صفة الحمامة :

ومرنـّـةٍ والدجن ينسج فوقها بردين من نورٍ وظلٍّ باكِ
مالتْ على طيٍّ الجناح وإنمـا جعلتْ أريكتها قضيب أراك
وترنمتْ لحنـينٍ قد حلّتها بغنـاء مسمعةٍ وأنّـة شاك
ففقدتُ من نفسي لفرط تلهفي نفس الحياة وقلت من أبكاك ؟

فأنشدنيها وأنا أعد محاسنها فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف الى المكتب وتأدب حتى تحكم مثل هذا . فكأنه حركني ؛ واتفق انه لم يخرج أبو المطرف ذلك اليوم . فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في صفة الحمامة :

أحمامةً فوق الأراكة بيّني بحياة من أبكاك ، من أبكاكِ ؟
أما أنا فبكيت من حرق الهوى وفراق من أهوى ، فأنت كذاك ؟

فلما سمعني ابن هذيل قال عارضتني ، قلت لا والله بل ناقضتك ؛ قال فاذهب فقد أخرجتك من المكتب .

وقال على هذه العروض والقافية أبو مروان المعروف بالبلينة من قصيدة أولها :

يوم العقيق غدوتُ من قتلاكِ لما رمت بسهامهـا عيناكِ

ثم قال في صفة الحمامة :

أحمامةً بكت الهديل وانمـا طربتْ فغنتْ فوق غصن أراكِ
معشوقة التفويف ذات قلائدٍ غنيتْ جواهرها عن الأسلاك
ناحت على غصنٍ وكل شجٍ بكى يوماً بلا دمع فليس بباك
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيةً جادت دموعك حين جدّ بكاك »

وورد في باب العفاف ما يلي :

« الشريف الرضي » اخترت له من أبيات في العفاف أنشدها صاحب الذخيرة :

بتنا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقىً يلفنا الشوق من فرعٍ إلى قدمِ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي   مواقع اللثم في داجٍ من الظلم
وبانت الريح كالغيرى تجاذبنا   على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة   حتى تكلم عصفورٌ على علم
فقمت أنفض ثوباً ما تعلقه   غير العفاف وراء الغيب والكرم

وأنشد لأبي الوليد بن حزم :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني   ولا رقبةٌ دون الأماني ولا سترُ
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانةٍ   يود مكاني بين لباته البدر
وفي لحظه كالسكر لا من مدامةٍ   ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
وقد سلبته الراح سورة كبره   ومال على عطفيه وانقطع العذر
فلم يك إلا ما أباح لي التقى   ولم يبق إلا أن تحل ليَ الخمر »

وفي باب الفِدام « روى ابن بسام قول الرضي :

ولما وقفنا بالسراة غديةً   وقوفاً لتوديعٍ وردّ سلامِ
تلثم مرتاباً بفضل ردائه   فقلت هلالٌ بعد بدر تمام
وقبلته فوق اللثام فقال لي   هي الخمر إلا أنها بفدام »

وورد في باب النور والكمائم ما يأتي :

« ابو اسحق ابرهيم بن خفاجة أنشدها له صاحب الذخيرة وذكرناها في غير هذا الموضع عن صاحب المرقص :

وكمامةٍ حدر الصباح قناعها   عن صفحةٍ تندى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعتْ ثغور أقاحه   أخلاف كل غمامةٍ مدرار
نثرتْ بحجر الروض فيه يد الصبا   درر الندى ودراهم النوّار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدتْ   حلي الحباب سوالف الأنهار
فحللتُ حيث الماء صفحة ضاحكٍ   جذلٍ وحيث الشط بدء عذار

والريح تنفض بكرةً لمم الربى والطل ينضح أوجه الأشجار
متقسم الألحاظ بين محاسنٍ من ردف رابيةٍ وخصر قرار
وأراكةٍ سجع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّت له أعطافها ولربما خلعت عليه ملاءة الأنوار»

بقي علينا أن نعلم أكان لهذه المجموعة اسم خاص سقط مع ورقة أو أكثر من أولها ، وإذا كان كذلك فما هو اسمها ؟ ذكر السيد سعدي أن والده السيد عبد الرحمن صاحب هذه المجموعة «جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحدائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدسي زاده النقيب بالممالك العثمانية» . وفي خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا المختصر الأخير منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب . ورد في مقدمتها قول المؤلف : «... وبعد فلما كان كتابي بواكير الحدائق والغرف ... لم يبلغ الآن مبلغ الكمال ... عولتُ حينئذ على قطافها عند الشروع ، وأخرجتها في تضاعيف هذا المجموع ، وسمته بدستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف» .

فالأرجح بعد كل ذلك أن يكون اسم هذه المجموعة (بواكير الحدائق والغرف) .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢ -

الإرادة

في اللاتينية	Voluntas
في الفرنسية	Volonté
في الانكليزية	Will

الإرادة موضوعة في اللغة لتعيين ما فيه غرض ، وهي في الأصل طلب الشيء ، أو شوق الفاعل الى الفعل ، اذا فعله كف الشوق وحصل المراد (ابن رشد ، تهافت التهافت ص ٤) .

ويشترط في هذا الشوق الى الفعل أن يشعر الفاعل بالغرض الذي يريد بلوغه ، وأن يتوقف عن النزوع اليه توقفاً موقتاً ، وأن يتصور الأسباب الداعية اليه ، والأسباب الصادة عنه ، وأن يدرك قيمة هذه الأسباب ، ويعتمد عليها في عزمه ، وأن ينفذ الفعل في النهاية أو يكف عنه . (Lalande, Vocabulaire de Philosophie , art . Volonté)

فالارادة بهذا المعنى العام هي صورة الفاعلية الشخصية . ولها عند الفلاسفة عدة معان :

١ — الارادة هي نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه . وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، ثم جعلت اسماً لنزوع النفس الى شيء مع الحكم فيه انه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل . والنزوع الاشتياق ، والميل المحبة والقصد (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

فاذا قلنا هذا الرجل قوي الارادة ، وذاك ضعيف الارادة ، دلت الارادة على اتصاف صاحبها بنزوع واع متمكن من نفسه ، وهو نزوع يدفعه الى الفعل بالرغم من مقاومة النزعات الأخرى . فالارادة بهذا المعنى صفة من صفات السجية . وهي تدل بالجملة على نزعة نهائية مستقرة ، أو ميل قوي يحمل صاحبه على الفعل ، ولا يشترط في هذا الميل أن يكون عقيب اعتقاد النفع كما ذهب اليه المعتزلة ، بل مجرد ان يكون حاملاً على الفعل بحيث يستلزمه ويجامعه ، وان تقدم عليه بالذات .

٢ — الارادة هي القوة التي هي مبدأ النزوع وتكون قبل الفعل .

٣ — الارادة هي اعتقاد النفع أو ظنه ، وقيل ميل يتبع ذلك ، فاذا اعتقدنا ان الفعل الفلاني فيه جلب نفع ، أو دفع ضرر ، وجدنا من أنفسنا ميلاً اليه (المواقف للايجي وشرحها للجرجاني ، جزء ٢ ، ص ٢١٥) . والقائل بذلك كثير من المعتزلة ، قالوا ان نسبة القدرة الى طرفي الفعل على السوية ، فاذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ، ترجح على الآخر عند القادر ، وأثرت فيه قدرته .

٤ — والارادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه (تعريفات الجرجاني) ، حتى لقد قال الأشاعرة انها صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين ، وليست مشروطة باعتقاد النفع أو بميل يتبعه ، فان الهارب من السبع ، اذا ظهر له طريقان متساويان في الافضاء الى النجاة ، فانه يختار أحدهما بارادته ، ولا يتوقف في ذلك الاختيار على ترجيح أحدهما لنفع يعتقده فيه ولا على ميل يتبعه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

٥ — والارادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقي ، وهو إما أن يكون عاماً ، وإما أن يكون خاصاً . فالارادة الصالحة (Bonne volonté) هي العزم الصادق على فعل الخير ، أو هي استعداد الشخص للقيام بالفعل على قدر طاقته . والارادة السيئة (Mauvaise volonté) هي الارادة المتوجهة الى الشر ، أو هي على الأخص صفة رجل يحاول التملص من واجباته ، فلا يقوم بها إلا إذا كان مجبراً عليها .

٦ — ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الإرادة العامة (Volonté générale) وهي صفة عاقل يدرك عند تجرده من الأهواء ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه . قال ديدرو : « الإرادة الجزئية ظنون ، والارادة العامة صالحة . ولكن قد تقول لي : أين مقر هذه الارادة العامة ، أين يمكنني أن أستشيرها ؟ (الجواب على ذلك) ان هذه الارادة العامة موجودة في مبادئ الحق المكتوب عند جميع الأمم المتمدنة ، وفي الأعمال الاجتماعية للبربر والمتوحشين ، وفي اتفاق أعداء الجنس البشري على بعض الأمور اتفاقاً ضمنياً ، وفي السخط والألم اللذين وهبتهما الطبيعة للحيوان ليقوما عنده مقام القوانين الاجتماعية والانتقام العام» . Diderot, Article, Droit Naturel (Morale) (de l'Encyclopédie

وقال روسو : « هنالك في الأغلب فرق بين الإرادة العامة وإرادة الكل . فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ، أما الثانية فتهتم بالمصلحة الخاصة ، لأنها ليست سوى مجموع من الإرادات الجزئية » (J. J. Rousseau, Contrat social. liv. II. ch . III) . إن هذه الإرادة العامة هي الأساس الشرعي لكل سيادة . ويشترط في شرعيتها : (١) أن تختص بالمصلحة المشتركة .

(٢) وأن تؤيدها أكثرية المواطنين بعد استشارتهم جميعاً . (٣) وأن لا تتخذ قراراتها لمصلحة شخص دون آخر . ان كل فعل من أفعال السيادة، أعني كل فعل شرعي من أفعال الارادة العامة يجبر جميع المواطنين، أو يرعى حقوقهم على قدم المساواة، فلا يراعي الحاكم إلا الصالح العام ولا يرجح مصلحة فردية على أخرى . ان الارادة الجزئية تميل بطبيعتها الى الترجيح، أما الإرادة العامة فلا تميل إلا الى المساواة .

٧ — ومن اصطلاحات علماء الاجتماع الارادة المشتركة أو الارادة الجماعية (Volonté Collective) وهي إرادة المجتمع من حيث هو موجود واحد .

٨ — ومن اصطلاحات (وليم جيمس) إرادة الاعتقاد (Will to believe)، وهي التسليم باعتقادات لا يستطيع العقل أن يبرهن على صدقها، ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها، وللمنافع العملية التي تنشأ عنها . من هذه الاعتقادات الثقة بالنفس، فهي نافعة في الحياة، لأنها تزيد قوة الانسان وتعينه على النجاح في أعماله .

٩ — والإرادة عند بعضهم هي الفاعلية الدائمة المتجهة الى جهة معينة وان كانت لا شعورية، أو هي النزعة الأساسية لكائن واحد أو لجميع الكائنات، كإرادة الحياة، أو إرادة القوة، أو إرادة الشعور .

أما إرادة الحياة (Volonté de vivre) فهي عند (شوبنهاور) المبدأ الكلي للجهد الغريزي الذي يحقق به كل كائن مثال نوعه، ويناضل ضد الكائنات الأخرى لاستبقاء صورة الحياة الخاصة به .

وأما ارادة القوة (Volonté de puissance) فهي في نظر (نيتشه) مضادة لمعنى الحياة عند (سبنسر)، ولنزوع الموجود الى التثبت في الوجود عند (اسبينوزا)، ولارادة الحياة عند (شوبنهاور) . وهي مبدأ للوح قيم جديدة،

إلا أن الضعفاء يعوقونها عن بلوغ غايتها بتأليبهم عليهـا ، وبتمسكهم بالقيم الخلقية المألوفة .

وأما إرادة الشعور (Volonté de Conscience) فهي عند (فوييه) نزعة أساسية تؤثر في حياة الانسان العقلية والشعورية ، كما تؤثر في تطور الكائنات الحية . إن أول مظهر لهذه النزعة الأساسية ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته ، وشعوره بأنه مركز الجاذبية ، وان جميع الموجودات الأخرى وسائط يعتمد عليها في فعله وزيادة قوته ووعيه . ولكن هـذا النزوع الأناني لا يخلو من الغيرية لأنه يستلزم التفكير في الآخرين ، كما يقتضي الشعور بذوات أخرى ينصب الانسان نفسه أمامها . ففي كل نزوع أناني إذن نزعة غيرية .

١٠ — وفرّقوا بين الاختيار والارادة فقالوا الإرادة نزوع النفس وميلها الى الفعل ، أما الاختيار فهو ميل مع تفضيل ، كأن المختار ينظر الى طرفي المقدور ، والمريد لا ينظر إلا إلى الطرف الذي يريده . قال الفارابي : « إن الانسان قد يتقدم فيختار الأشياء الممكنة ، وتقع إرادته على أشياء غير ممكنـة ، مثل ان الانسان يهوى أن لا يموت . والارادة أعم من الاختيار ، فان كلّ اختيار إرادة ، وليس كل إرادة اختياراً » . (الفارابي ، رسالة المعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ص ٩٨) . وأصل الاختيار افتعال من الخير . ولذا قيل الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره ، وهو أخص من الارادة والمشيئة . نعم قد يستعمل المتكلمون الاختيار بمعنى الارادة أيضاً حيث يقولون فاعل بالاختيار وفاعل مختار ، ولكن الاختيار لم يرد بمعنى الارادة في اللغـة .

وفرقوا أيضاً بين الارادة والشهوة ، فقالوا إن الانسان قد يريد شرب دواء كريه فيشربه ولا يشتهيه ، بل ينفر عنه ، وقد يشتهي ما لا يريده بل يكرهه ، ولهذا قالوا إرادة المعاصي مما يؤاخذ عليها دون شهوتها .

وفرقوا أخيراً بين الإرادة والمشيئة فقالوا الإرادة طلب الشيء والمشيئة الايجاد ، ولكن المشيئة في الأصل مأخوذة من الشيء وهو اسم للموجود ، وكذلك الارادة فهي تقتضي الوجود لا محالة . فلا فرق إذن بين الإرادة والمشيئة إلا بالنسبة الى الإنسان ، لأن إرادة الانسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته . أما بالنسبة الى الله فان الإرادة والمشيئة بمعنى واحد .

١١ — والارادة إذا استعملت في الله دلت على معنى سلبي ، ومعناه أنه تعالى غير مغلوب ولا مستكره ، أو على معنى ثبوتي ، ومعناه العلم أو صفة زائدة على العلم . والفلاسفة الذين يقولون ان إرادة الله ليست صفة زائدة على ذاته كإرادتنا يقررون ان إرادته عين حكمته وحكمته عين علمه . والإرادة حقيقة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ، إذ لو تعددت إرادة الفاعل المختار أو تعلقها لم يكن واحداً من جميع الجهات . وقد قال الحكماء إن إرادته تعالى هي علمه بجميع الموجودات من الأزل الى الأبد ، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل ، وبكيفية صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق المعلوم في أحسن نظام من غير قصد ولا شوق ، ويسمون هذا العلم عناية . وهذا كله يدل على أن الارادة بمعنى الميل أو النزوع أو الشوق لا تستعمل في الله ، لأنه تعالى غني عن كل نزوع وميل ، فمتى قيل أراد فمعناه حكم انه كذا وليس بكذا .

١٢ — والارادة عند المتصوفين هي ابتداء الكد وترك الراحة ، حتى لقد

قال (الجنيد) : الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريده . ولا تكون إلا بعد صدق النية ، وقيل هي الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وابتداء الحكمة . قال ابن سينا : «أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة ، وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس الى العقد الايماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرك سره الى القدس لينال من روح الاتصال ، فما دامت درجته هذه فهو مريد» . (ابن سينا ، الاشارات ، ص ٢٠٢) .

الاستدلال

في اللاتينية Ratiocinatio

في الفرنسية Raisonnement

في الانكليزية Reasoning

الاستدلال في اللغة العربية طلب الدليل ، وفي عرف الأصوليين والمتكلمين النظر في الدليل سواء كان استدلالاً بالعلة على المعلول أو بالمعلول على العلة . وقد يخص الأول باسم التعليل والثاني باسم الاستدلال . ولكن الأولى أن يطلق الاستدلال على إقامة الدليل لا على النظر في الدليل ، لأن الدليل قول مؤلف من أقوال يلزم من تسليمها لذاتها قول آخر ، وليس الاستدلال به النظر في الدليل وإنما هو إقامة الدليل .

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الأثر الى المؤثر ، أو من المؤثر الى الأثر ، أو من أحد الأثرين الى الآخر (تعريفات الجرجاني) . فاذا كان انتقالاً من الأثر الى المؤثر أو من المعلول الى العلة سمي استدلالاً أنياً ، واذا كان انتقالاً من المؤثر الى الأثر أو من العلة الى المعلول سمي استدلالاً لمياً .

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفاً على الأول اضطراراً ، فكل استدلال هو إذن انتقال من حكم الى آخر ، لا بل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة إذا وضعت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا اذا كانت مقدماته صادقة .

وهذا كله يدل على أن المنطق وعلم النفس كليهما يشتركان في بحث الاستدلال . إلا أن المنطقي ينظر في الاستدلال الكامل من حيث هو مؤلف من قضايا مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً ضرورياً ، فيعرف أنواع الاستدلال ، ويرتبها بحسب قيمتها ، ويفرق بين الاستدلالات المنتجة والاستدلالات غير المنتجة ، أما العالم النفسي فيبحث في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني لا من حيث هو صحيح أو فاسد ، فقد تختلف قيمة الحجج العقلية في نظر المنطقي من حيث قربها من الصواب أو بعدها عنه ، ولكن قيمتها في نظر العالم النفسي واحدة ، لأنه إنما ينظر في حركة الذهن ، وكيفية تكون الحجج العقلية ونشوئها ، لا في صحتها وفسادها .

والمتقدمون من فلاسفتنا يقسمون الاستدلال الى ثلاثة أنواع : القياس والاستقراء ، والتمثيل ، « وذلك لأنه اما أن يحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكلي وهو القياس ، أو يحكم على الكلي لثبوته في الجزئي وهو الاستقراء ، أو يحكم على الجزئي لثبوت الحكم في جزئي آخر وهو التمثيل » (راجع لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ، وهي تهذيب اشارات ابن سينا ، ص ٣٢ من طبعة مصر ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي ، ص ٣٢ مع تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي في ذيله) .

والأولى أن يقسم الاستدلال الى استنتاج ، واستقراء ، وتمثيل ، لأن الاستنتاج

أعم من القياس ، وكل قياس فهو استنتاج ، وليس كل استنتاج قياساً (راجع : القياس ، والاستنتاج ، والاستقراء) .

وجملة القول ان الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عدة قضايا أخرى ، أو هو حصول التصديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السابقة التي لزم عنها . والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة ، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة ، وتسمى الأولى معرفة استدلالية أو كلامية (Connaissance discursive) والثانية معرفة حدسية (Connaissance intuitive) (راجع الحدس) .

الاستعداد

في اللاتينية	Dispositio
في الفرنسية	Disposition
في الانكليزية	Disposition

الاستعداد للشيء هو التهيؤ له ، وعند فلاسفة القرون الوسطى هو كيفية تحصل للشيء بتحقق بعض الأسباب والشرائط ، وارتفاع بعض الموانع . وتسمى تلك الكيفية استعداداً ، والقبول اللازم لها إمكاناً استعدادياً وقوة . فللاستعداد إذن معنيان أحدهما الكيفية المهيئة والثاني القبول اللازم لها . قال ابن سينا : « وليس الاستعداد الا مناسبة كاملة لشيء بعينه هو المستعد له . وهذا مثل ان الماء اذا أفرط تسخينه فاجتمعت السخونة الغريبة والصورة المائية ، وهي بعيدة المناسبة للصورة المائية ، وشديدة المناسبة للصورة النارية ، فاذا أفرط ذلك واشتدت المناسبة اشتد الاستعداد فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ومن حق هذه أن تبطل » (ابن سينا ، النجاة ص ٤٦٢) . فاستعداد الشيء هو

إذن كونه بالقوة القريبة (prochaine) الى الفعل أو البعيدة عنه (éloignée) وهو أقل ثبوتاً من العادة .

ونحن نطلق اليوم اسم الاستعداد على الأهليــة (Aptitude) وهي صفة جسمانية أو نفسانية تجعل صاحبها أهلاً لممارسة عمل معين . والاستعداد بهذا المعنى مألوف عند علماء النفس المعاصرين : قال (كلاباريد ـ Claparède) : « ان معنى الأهلية يتضمن معنى الاستعداد الطبيعي والاختلاف الفردي . قد نتكلم أحياناً على الأهليات المكتسبة ونعني بذلك في الحقيقة استعداداً طبيعياً للاستفادة من التجربة ، أو لاكتساب عادة أو سرعة ومهارة . فلو كان لجميع الناس قابلية واحدة واستعداد واحد للاستفادة من التعلم لما كان لمعنى الأهلية فائدة » ، (راجع كتابه Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers (1924))

الاستقراء

في اللاتينية	Inductio
في الفرنسية	Induction
في الانكليزية	Induction

الاستقراء في اللغة التتبع ، من استقرى أو استقرأ الأمر اذا تتبعه لمعرفة احواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوته في الجزئي . قال الخوارزمي : « الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع اشخاصه » (مفاتيح العلوم ص ٩١ من طبعة مصر) ، وقال ابن سينا : « الاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور » (النجاة ص ٩٠) .

فالاستقراء إذن قسمان تام وناقص .

١ — أما الاستقراء التام (Induction complète) فيسميه بعضهم قياساً مقسماً . ونحن نسميه استقراءً صورياً (Formelle) وهو كما بين آرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه . مثال ذلك الجسم اما حيوان أو نبات أو جماد ، وكل واحد من هذه الأقسام متحيز ، فينتج من ذلك ان كل جسم متحيز . وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة . ويشترط في صدقه أن يكون حاصراً لجميع أقسام الكلي وأن لا يؤخذ جزئي مشكوك فيه في أجزاء القسمة . والفرق بين هذا الاستقراء الصوري والقياس ان القياس يحكم على جزئيات الكلي لوجود ذلك الحكم في الكلي ، أما الاستقراء الصوري فيقلب هذا الأمر ويحكم على الكلي لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته ، وهو نافع في البراهين لأنه يلخص الأحكام الجزئية ويجمعها في حكم كلي واحد .

ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي (Induction mathématique)، وهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . وهذا الاستقراء الذي ذكره (هنري بوانكاره) فبين أن القضية اذا كانت صادقة بالنسبة الى (ن = ١) و (ن = ٢) كانت صادقة بالنسبة الى جملة (ن + ١) وغيرها من الأعداد التامة ، كان (بوترو) قد أشار اليه قبله فبين أن الرياضيين يبرهنون أولاً على قضية خاصة جزئية ثم ينتقلون منها الى قضية أعم منها . ويسمي (هنري بوانكاره) هذا الاستقراء الرياضي بالاستدلال الارجاعي (Raisonnement par récurrence) (راجع هذا اللفظ) .

٢ — وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته ، وانما قلنا على بعض جزئياته لأن الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات لم يكن استقراءً ناقصاً بل استقراءً تاماً . والمثال في ذلك ان جسم

كل (غاز) متناسب والضغط الواقع عليه تناسباً عكسياً ، لأن الهيدروجين والاوكسيجين والآزوت وغيرها تحقق ذلك . ففي هذا الاستقراء انتقال من الحكم على بعض جزئيات الكلي الى الحكم على جميع جزئياته ، وهو لا يفيد يقيناً تاماً ، بل يفيد ظناً لجواز وجود جزئي آخر لم يستقرأ ويكون حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرئت . « بل ربما كان المختلف فيه والمطلوب بخلاف حكم جميع ما سواه » (ابن سينا ، الاشارات ص ٦٤) . ويسمى هذا الاستقراء الناقص استقراء موسعاً (Amplifiante) لأنه لا ينحصر في الجزئيات التي استقرئت ، بل يتعداها كما قلنا الى جزئيات لم تستقرأ ، ويسمى أيضاً استقراء علمياً لأنه ينتقل من الحوادث الى القانون ، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين الى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان ، وقد وضع (بيكون) و (استوارت ميل) قواعد لهذا الاستقراء تسمى بقواعد الاستقراء . (راجع طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة البواقي ، وطريقة التلازم في التغير) . وهي موضوعة لاختبار صحة الفروض العلمية ، إلا انها لا تبرهن على صدق القانون إلا بالنسبة الى الحقائق المشاهدة . فلماذا نسلم إذن بقانون طبيعي شامل لجميع الجزئيات ونحن لم نستقرئ هذه الجزئيات كلها ؟ لماذا اعتبرنا ما لم نشاهده بما شهدناه مع أن تجاربنا محدودة في الزمان والمكان ؟ الجواب على ذلك أننا نؤمن بالعلّية ، ونعتقد أيضاً أن الطبيعة خاضعة لنظام عام ثابت لا يشذ عنه في المكان والزمان شيء . ويسمى هذا الاعتقاد مبدأ الحتمية Principe de déterminisme (راجع هذا اللفظ) .

وها هنا ثلاث مسائل لا بد من الإشارة اليها :

آ — هل يستند الاستقراء الناقص الى أساس نفسي ، ما هي العوامل النفسية التي تدعونا الى التسليم بصدق أحكام كلية لم نجربها الا في حالات جزئية محدودة ؟

ب — هل الاستقراء الناقص حق ، ماهي الشروط اللازمة لاختبار صحة الفرضيات .

ج — ما هو مبدأ الاستقراء ، هل يمكننا ان نرجع حالات الاستقراء كلها الى قاعدة منطقية محددة . (راجع Lalande , Vocabulaire de philosophie, art. induction)

الاستنتاج

في اللاتينية Deductio

في الفرنسية Déduction

في الانكليزية Deduction

الاستنتاج في اصطلاحنا هو استخراج النتائج من المقدمات ، وهو اصطلاح جديد ، لا نجده في كتب التعريفات ، ولا في معاجم الاصطلاحات القديمة ، ولكننا نجد الفلاسفة القدماء يستعملونه في كلامهم على القياسات البرهانية دون أن يميزوا هذا الفعل الذهني عن صورة القياس . مثال ذلك قول ابن سينا : « المطلوب الضروري يستنتج في البرهان من الضروريات ، وفي غير البرهان قد يستنتج من غير الضروريات » (الاشارات ص ٨٣) ، وقوله : « وأما ان كانت المقدمة سالبة وأريد استنتاج موجبة بقياس الدور فلا يمكن الا أن يكون المسلوب خاص السلب عن الموضوع ، فلا يسلب عن غيره » (النجاة، ص ٨٤) . ولم يميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس إلا في الأزمنة الأخيرة ، فأطلقه الفلاسفة المتأخرون على الاستدلال المؤلف من الحكم على صدق قضيه تسمى بالتالي (Conséquence) ، لثبوت ذلك الحكم في قضية أو عدة قضايا تسمى بالمبادئ (Principes) . فالصفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ، سواء كان ذلك الاستنتاج صورياً كالقياس ، أو تحليلياً أو تركيبياً كالبرهان الرياضي . فاذا أنكرنا النتيجة بعد التسليم بالمبادئ وقعنا في التناقض .

وللاستنتاج ثلاثة أنواع : الاستنتاج الصوري ، والاستنتاج التحليلي ، والاستنتاج التركيبي أو الانشائي ٠

أما الاستنتاج الصوري (Déduction formelle) فهو القياس (راجع هذا اللفظ) ، وهو استنتاج صدق قضية أو كذبها على افتراض صدق أو كذب قضية واحدة أو عدة قضايا ٠ ومن صفاته : (١) لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ٠ (٢) ليس في النتيجة علم زائد على المقدمات ٠ (٣) لا تصدق النتيجه ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها ٠ وهذه الصفة الأخيرة تدل على ان الاستنتاج الصوري هو استنتاج شرطي ٠

وأما الاستنتاج التحليلي (Déduction analytique) فهو الاستدلال المؤلف من مقدمات مركبة اذا وضعت استخرج العقل منها بسائط داخلة فيها كالبرهان التحليلي (في الرياضيات) المؤلف من سلسلة من القضايا أولها القضية المراد اثباتها وآخرها القضية المعلومة ٠ فاذا انتقلنا من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها ٠

وأما الاستنتاج التركيبي (Déduction synthétique) أو الانشائي (constructive) فهو الانتقال من المبادئ البسيطة الى النتائج المركبة ، مثال ذلك التركيب الرياضي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً ٠ وقد سمي انشائياً لأن نتيجته ليست داخلة في مقدماته ٠ بل هي لازمة عنها وزائدة عليها ٠ ان مساواة مجموع زوايا المثلث لزاويتين قائمتين ليست قضية داخلة في القضية المتقدمة عليها في كتاب الهندسة ، بل هي حلقة جديدة في السلسلة لازمة عن الحلقات السابقة اضطراراً ٠ فكل قضية جديدة تكسبنا علماً جديداً زائداً على المقدمات ، وتنقلنا من المعلوم الى المجهول ٠ كأن هناك بناء ينشئه العقل إنشاء ، ويركبه تركيباً ٠ والفرق بين هذا الاستنتاج والقياس أن القياس هو

انتقال من العام الى الخاص ، أما الاستنتاج الانشائي فهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . والنتيجة في القياس داخلة في المقدمات ، في حين ان علاقة المقدم بالتالي في الاستنتاج الرياضي ليست علاقة شمول أو تضمن وإنما هي علاقة التزام . لذلك قال ديكارت : القيـاس المنطقي عقيم ، والاستنتاج الرياضي منتج .

ثم ان الاستنتاج والاستقراء متقابلان ، والطريقة الاستنتاجية المستعملة في العلم الرياضي مضادة للطريقة التجريبية والاستقرائية المتبعة في العلم الطبيعي . ولكن (استوارت ميل) زعم أن هناك تقابلاً بين الاستقراء والقياس ، لا بين الاستقراء والاستنتاج ، لأن الاستقراء هو انتقال من الخاص الى العام ، والقياس انتقال من العام الى الخاص . أما البرهان الاستنتاجي فهو سلسلة من الاستدلالات العقلية المضادة للبرهان التجريبي لا للاستقراء .

وقد زعم ديكارت ان الاستنتاج والحدس متقابلان ، لأن الحدس هو الادراك المباشر لعلاقة المبادئ بالنتائج ، أما الاستنتاج فهو حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد آخر ادراكاً بديهياً . فالعقل اللامتناهي يدرك النتائج في المبادئ دفعة واحدة ، أما العقل المتناهي فلا يدرك إلا عدداً محدوداً من الحقائق ولا يصل الى النتيجة إلا بعد نسيان المبادئ الأولى .

والاستنتاج المتعالي (Déduction transcendentale) عند (كنط) هو البرهان على امكان انطباق الكليات القبلية (a priori) على التجربة ، وهو مقابل للاستنتاج التجربي القائم على استخراج الكليات العقلية من التجربة الحسية .

(يتبع) جميل صليبا



رسالة الأنوار
المقتبسة من أوار النار

لأمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود التنوخي

دالت الدولة الأموية ، وانتقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد ، ولكن ظلت بلاد الشام أمينة على التراث الأدبي العربي ، تتعهده وتنميه ، وظلت حواضرها موئل البلغاء من الكتاب والشعراء ، ما انقطع نبوغهم فيها وورودهم إليها . وكان قيام بعض الأسر العربية بتولي شؤونها وتدبير أمورها عوناً على تعهد الأدب حتى لا تنطفئ شعلته ولا تصوّح نبتته . وفي شيء من ذلك يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمته : « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام ... والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على مَن سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد .. ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ... انبعثت قرائحهم في الاجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأبدعوا ما شاءوا ... »[1]

(١) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي ، (ص ٨ ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٣٤) .

وظل الأدب الجيد بأرز إلى الشام حتى في العصور التي زهد الناس فيها به ، وانصرفوا عنه إلى الأدب المبتذل الرخيص .

وكان الأدباء يعقدون حلقات للمذاكرة والمناظرة والمحاضرة ويتناشدون أجمل الأشعار مما حفظوا أو نظموا ، وإذا كان في بعض مقامات الحريري وصف خيالي لمثل هذه المجالس الأدبية ففي «رسالة الأنوار» التي ننشرها اليوم وصف حقيقي لجلسة أدبية طريفة ضمت فئة من فضلاء الشام في القرن السادس ، أداروا القول فيها على وصف النار والفحم ، ورووا محاسن ما جاء به الشعراء المتقدمون والعصريون في ذلك .

أما مؤلف هذه الرسالة فهو أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن حمود[1] بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، ولد سنة ٥٧٠/١١٧٤ ورحل وسمع بدمشق من جماعة من جلة علمائها ، وعني بالأدب . وقد كتب لصاحب صرخد المملوك عز الدين ايبك ووزر له ، حتى قتل عز الدين سنة ٦٢٦/١٢٢٩ . ثم توفي المؤلف سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥[2] .

كان التنوخي هذا شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر لم يصل الينا ، ولكن صاحب فوات الوفيات[3] اختار من شعره نماذج جميلة أثبتها في ترجمته له ، وهي في الحث على طلب علم الحديث وفي الوصف والحكمة والغزل والعتاب ... ويذكر من ترجموا له أنه كان خيّراً ديّناً كامل الأدوات .

---

(١) يخطىء بروكلمان عندما يجعل هذا الاسم (محموداً) في كتابه : تاريخ الأدب العربي (G. A. L.) ج ١ ص ٢٥٧ وفي ذيله ج ١ ص ٤٥٧ .

(٢) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تطبيع جعل وفاته سنة ٦٣٤ . ثم ورد التاريخ صحيحاً في الذيل .

(٣) في الجزء الثاني ص ١٠ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

وقد جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلداً ضاع في ثنايا الزمن لم يصل الينا منه إلا اسمه ، على أن له كتاباً آخر عرفناه له ، واسمه (مفتاح الأفراح [1] في امتداح الراح) في الخمرة وشربها كان قد قدمه للأمير عيسى بن أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤ / ١٢٢٧ [2] . ومنه مخطوطات في برلين وفينا والقاهرة ولندن [3] .

أما الرسالة التي ننشرها له اليوم فلا أعلم أن أحداً ممن تحدثوا عنه قد ذكرها له . قد وقعتُ عليها عندما كنتُ أنقب في خزانة كتب المجمع العلمي العربي ، وجدتُ مصورة مخطوط رقمها ٦١ كان المجمع قد اشتراها سنة ١٩٤٣ من أحد الورّاقين الدمشقيين ، وكان قسم التصوير في مطبعة دار الكتب المصرية قد صورها سنة ١٩٣٣ . وقد علمتُ فيما بعد أن مخطوط هذه الرسالة كان موجوداً في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي الدمشقي ثم بيع في مصر منذ فترة إلى السيد أمين الخانجي ، ولا ندري أين مقر هذا المخطوط اليوم . ويبدو مما كتب على غلاف هذه الرسالة أنها كانت قد دخلت قبل ذلك في ملك أحد أعيان الشام وهو السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني . وكانت هذه الرسالة مضمومة في كناش إلى كتاب (المختار من كتاب الحدائق) في البلاغة ومنثور الحكم من كلام الفضلاء ونوادر البلغاء والفصحاء ، وإلى ثلاث صفحات ألفها قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن يحيى بن محمد بن علي في حل أبيات ثلاثة لابن الرومي . وهذا الكناش مصور برمته في

١) في بعض نسخ (كشف الظنون) لحاجي خليفة : مفتاح الأرواح .

٢) وهنا تطبيع آخر وقع في تاريخ الأدب لبروكلمان فقد جعل السنة ١١٢٧ .

٣) ممن ترجم للمؤلف : محمد بن شاكر الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في (فوات الوفيات) ، وراغب بن محمود بن هاشم الطباخ في الجزء الرابع من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) طبعة حلب سنة ١٩٢٥ ، وجرجي زيدان في الجزء الثالث من (تاريخ آداب اللغة العربية) وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ....

خزانة المجمع العلمي العربي ، وفي دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٥٠٣) ، كما يشير إلى ذلك الجزء السابع من قسم الفهارس العربية فيها (ص ٩٦) المنشور سنة ١٩٣٨م[١] .

يقع مخطوط (رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار) في تسع وثلاثين صفحة ، في كل منها أحد عشر سطراً في الغالب وقد كتبت في مطلع القرن السابع وسمعها جماعة من كبار فضلاء ذلك العصر على مؤلفها ، تجد ثبتاً بأسمائهم في آخر الرسالة كما تجد تاريخ السماع واسم كاتبه هنالك .

وخط الرسالة واضح جليّ وشكلها جيد صحيح في الجملة . على أن من عادة الناسخ أن يجعل أحياناً تحت السين ثلاث نقاط وتحت الدال نقطة واحدة ويسهل الهمز ويسقط بعض النقط ويجعل الهمزة ـ عندما يثبتها ـ تحت كرسيها ، وقد يضع نقطتين فوق الياء وفوق الألف المقصورة ... وفي هامش الرسالة تصويب واستدراك لما أخطأ فيه الناسخ ، أثبته مَن سمع الرسالة من مؤلفها .

***

أما هذه الرسالة فهي طرفة أدبية جميلة ، متينة النسج في جملتهـا ، مشرقة الأسلوب في سبكها ، فيها صورة دقيقة لناحية مما كان يعنى به أدباء القرن السادس من الأغراض والمعاني ، ونموذج جيد من نقدهم وذوقهم الأدبي . ولغتها سليمة على العموم ولكن بعض السجع الغالب على الرسالة غث متكلف .

يبدو صاحب الرسالة في مقدمتها برماً بعيشه في حلب ، مؤثراً المقام في دمشق ، ثم يُظهر في ثنايا الرسالة اعتداده بنفسه ، وفخره بشعره ، وزهوه بأدبه ، واستصغاره أحياناً شأن من عاصره من الشعراء وهو في هذا يذكرنا بابن الأثير في مثله السائر .

وفي الصفحات التالية تنشر هذه الرسالة الفريدة لأول مرة :

(دمشق) عبد الهادي هاشم

(١) يجعل مفهرس دار الكتب رسالة الأنوار : مقامة أدبية في وصف نار المجم ، وهو تطبيع صحيحه : في وصف نار الفحم .

رسالةُ الأنوار

المقتبسة من أُوار (١) النار

صنعة السيد الفاضل الصدر العدل الرضي ، أوحد دهره وفريد عصره ، مقدَّم الفصحاء والبلغاء ، أفضل الكتّاب والوزراء ، رئيس الأدباء والشعراء ، أمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود ابن المحسِّن التنوخي الحلبي الكاتب ، أدام الله علاءه ، وكبت حسّاده وأعداءه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتُ أمليتُ عليك - أطال الله في المجد الراسخ بقاءك ، وأدام في الجدّ الشامخ ارتقاءك ، في سعادة تحرس لك المراتب ، وتخرس عنك لسان العايب والعاتب ، - بعد محاضرة تجاذبنا أطراف طُرَفها ، ومذاكرة تشاربنا سُلاف سُلَفِها (٢) ، ما جرى لي بحلب ، مع سادة من أهل الأدب ، وجماعة من أتراب الرُتب ، يُعجِب الأسماعَ حديثُه ، ويُطرِب الطباعَ قديمُه وحديثه ، وتستطرفه النفوس ، ويستلطفه الرئيس والمرؤوس ، تُعقَد عليه الخناصر ، ولا يُمَلّ إيرادُه المتناصر (٣) ، فهزّك طربا ، واستفزّك عُجبًا وعَجبًا ، واقترحتَ عليّ الاهتمام بتسجيله ، واقتدحتَ زناد الاعتزام لتعجيله ، واستفتحتَ بالتعوذ من تأخيره وتأجيله ، فأُنسيتُه « وما أنسانيه إلا الشيطان » (٤) ، وأُهملتُه إهمالاً ألهمنيه

(١) الأُوار : اللهب .

(٢) ضبطت هذه الكلمة في الأصل المسموع على المؤلف بفتح السين ، ولكننا نرى الضم أولى ، ومعنى السُلفة كما في اللسان : ما تدخره المرأة لتتحف به من زارها .

(٣) تناصرت الأخبار : صدّق بعضها بعضاً .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ٦٤ من سورة الكهف ١٨ .

الحرمان ؛ ثم أجلَتْ [١] عن الخاطر الغُمّةُ ، وأنجلتْ عن الناظر الظلمة ، وادّكرتُه ولكن بعد أمّة [٢] ، فأودعتُه صحيفةً لطيفة ، لتكون على متحمّلها خفيفة ، وإلى متحفّظها أليفة .

وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين وخمس مائة حدث لي من الضجر ، بحلب في صفر ، ماأوجب لي عنها السفر ، ونعب به طائر البيْن وصفَر ؛ فخرجتُ منها لا خائفاً مترقّبا [٣] ، بل عن أهل الفضل منقبّا ، ورأيت من وجوه الأمل سافراً ما كانُ متنقّبا ، وسعيتُ لأعلام العلوم متطلّبا ، ومع تصاريف الصروف متقلّبا .

فلما أظفرَتني بدمشقَ يدُ السفَر ، وأسفرتْ لي بها طلعةُ الظفَر ، ألفيتُها كما وصفها أهل الظَرف ، وفيها كل ما يشوق القلبَ ويروق الطَرف ، وتلقّاني شيبُها وشبابُها [٤] ، وشعراؤها وكتّابُها ، وخطباؤها وحُسّابُها ، بما حسُن به عند نفسي اغترابُها ، وهُجّن به لديها وطنُها وأترابُها ، وأنساني حلب وإنْ كانت «أول أرض مَسّ جلدي ترابُها» [٥] ؛ وحمّلني أهلها من الكرامة ، ما حملني على اتخاذها دار إقامة ، وقلتُ : الحمد لله الذي أحلّني من فضله دار المُقامة [٦] ، وهززتُ جذوعَها فساقطت عليّ رُطبًا جنيًا [٧] ، وامتريتُ ضروعَها فأدرّت لديّ حلَبًا هنيًا ، وبلوتُ [٨] بَنيها فألفيتُ كلاً بي حفيًا ،

---

(١) أجلى ، على اللزوم لا التعدية : تفرق وانفرج .

(٢) الأمة : الحين .

(٣) اقتباس من الآية الكريمة ٢٠ من سورة القصص ٢٨ .

(٤) في الأصل : وشبّانها ، وما أثبتناه أكثر ملاءمة لأسلوب المؤلف في هذه الرسالة .

(٥) هذا شطر من أبيات ثلاثة اختلف في قائلها وروايتها ، وأشار إلى بعضها أو كلها كثير من كتب اللغة والأدب كاللسان (في نوط) والأمالي (١ / ٨٣) وسمط اللآلي والكامل وزهر الآداب ....

(٦) اقتباس من الآية الكريمة ٣٢ من سورة الملائكة ٣٥ .

(٧) اقتباس من الآية الكريمة ٢٤ من سورة مريم ١٩ .

(٨) في الأصل : وحالفت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

فما أنسَ لا أنسَ الزمان الذي بها تولّى وعيشاً كنتُ أنهبُه نهبا
وصحبةَ قوم كلّما شئتُ أن أرى وجوهَهم الغرّ الحسان أرى الشُّهبا
وهل أنا ناسٍ ما يذكّرني به أصيلُ نهاري والنسيمُ إذا هبّا

ولما كانت سنة ستمائة عدتُ الى حلب لمهمة عرَضَتْ ، ومداواة نفس بالشوق إلى إلفٍ لها مرِضَتْ ؛ حتى إذا حللتُ برُحبها ، وحللتُ حُبا[1] السفر للإقامة بها ، واستراحت نفسي باستنشاء روْح صَباها ، لم أجد منهـا ما كنتُ أعهدُه من عمارة معْهَد صِباها ؛ فعلمتُ أن محاسن أهل دمشق قد أفسدَتْ عليّ ناظري ، وأن إحسانهم قد شغل عن سواهم خاطري ، وخفتُ أن تفيظ[2] مهجتي ، لما كادت تغيض بهجتي .

وكان بحلب وزير فاضل ، يعنَى بالأفاضل ، ويطرهم سحائب الفواضل ، وهو نظام الدين أبو الحسين سبط جمال الدين بن الحصين ؛ فعطف عليّ عطفةَ الظباء على الأطلاء ، وخفّ إليّ خفةَ المحبين إلى الأحباء[3] وجذبني الى الوطن ، بما قرُب من الوعظ وما شطن[4] ، ورغّبني في العود إلى العطن ، بما ظهر من النصح وما بطن ؛ فلم أزِدْ على طول الرياضة إلا شماساً ، ولم أفدْ على كثرة الترجّي إلا ياسا . وقد كان فاوضني في مثل هذا بدمشق ، وعارضني بأشدّ من هذا القول وأشق ، وهيهات لا يؤثر معوَل الباطل في صفا الحق . فلما رآني بحلب ، توهم أن خِلف خَلَبه قد حلب ، وحكم بأن مُضارب عَذْله جاب وجلب ، وحسب أن استعطافه قد خامر خِلْب[5] كَبِدي فَخَلَب ، وظنّ

(١) حلّ الأولى بمعنى نزل وأقام والثانية بمعنى فك ، والحبا أو الحبى بضم أوله وكسره جمع حبوة .
(٢) فاظ يفيظ : مات .
(٣) في الأصل : أطلائها ... وأحبائها . وما ذكرناه من تصحيح الهامش .
(٤) شطن : بَعُد .
(٥) خِلب الكبد : حجابها .

أنه ظفر منّي بما كان طلب ؛ فجعل يبشّرني بانجاح طلبي ، ويعدني بمخاطبة سلطانه بسببي ، ويقسم بالله جَهْدَ أيمانه ليجتهدَنّ في إدراك أرَبي ؛ فلانت للمَقام عريكتي ، وهامت في وادي الانتظار قرونتي [١] وبشّرني التماعُ أساريرِ مسرّتي ، بمساعدة القضاء على إنجاز قضيتي .

فبينَنا أنا ذاتَ ليلة ليلاء ، مدلهمّة سوداء ، تساورني من أساود الهموم كلُّ ضئيلة رقشاء ، وبواثبني من أسود الطمع كلُّ أغلب وغلباء ، إذ استدعاني الوزير بجماعة من أصحابه ، فيهم مقدّم حجّابه ، وأمامَهم من المشاعل ما أعاد الليل نهاراً ، ومن الشموع ما خِلتُه أشجاراً أثمرت نارا ، وشاع من أشعّة أضوائها ما عاد به جُرفُ الظلام منهـارا ، وخيلَتْ حنادس الظلماء جناتٍ فاضت (عليها) [٢] أنواء الأنوار (فأجرت خلالها) [٢] أنهارا . فأيقنتُ أن ليل الوفاء [٣] قد أقمر ، وعُود الرجاء قد أثمر ، فنهضتُ نهوض المُنشَط من العِقال ، وخرجت خروج مَن أفرج عنه بعد الاعتقال ، وجعلتُ أمشي مِشية المختال ، وأهتزّ اهتزاز مَن أظفرَه بمُراده لُطفُ الاحتيال . فلما دخلتُ عليه ، أجلسني إليه ، وأكرم مثوايَ ، وهنّأني ببلوغ مُناي ، فسُررتُ سرورَ المجدي بعد العَدَم ، والمهتدي بالعَلَم بعد الضلال في دياجير الظُّلَم ، ونظرتُ فإذا مجلسه غاصٌّ ، بالفضلاء الخواصّ ، ومن ذوي الأدب ، بكل من شِعرٍ وكُتب . وكان فيمن حضر من الأدباء ، سالمُ بن سعادة الحمصيُّ [٤] المقدَّم في زمانه على الشعراء ، ذو الخاطرِ الماهر ، والشعرِ الباهر ، والطبعِ الذي هو لِعَواصي القوافي قاهر ، والفكرِ الذي هو لاقتناص شوارد المعاني ساهر ؛ إلاّ أنّه قد

(١) القرونة والعريكة : النفس .

(٢) ما بين القوسين استدراك وزيادة في الهامش .

(٣) في الأصل الحظ . وما ذكرناه مأخوذ عن الهامش .

(٤) شاعر معروف توفي سنة ٦١٨ ، وممن أشار إليه ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) (٥/٨٤) ط . القاهرة سنة ١٣٠٥ .

أُرتِجَ عليه في ذلك المجلس ، وبين يديه صحيفة ينظر فيها ولا ينبس ، كأنما ينظر في صحيفة المتلمس [1] ، فتأملتُ الصحيفة الملقاة ، فإذا فيها مكتوبٌ بعد بسم الله :

اِشربْ هنيئاً عليك التاج مُرتفقاً   في شاذمهرَ ودَعْ غمدانَ لليمن

فأنت أولى بتاج المُلك تلبَسه   مِن هوذةَ بن علي وابنِ ذي يزن [2]

فقال لي الوزير – وكان ممن هو لخرائد المحامد زير [3] ، وبيده زمام التدمير والتدبير ، بيد أن يده كانت مُصانة [4] عن التبذير ، – : إنه قد غُنّيَ بين يدي السلطان بهذا الشعر فاستحسنه لمّا جلَتْه عليه ماشطةُ السُكر ، وخلع على قائله خِلَعَ الشكر ، وقال بعد ما أعمل في استحسانه عوامل الفكر : أمَا في أهل الأدب بجانب مَن ينظِم فينا مثل هذا المعنى ، لنُحليَه من الشرف أعلى مَغنى ، ونجعلَه مِمَّنْ كان مُفتقِرا فاستغنى ؟ ثم أرسل بهذه الصحيفة إليّ ، وأمر باحضار الشعراء لديّ ، لأستمريَ [5] مواطرَ خواطرِهم المحلولة عزالِي المزاد ، وأستقدح قرائحهم الواريةَ الزناد ، وأستقريَ كوامن ضمائرهم الهائمة في كل واد ، وقد نظم كلٌّ من جواهر بحره ما (عليه) [6] تيسّر ، وتعسر على بعضهم ما تعسر ، وقد كنت مُفكراً فيما أعرِض به للسلطان مِن ذكرك ،

(١) المتلمس : جرير بن عبد المسيح نديم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقصة الصحيفة التي كتبها ابن هند إلى عامله بقتل المتلمس مشهورة في كتب الأدب .

(٢) يضبط الأصل هذا الشطر بفتح الميم في (من) وضم الهاء المتطرفة في هوذة والنون في (بن) و (ابن) . ولما ذهب إليه وجه يفضله في رأينا التشكل الذي أثبتناه . أما هوذة (وهو ابن علي الحنفي صاحب اليمامة ممدوح الأعشى) فقد ضبط بفتح فسكون كما هو المشهور ولكن ذهب قوم إلى ضم أوله وسكون ثانيه ، راجع في ذلك تاج العروس في (هوذ) .

(٣) حذف المؤلف الألف من آخر الكلمة التزاماً للسجع فيما يظهر وله وجه .

(٤) كذا في الأصل وليس في اللغة أصان ، ولعل الناسخ أخطأ فجعل مصانة بدل مصونة ، ولم يفطن السامع والمؤلف .

(٥) استمرى اللبنَ ونحوه : استخرجه واستدره .

(٦) زيادة من استدراكات الهامش .

أتوصل به إلى مخاطبته في أمرك ، وقد اتَّفقتْ هذه الحركة ، وأرجو أن تكون مُقْتَرِنَة بالبركة ، ولصيد ما تؤمّل شبكة ؛ فإن رأيتَ أن تَشْوي مسكتك في هذا الحربق ، وتُنهِج الطريق ، وتفرج المضيق ، بما تنظمه في هذا المعنى من شعرك الرقيق ، فافعل وبالله التوفيق . ثم أدنى إليّ دواة وبيضاء ، وقال : استخيرِ اللهَ يُستخَرْ لك القضاء . فأعملتُ جواد الجَنان ، فجرى وما كبا ، وسللتُ حسام اللسان ، ففرى وما نبا ، وكتبتُ ، ما به حاسدي كَبَتْ ، وهو :

أيام مُلكِ غياث الدين ذي المنن ... لدى رعيته من أشرف الزمن[(١)]
مَلك خلائقه أصفى لرامقهـا ... اذا تأملها من رائق المُزُن
وما زجتْ كلَّ ذي نطق مهابتُه ... لمّا بَلوْه امتزاجَ الماء باللبن
كأنّما سيفُه والموتُ قد قُرِنا ... وأنفسُ القوم يومَ الرَّوْع في قَرَن
وأصبحتْ حلب البيضاء حين ثوى ... غازٍ بقلعتها من أحسن المُدُن
عرينةُ الليث يحميها فكيف إذا ... كانت عرينتُه من أمنع القُنن
فقل له يا غياثَ الدين قد فخرت ... بك العواصم في الدنيا على اليمن
لِمْ لا تتيهُ بك البلدان فاخرةً ... وأنتَ منها محلُّ الروح في البدن
فاشربْ بقلعتك الشهباء صافيةً ... صهباء تَشفي سقام الهم والحزن
فأنتَ أحرى بمُلك الأرض أجمعها ... من سيفِ حمدان أو سيف بن ذي يَزَن[(٢)]
لا زلتَ ترفُل في بُرد العلى مرحاً ... ما غرّدتْ ذاتُ طوق في ذُرى غُصُن

ثم أرسَل ما نظمه الجماعة الى السلطان ، على يد غلام من أفره الغلمان ، فوجده الغلام ، قد استولى عليه كأسا المنام والمُدام ، وأصبح دمعُ كلٍّ من القوم

---

(١) في صلب النص (على) وفي الهامش (لدى) كما اثبتنا .

(٢) في الأصل المسموع على المؤلف فتحت ميم (من) والأواخر من (سيف) و (بن) . ولهذا الشكل وجه يفضله في رأينا ما أثبتناه . وجاء مثل ذلك في الصفحة السابقة ، راجع الحاشية الثانية فيها .

لتأخر الجواب سائلا ، وراح كلٌّ منهم عمّا أنتجتْ عُشَراؤه قضيته سائلا ، فلم يُسْتَمَعْ عن ذلك أثر ، ولا رؤِيَ له عينٌ ولا أثر .

وكان ابنُ سعادة الحمصيُّ كثير الاجتماع بفارس بن سنان الحلبيِّ ، وكان فارسٌ من الشعراء المجيدين ، والأدباء المجدودين ، والفضلاء المجتهدين ؛ قد أربى على أقرانه ، وفاق أبناء زمانه ، وله كلُّ شاردة القوافي ، سالمةُ القوادم والخوافي . فاجتمع به صبيحةَ الليلة التي فيها اجتمعنا ، ونَعِمْنا بالحضور والمحاضرة فيها واستمتعنا ، وأخبره بقدومي ، وبلغه تحيتي وتسليمي ، فوافاني من الغد مسلِّما مُهَنّيا ، وناداني إلى منزله مستدعِيا ؛ فأجبتُه الى مُراده ، وانطلقت معه طلَقَ العنان الى مَراده ؛ فاذا جماعةٌ من ذوي الأدب حاضرون ، وفي رَميْدان البيان مُحضِرون ، وبأنواع الفصاحة والبلاغة متحاضرون ، فاستبشروا بوردي ، وأقبلوا على تقبيل يدي ؛ فما استقرَّ بنا المجلس ، ولا رَجَعَ نفسَهُ المتنفّس ، حتى أحضِر كانونٌ من الصفْر الأصفر ، وناره تحت فَحْمه كلابس مِغفر ، على قناع مزعفر[1] ، ودخانه أطيب من دُخَان العودِ الأذفَر ، شكله مربّع ، وأرجلُه أربع ، وقد أحسن فيه صانعه وأبدع ، واستفرغ جُهْده فيه أجمع ، يستوقف حسنه الأبصار ، وتُعْوِز مثلَه الأمصار ، ويُشَهِّي ناره دخولَ النار ، في يوم بَرْد (كأنّ)[2] كلَّ مُكتَسٍ فيه عارٍ ، وما اكتساء الكساء فيه بعارٍ ، كأنّما نارُه وقد خذتْ في أطراف الفحَم ، ثغرُ سوداء ابتسم ، أو الفجرُ افترَّ في وجه الظلْم . فراق منظرُه الأعينَ ، وأفحَم عن وصف ناره وفَحمِه الألسنَ ؛ فقلتُ للحاضرين : أمَا ترون هذا المنظر البَهج ، كأنه صحن عقيق نُثِر عليه سبَبَج ؟![3] فقال مَن عن يميني : كأنّ منظر

---

(١) في المتن : معصفر . والذي أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

(٢) زيادة في الهامش .

(٣) السبج : الخرز الأسود .

الأنيق ، بِبَنَفْسَج نُضِدَ على شقيق . وقال الآخر : ما أشبَهَه بطبق من ذهب ، مُلِئَ بمسودٍّ من العنب . وقال رجل الى جانبه : كأنه أناملُ سوداء مُشَبَّكَةٌ على نارنجة صفراء .

فقلتُ : أنتم شعراء العصر ، ومالِكو زمام المدّ والقصر ، وفصحاء أبناء الدهر ، وبلغاء البدو والحضر ، ولكم في النظم كلّ عود نضر ، واليكم مرجع الأمر في صنعة الشعر . فما لكم وللنثر ، وقد جمع منكم هذا المكانُ سادةً لا يساعد مثلَه على مثلِها الإمكانُ ، ولا واللهِ ليس له بأختها يدان ، ولو أطاع له القدر ودان ، فأنشِدوا يا ذوي الفضائل ، ما رويتموه عن مَن رأيتموه من شعر الأوائل ، فلديكم من الرواية كل فن طائل . فقال صاحب المكان ، وهو فارسُ بن سنان : أجمل ما في مثل هذا أنشِدَ ، وأجلّ ما به عليه استُشْهِدَ ، قول ابن المعتز الذي يزداد حسناً كلما رُدِّد :

كأنما النـار في تلظّـيها والفحم من فوقها يغطّـيها[1]
زنجيّة شَبَّكَتْ أناملهـا من فوق نارنجة لتخفيهـا

وقال سالم بن سعادة ، الذي ما فوق بلاغته زيادة : أبلغ أقاويل الشعراء ، في نار الاصطلاء ، قول السَّرِيّ الرفّاء :

وذي أربع لا يطيق النهوضَ ولا يألفُ السير فيمن سرى
تُضَمِّنُه سبجـاً أسوداً فيجعـله ذهبـاً أحمـرا[2]

وقال الثالث ، فأنسى بإنشاده الثاني والثالث ، وهو أحمد اللالائي الذي هو لكل فضيلة مترائي : أفصَحُ ما خرج من بين شفتين ، وأصنَعُ ما ولج في

(١) ليس هذان البيتان في ديوان ابن المعتز المطبوع في القاهرة وبيروت واستانبول ، وتنسبها بعض كتب الأدب إلى غيره وقد تجعل (تلهبها) بدل (تلظيها) .

(٢) أثبت هذين البيتين للسري الرفاء الثعالبي في يتيمته (١/٥١٠ من طبعة القاهرة ١٩٣٤) ولكنه ذكر (تحمله) بدل (تضمنه) .

أذنين ، قولُ أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين (١) :

ومُقْعَد لا حَراكَ يُنْهِضه وهو على أربع قد انتصبا
مصفّر مُحْرِقٍ تَنَفّسه تخاله العينُ عاشقا وَصِبا
إذا نَظَمْنا في جيده سَبَجا صيّره بعد ساعة ذهبا

وقال الرابع ، وهو شابٌ بحسن صورته رائع ، يَشْغَل بصباحته الرائي ويُذْهِل بفصاحته السامع ، دهشْتُ عن معرفته ، بما شهدتُ من معرفته : أطرفُ ما أُنشِدَ في هذا المعنى المستجاد ، وألطف ما رُدِّد فيه الإنشاد ، ما نظمه فيه ظافرٌ الحدّاد :

كأنَّ سواد الفحم من فوق جمرِهِ وقد جُمِعا فاستُحْسِنَ الضدّ بالضدِّ
غدائرُ خَودٍ فَرَّقَتْها وقد بَدَتْ على خَفَرٍ من تحتِها حُمْرةُ الخدِّ

فقلتُ لهم : ابلَغُ من الجميع ، وأبدعُ من البديع ، وأصحُّ ما صُنِع في هذا المعنى الصنيع ، شعرُ أبي الحسن عليّ بن وكيع (٢) :

فَحَمٌ أحضَرَ الغلام إلينا في كوانينه حياةُ النفوسِ
لَقِيَ النارَ في ثياب حِدادٍ فَكَسَتْه مُصَبَّغات عَروسِ
كان كالآبنوس غيرَ مُحَلّى فانْثَنى وهو مُذهَبُ الآبنوس

فاستحسنه الشيب والشبّان ، الحاضرون في ذلك المكان ، وقالوا : هذا واللهِ من الأشعار الحسان ، التي تلج الآذان ، بلا استئذان . فقلتُ : كيف لو سمعتم شعرَ بعض المغاربة ، الذي ألحق طوالع كواكب الشعراء بالغاربة ؟ فقالوا : باللهِ إلاّ أسمعتنا ، وأدمتَ ما به أمتعتنا . فأنشدتُ ، وما ترددتُ :

هاتِ التي للأيْك أصلُ وِلادِها ولها جبين الشمس في الأشماسِ

---

(١) يروي هذه الأبيات صاحب اليتيمة (١٦٧/٢ من الطبعة المذكورة) لأبي بكر الخالدي ولا يشرك فيها أخاه أبا عثمان ، وهو يوردها في قصيدة طويلة .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٣١٧/١ و ٣٤٤ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في روايتها وينسبها لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي .

أنسُ الوحيد وصبحُ ليل المُنْتَشي ولباس مَنْ أمسى بغير لباس
بيضاء تونُل في السوادِ كأنما ضُرِّبَتْ بعرق في بني العبَّاس

فقالوا : زِدْنا من إنشادِك ، لا حدْثَ عن سَنَن رشادِك . فأنشدُتهم قول الصنوبري (١) ، الذي هو من الحسن مَبْرِيّ ، ومن العيب بريّ :

أمَا ترى البردَ قد وافت عساكره وعسكرَ الحرِّ كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت سقيط الثلج تحسبها قدأُلبِست فَنَكاًو غُشِّيَت ورِقا
فانهض بنار الى فحم كأنها في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبِّ حين سلا برداً فَصِرنا كقلب الصب إذ عشقا (٢)

فطربت له الجماعة ، طربا كاد يُكْسِبُهم الزماعة (٣) ، وقالوا : زدنا من هذه الأناشيد ، التي أحكم بناء معانيها وشيد . فقلتُ : أمَدُ إنشادي لا ينتهي ، وقوة مددي فيه لا تَهي ، وكلكم اذا نظم أزرى بمُوثِقات العقود ، وأتى بأبيات مُوثقات العُقود ، كأنها حلاوة ذوب العسل المعقود ، وتكاد إذا أُنشِدت تُلحِق القيام سُكْراً بالقعود ، فانظموا من فرائدكم المنتقاة ، وأنفقوا مما آتاكم الله ، فابتدر ربُّ البيت ، وأنشد بيتين أعذبَ مَذاقا من الكُمَيتِ ، ولم يَقُل كَيْتَ وكَيْت :

أُنظر لكانوننا وما فيهِ وقد بدا بيننا تَلَظِّيه
يأخذ فَحْما كأنه سَبَج يتركه عسجداً لرائيه

(١) ابو بكر أحمد بن محمد (يقول بروكلمان في الذيل ١/١٤٥ : محمد بن احمد) الصنوبري (ت ٣٣٤ / ٩٤٥) شاعر محسن وأكثر أشعاره في وصف الطبيعة والفصول والورد ، ممن تحدث عنه الطباخ في اعلام النبلاء ٤/٢٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٦١ .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٢/٣٠٩ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في رواية البيت الثاني منها وينسبها للقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد ابن داود (من شعراء البصرة) في البيت الثالث رواية الأصل : (بفحم الى نار) ، وفي الهامش ما أثبتناه .

(٣) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان ، وزمع منه : دهش . ولم نجد للزماعة التي ذكرها المؤلف معنى يناسب سياق الكلام .

وتلاه سالم فأنشد عَجِلا ولم يتردَّد ، بيتين أحسنَ نظاماً من عقود الزبرجد :

وحبَّــذا منقلُنا ونارُه ذاتُ الوَهَجْ
صار عقيقاً فحمُهُ مِن بَعد ما كان سبج

ثم تلاه أحمد ، فحمد الجماعة ما أورد ، واسترشد كلٌّ ما أنشد :

كأنّما نارُنا وقد علقت [1] في الفحم منها أوائلُ الوهجِ
جامُ عقيق عليــه قد نُثِرَتْ قلائدٌ نظمتْ من السبجِ

ثم أتى ذلك الشاب ، بما شمط له مَفرِق سامعه وشاب :

أتانا بكانونٍ بكانونَ تلتظي به جَذوة في الفحم ذات توهّجِ
كروض زهورجاده الطلُّ أوبدا خِلالَ شقيق فيه نَوْرُ بنفسج

وانتهت النوبة إليّ ، وقد نظمتُ ما وجب عليّ [2] ، فأنشدتُ لما فَرَغ من الإنشاد ، كأنما كنّا على ميعاد :

أتانا بكانون يَشُبُّ اضطرامُهُ كقلب محبّ أو كصدر حسودِ
كأنّ أحمرار النارمن تحت فحمها خدودُ عذارى في معاجر سودِ [3]

فاستحسنه الحاضرون واستجادوه ، ولولا فرط الحسد عليه لاستعادوه . ثم استهوتنا شياطينُ الفكاهة المتمردةُ ، إلى أن خَمَدَتْ تلك النارُ المتوقّدة ، واستبدلتْ بعد سواد فحمها رماداً يقفا [4] ، واكتست قضبان عسجدها من الورِق وَرَقا ، وأرَتِ الناظرين رُواءً مُونِقا ، إلا أنّها بدت بعد الافترار ، في بُرْقُع الاكفهرار ، وأعادتْ إلى كنائن الرماد ما فوّقتْه من سِهام الشّرار ، ولبِست لباسَ الأخيار ، وخلعت لباسَ الأشرار ، وتوارى ما كانت تُريه من الأُوار ، وأصبحتْ بعد جماح اتّقادها ، وارتدت [5] برداء رمادها ، فلاحت كالشهبان تحت ظُلَل

(١) في الأصل : ظهرت ، بدل علقت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) في صلب النص : وقد برئت مما وجب على . وفي الهامش ما ذكرناه .
(٣) جاء في الهامش هنا : المعاجر جمع معجر وهو ما تشده المرأة ، كما في الصحاح .
(٤) اليقق : الأبيض أو شديد البياض .
(٥) في الأصل : والتحفت ، وفي الهامش ما أثبتناه .

الغمام الخفيف ، أو الخرصان (١) لمعت خَلَلَ الغمام الكثيف ، وجعل كلٌّ منهم يرميها بسهام ناظره ، ويجيل فيها قِداحَ خاطره ، (ويقتدح زناد قريحته ، ويُشمِل بعملات فكرته ،) (٢) فقلت : ما أشْبَهَهَا في حالها الماضي والآتي ، بقول عليّ ابن الساعاتي : (٣)

انظر الى الكانون في بدئه وبعد ما يخمد منه اللهبْ
بينا تراه سبجاً مُذْهَباً حتى ترى الكافور فوق الذهبْ

فراق عقولَ الحاضرين وأعجبهم ، وشاقَ قلوبَ الحاضرين وأطربهم . فقلت : وأين أنتم عن العُجاب ، الذي إذا دَعا إلى مثلِه الخاطرُ لا يُجاب ، وهو قول السريّ الرّفّاء (٤) ، القائم للمعاني بشروط الوفاء :

خَفَقَتْ رايةُ الصباح ولاحَـا (م) رِ لهيبٌ كالراية الصفـراء
لمعت للعيون بعد سواد فأضاءت حنـادسَ الظلماء
واستقرّت تحت الرماد فَخِيلَتْ ذهباً تحت فضة بيضـاء

فقال سالم : لله در كشاجم ، المفحم عن معانيه شعراء الأعارب والأعاجم :

كأنمـا الجمرُ والرمادُ وقد كاد يُواري من ناره النورا
وردٌ جَنِيٌّ القطاف أحمرُ قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا (٥)

فقال فارس بنُ سنان : أحسنُ منه قول سيف الدولة بن حمدان :

كأنما النار والرمادُ بهـا وضَوْؤها في ظلامه يحتجبْ

---

(١) الخرص واحد الخرصان وهو الرمح اللطيف والقناة والسنان .
(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش ولم يرد في الأصل .
(٣) ورد هذان البيتان في ديوان ابن الساعاتي (ص ١١٦ ج ١ طبعة بيروت ١٩٣٨) باختلاف يسير . ولكن ناشر الديوان الأستاذ أنيس المقدسي وهم فظن أن في رواية الديوان خللاً في وزن البيتين فحوّر وبدّل حتى أخرجها عن وزنها الى وزن آخر .
(٤) ابو الحسن السري بن احمد الرفاء الكندي الموصلي ، انظر ترجمته في بروكلمان (١/٩٠ والذيل ١/١٤٤) واليتيمة (١/٤٥٠) وأنساب السمعاني وابن خلكان ....
(٥) ورد هذان البيتان في ديوان كشاجم (ص ٤٢ من طبعة بيروت ١٣١٣) مع اختلاف يسير في روايتهما .

وجنةُ عذراء مَسَّهـا خَجَلٌ فاستَتَرَتْ تحت عنبرٍ أشهبْ (١)

وقال أحمد اللالائي ، غير عاب ولا مرائي : قول المأموني أبي طالب ، من هذا المعنى متقارب :

ما ترى النار حين أسقمها القرُّ (م) فأضحت تخبو وحيناً تَستعِرْ

وغدا الجمر والرماد عليـه في قميصين : مُذْهَبٍ ومُعَنْبَرْ (٢)

وقال الشابّ الغريب : قول ابن صارة من هذا قريب :

ما كابنة الزند للمقرور فاكهة إذ يُجمِدُ البردُ منه ساعداً ويدا

جاءوا بياقوتةٍ حمراء قد قطعوا مِنْ مِسكِ دارينَ أثواباً لها جُدُدا

حتى إذا ما تفطَّت بالرماد حكت ورداً عليه سقيط الطلّ قد جَمَدا

فقلتُ لهم : أحسنتم وما ونَيتُم ، ولا ورَّيتُم فيما رَوَّيتُم ، ولا ارتبتم فيما أتيتم ، فلله أنتم ، فلقد أرفدتم وأفدتُم ، وشأَوْتُم نظراءكم وفقتم ؛ ولكن على العمل المعولّ ، فافعلوا في الثاني فعلكم في الأول ، وشنّفوا الآذان بما تنظمونه من اللآلي ، وائتوا وإن كنتم من الأواخر بما لم تستطعه الأوائل (٣) .

فنهض ابن سنان ماثلا ، وأنشد لنفسه متمايلا :

أُنظرْ الى كانوننـا لترى ما شئته من منظرٍ أنِقِ

والفحمِ قُضُبٌ يبدلهـا بعد السواد بأبيض يقَقِ

فكأنها قضب النُضار علا مِن فوقها ورَق من الورِق

---

(١) ورد هذان البيتان في اليتيمه (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) لسيف الدولة مع اختلاف يسير في روايتهما .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١ من الطبعـة المذكورة) هذين البيتين لأبي طالب المأموني الرقي باختلاف يسير في الرواية . ثم يترجم له (ص ٢٤٤ ج ١) .

(٣) ينظر في هذا الى قول المعري في سقط الزند :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

فقلنا : هذا والله هو السحر الحَلال ، الذي يعجز أن يأتي بمثله أبناء الحِلال [١] .

وقفاه ابن سعادة فاتنى رشدا ، وأطرب حين شدا :

والجمر يحكي في الرماد الذي يَستُر عنه غيرَ مستورِ
كواكباً من ذهب أشرقت على سماء من طباشيرِ

وأظن هذين البيتين من شعر أبيه ، بلا تمويه ، لأنّ سالماً كان عاجزاً عن البديه . وسألتُه فيما بعد عنهما ، ولمن هما . (فقال : ليس الكذب من مذهبي ، هما) [٢] من شعر أبي .

ثم قام غلام اللالا ، ومد صوته بالانشاد له وعالى :

قد شابت النار في الكوانينِ مُذْ شبَّ بردٌ أتى بكانونِ
كأنها والرماد يسترها وردٌ بدا من خلال نِسرينِ

وبرز ذلك الشابُّ بروزَ البطل ، وحلّى بانشاده ما كان من حاله ذا عَطَل :

وافى الغلام بمنقل مُتَضمِّن ناراً فياطوبى لها من نارِ
وتوقدتْ في فحمه جَمَراته كالخدّ يُشرق في سواد عِذار
وخبَتْ فخيلتْ رمادها من فوقها حبباً تنظَّم فوق كأْس عُقار

ثم وجب تكميل الدائرة عليّ ، وألقى القوم أسماعهم إليّ ؛ فبقيتُ مفكراً في معنى لم أُسبَق اليه ، ولا عرّجتْ قريحة قبل قريحتي عليه ؛ لأنهم قد استعملوا أجلّ المعاني ، التي مثلي لمثلها يُعاني ؛ وعافت نفسي الموارد المطروقة ، وأنفت أن تأتي بمعنى تكون اليه مسبوقة ؛ فجعلتْ قريحتي تبني وتهدم ، وفيكَري توجد وتُعْدِم ، فكأنّ القوم أطلعوا طِلْعي ، وعرفوا عزوفَ طبعي ، فجعلوا يترقبون صُنعي . وكنتُ شاهدتُ مرة فاختة صدحت ، فَصُرعتْ وذُبحت ،

---

(١) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي المحلة والمجلس والمجتمع والقوم النزول فيهم كثرة .
(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش فقط .

فانتشر ريشها على الدم ، فأشبه كافوراً ذُرّ على عنْدَم ، أو رماداً علا ناراً لم تخمَد . فقلتُ : هذا معنى ما هجَسَتْ به الضمائر ، ولا حاكته فكرة شاعر ، فحاولته فأطاع ، من غير امتناع ، وأجاب من غير دفاع ، ثم أنشدتُه فسُرّت به الأسماع ، وطربت له الطباع ، وهو :

كأنما نارنا وقد خمدت وجمرها بالرماد مستورُ
دم جرى من فواخت ذُبحت من فوقه ريشهن منثور

فما في الجماعة إلا من نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر[1] ، ثم صاح وكبّر ، وقال : ما هذا قول البشر ، إن هو إلا سحر يؤثَر[2] ؛ ثم اعترفوا لي بالابداع ، وأقروا بأني لم أُسبَق اليه بالاجماع ، وقالوا : لو سمعناه قبلَ لَبُسْنا من أطمارنا ما لبسنا ، ولحبَسْنا ألسُنَنا ، عن القول وما تبَسّمنا ، ولكن فات ما ذُبح ، وخسر مَنْ خسر وربح مَن ربح ؛ وأجمعوا على أن هذا هو الكلام الحرّ ، المُربي حُسْناً على الدراري والدُّر ، وأنه لم يَسبِقْ شاعرٌ الى مثله ، ولا خطر خاطرٌ من قبلِه في سُبله ، وأن الفضل أبى أن يكون إلا لأهله . ثم انصرفنا ، وتشعّبنا في أشغالنا وتصرفنا .

وهذه رسالة رق معناها وراق لفظُها ، ووَجب على كل متأدب حفظها ، وقد وافيتُ بما وعدتك به من إملائها ، ووفّيْتُ بما عاهدتك عليه من تجرير ذيول مُلائها ؛ ومصرّف الأحوال ، مسؤول في تجديد صلاح الأحوال[3] ، وتجويد إصلاح الأقوال والأفعال ، إنه هو الكبير المتعال ، ولكل ما يريد فعّال ، والحمد لله الذي إليه المُنقلَب والمآل ، وصلواته على نبيه محمد وعلى مَن له من صحابة وآل ، ان شاء الله .

***

(١) اقتباس من الآيات الكريمة : ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سورة المدثر ٧٤ .
(٢) اقتباس من الآيتين الكريمتين : ٢٤ و ٢٥ من السورة نفسها .
(٣) الأحوال الثانية لعلها جمع حول بمعنى السنة .

سمع جميعَ هذه الرسالة ، من لفظ منشيها السيدِ الأجلّ الامام العالم العامل الفاضل الكامل أمين الدين سيد الوزراء والفضلاء والأدباء أمين الدين جمال الإسلام أبي الفضل عبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب أدامه الله ، صاحبُها سيدُنا وشيخنا الامام الحافظ العالم الزاهد الأصيل تاج الدين بقيةُ السلف أبو الحسن محمد بن الامام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي ، وابنه أبو بكر محمد وفقه الله ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي ، وشرف الدين ابو عبد الله الحسين بن ابرٰهيم بن الحسين ، وعز الدين ابو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإرْبِلِيّان ، وجمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني ، وابنه أبو المعالي أحمد وهو في آخر الخامسة ، وشمس الدين ابو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري ، وعبد الرحمن بن يونس التونسي ، ومجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الناسخ ، ومحمد بن أبي بكر بن ابرٰهيم الشاغوري المؤذن ، وعثمان بن يحيى المؤذن بالكلاسة ، وأحمد بن يحيى بن عبد الرزاق المقدسي ، وابرٰهيم بن داود بن ظافر الفاضلي ، ومحمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، وعبد الله بن سالم ابن ثمال العرضي ، ومحمد بن علي بن محمد بن منصور اليمني رحمه الله ، وهذا خطه ؛ وصح ذلك في يوم الخميس ثالث عشر ذي حجةِ سنةِ أربع وثلثين وستمائة ، بزاوية الحديث الأشرفية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله ، والحمد لله وحده ·

التكية السليمانية في دمشق

- ١ -

ان التكية التي أمر بإنشائها عند مدخل دمشق الغربي السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني على انقاض القصر الأبلق للملك الظاهر بيبرس هي من أروع الفن المعماري التركي ، والأبدع من بنائها هي الغاية السامية التي أسست من أجلها .

عثرت بين سجلات مديرية أوقاف دمشق على نسخة عن وقفية هذه التكية سجلت فيها أوقافها وعينت نواحي البر التي يجب انفاق غلاتها عليها . ولو سلمت الى يومنا أوقافها لكفى ريعها لإنشاء عدة جامعات عصرية وعشرات المؤسسات الخيرية . قدر عشر هذه الأوقاف بموجب حكم صادر عن محكمة التمييز السورية عام ١٩٣١ بنحو من ثلاثة ملايين قرش تركي ذهباً .

يكمن وراء كل مؤسسة دينية اسلامية هدف خيري وثقافي ، ولو رجعنا الى نصوص وقفياتها لكشفت لنا عن صفحات مشرقة من الحضارة الاسلامية وتفننها في أساليب نشر الثقافة الدينية والى جانبها الحدب على اليتيم والمسكين والمريض ، هذا ما حملني على نشر هذه الوقفية التي تعطي فكرة واضحة عن الدافع الحقيقي الى تأسيس المعاهد الدينية واقبال المسلمين عليها وجعلها صدقة جارية ابتغاء ثواب الله ومرضاته .

حذفتُ من هذه الوقفية مقدمتها المقتصرة على إطراء مزايا الواقف والدعاء له لطولها وتشويه نصها ولأنها لا تفيد موضوعنا . وقد تعذر عليَّ تحقيق هـذه

الوقفية ومقابلتها على نسخة ثانية صحيحة[1] ، ولهذا لم يتبين لي وجه الصحة في بعض المواضع فنقلتها على علاتها .

بيان القرى الموقوفة

١ — الزبداني (الكامل)
٢ — كفر عامر من نواحي الزبداني (الكامل)
٣ — الكرمة من نواحي الزبداني (١٨/٢٤ قيراطاً)
٤ — الأشرفية من توابع الزبداني (الكامل)
٥ — الحارة من نواحي الزبداني (الكامل)
٦ — العادلية من توابع وادي العجم (٢١/٢٤ قيراطاً)
٧ — زاكية من نواحي وادي العجم (الكامل)
٨ — صيدنايا من توابع ناحية العسال (الكامل)
٩ — معرة صيدنايا (الكامل)
١٠ — ماطي من توابع معرة صيدنايا (الكامل)
١١ — المرج من أعمال الشام (١٥/٢٤ قيراطاً)
١٢ — المزة من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٣ — سفيرة من أعمال الشام (١٦/٢٤ قيراطاً)
١٤ — قبر الست وتعرف أيضاً بالراوية من توابع غوطة دمشق (الكامل)

---

(١) لم أتمكن من الوقوف على النسخة الأصلية التي نقلت عنها نسخة مديرية أوقاف دمشق المحفوظة لدى أحد ورثة الشيخ أسعد الصاحب متولي التكية المذكورة في العهد العثماني . وقد أفادني الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان انه يوجد نسخة ثانية في الخزانة التيمورية في القاهرة في الرسالة (٢٣) من المجموع المخطوط رقم (٢٦٦) إنشاء محمد چلبي المنشيء لم أطلع عليها .

١٥ - عقربا من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٦ - القصيبة داخلة في حدود عقربا (الكامل)
١٧ - فرحتا من أعمال الشام (الكامل)
١٨ - مزرعة الفويخته من توابع قرية فرحتا (الكامل)
١٩ - دوما تابع الغوطة (الكامل)
٢٠ - مسرابا تابع الغوطه (الكامل)
٢١ - دورس من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٢ - مزرعة بلطي قرب دورس (الكامل)
٢٣ - ايعات من توابع بعلبك (الكامل)
٢٤ - طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٥ - كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٦ - مزرعة كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٧ - سرعين من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٨ - حور تعلايا من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٩ - مزرعة الرقايق من أعمال بعلبك (الكامل)
٣٠ - بيت شامان من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣١ - الفرزل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٢ - مزرعة كفرعنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٣ - مزرعة البروفية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٤ - مزرعة العونية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٥ - مزرعة تليلة من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٦ - قصر بنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٧ - رياق البصل من نواحي كرك نوح (البقاع) (٢٠/٢٤ قيراطاً)

٣٨ – ارعيت من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)

٣٩ – مزرعة الكفيرات من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)

٤٠ – القرية من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤١ – السعادة من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤٢ – الدلهمية من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤٣ – الطيرية من جبل عاملة (الكامل)

٤٤ – الطيبية من جبل عاملة (الكامل)

٤٥ – كوكب الهواء قضاء طرطوز اللاذقية (الكامل)

٤٦ – الماعون (الكامل)

٤٧ – ازرع من أعمال حوران (الكامل)

٤٨ – مزرعة مليحة (الكامل)

٤٩ – داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام (الكامل)

الوظائف المحددة في الوقفية

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
متول	١	٥٠ درهماً
كاتب شهيد	١	١٥ درهماً
جاب	١	٦ دراهم
جاب قضاء بعلبك والكرك	١	١٠ دراهم
امام	٢	١٥ درهماً لكل منهما
موقت	١	٥ دراهم
بواب	١	٥ دراهم
فراش	١	٥ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
كناس	١	٥ دراهم
شعال	١	٥ دراهم
مبخر	١	٢ درهمان
رئيس الحفاظ	١	٥ دراهم
قراء حفاظ	٦	٢ درهمان لكل منهم
مُعَرِّف	١	٢ درهمان
شيخ الاجزاء	١	٤ دراهم
قراء	٢٩	٢ درهمان لكل منهم
مفرق الاجزاء	١	٢ درهمان
مراقب الدوام	١	٢ درهمان
قاريءُ عشر بعد صلاة الظهر	١	٤ دراهم
قاريءُ عشر بعد صلاة العصر	١	٤ دراهم
واعظ	١	١٠ دراهم
قاريءُ مجود لسورة يسٓ بعد صلاة الصبح	١	٣ دراهم
قاريءُ مجود لسورة عمَّ بعد صلاة العصر	١	٣ دراهم
حافظ المصاحف	١	٢ درهمان
كناس وفراش الحرم	١	٢ درهمان
بواب الباب الشرقي	١	٥ دراهم
بواب الباب الغربي	١	٥ دراهم
فراش الضيفان	١	٥ دراهم
ناظر الطعام	١	٦ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
موزع الخبز	١	٦ دراهم
موزع اللحم	١	٦ دراهم
أستاذ الطبخ	٤	٧ دراهم لكل منهم
تلميذ لخدمة الأساتذة	٦	٤ دراهم لكل منهم
خباز	١	٧ دراهم
تلميذ لخدمة خبز الخبز	٤	٥ دراهم لكل منهم
وكيل خرج للعمارة	١	٦ دراهم
حمال صحون الأطعمة لبيوت الضيافة	٢	٢ درهمان لكل منهما
حمال طاسات الأطعمة الى الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
منظف أواني بيوت الضيافة	١	٢ درهمان
منظف طاسات طعام الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
مموه ومبيض الاواني والطاسات	١	٤ دراهم
دقاق حنطة	١	٥ دراهم
خازن	١	٦ دراهم
تلميذ خازن (معاون)	١	٢ درهمان
حمال الحم	١	٤ دراهم
منقي الحنطة	٤	٢ درهمان لكل منهم
بواب العمارة والمآكل	٢	٤ دراهم لكل منهما
خازن الأنبار	١	٤ دراهم
	١٠٣	

نص الوقفية بعد حذف المقدمة

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

. . . .

. . . .

أراد الواقف السلطان المنوه أعلى الكتاب بذكره الشريف المستطاب لا زالت أعلام معالم عدله واحسانه منشورة ولا برحت بلاد الأرض بما رحبت بحمايته معمورة أن يرتب من الوقف الدار والبر البار النافع المدرار القابل للاستغلال والاستثمار ما يقوم بأوده ويعوله وما يحده حدوده ويصونه صيانه فقد وقف وأبد وأرصد وخلد عن صميم طوية على الإخلاص مطوية وصفاء نية [1] سنية جميع ما هوله وما هو له وملكه، وبيد سلطان تصرفه سلكه بمقتضى شراء شرعي صحيح .

وذلك جميع القرية المعروفة بالزبداني من أعمال دمشق الشام لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين بها أشجار منوعة الثمار مخرجة على أربابها حدها قبلة أراضي كفر عامر وشرقاً أراضي مضايا وشمالاً أراضي قرية الكبيرمه [2] وغرباً أراضي الحارة .

وجميع قرية كفر عامر من نواحي الزبداني المشتملة على أراضي معتملة سهلة ووعرة المحدودة قبلة قرية الزبداني وشمالاً أراضي قريه الدله ومن توابعها سربه والقصاص وحدهما قبلة أراضي الزبداني ومضايا وبينهما درب المجال وشرقاً كذلك الا أن بينهما طريقاً وشمالاً حقل الخلص وغرباً أرض قرية السفيرة .

وجميع الحصة من قرية الكرمة من نواحي الزبداني وقدرها ثمانية عشر قيراطاً

(١) في الأصل : وصفا دينه .

(٢) تأتي فيا بعد باسم قرية الكرمة ولم يتبين لي وجه الصواب .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وبساتين حدها قبلة عين الحداد وشرقاً مقلب ماء بئر الملاح وطريق مضايا وشمالاً وادي بو الخير من أرض بلودان وغرباً حقل بيت الزيني ·

وجميع قرية الأشرفية من توابع الزبداني المحتوية على وعور وسهول ومعتملات المحدودة قبلة بصحايا[١] وشرقاً بقناة البويضي[٢] وشمالاً بأرض داريا وغرباً بدرب معاسل[٣] ·

وجميع قرية الحارة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة المحدودة قبلة سحراما(؟) وشرقاً أراضي الزبداني وشمالاً أراضي كفر عامر وغرباً أراضي كفر تفاح ·

وجميع الحصة من قرية العادلية من توابع وادي العجم من أعمال الشام الحاوية على أراضي وحقول وقدرها أحد وعشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً المحدودة قبلة جملتها بمزرعة الحجَر والميصرة وشرقاً بمزرعة تل الغبار وشمالاً بالخليج وغرباً بأراضي حرجلة ولها الثلثان وسير حق شرب من ماء الأعوج المنقسم من مزاز الكسوة ·

وجميع قرية زاكية من نواحي وادي العجم المحدودة قبلة بأراضي قرية الرجم وشرقاً بأرض مزرعة الدوير وتمامه قبلة الطريق الى شقحب وشمالاً بأرض العباسية ولها الثلثان حق شرب مستمد من نصف ماء الأعوج المقسوم من مزاز الحسينية ·

---

(١) صوابها : صحنايا

(٢) صوابها : البويضة .

(٣) لا يتفق تحديد هذه القرية مع حقيقته المعروفة وان التشويش ظاهر في هذه الفقرة لأن القرية المذكورة هي من أعمال الشام أو الاقليم الداراني لمجاورته . واما التابعة للزبداني هي أشرفية الوادي لا هذه . وربما الناسخ قد مزج بين الأشرفيتين وأسقط من النص إحداهما .

وجميع الحصة المعلوم قدرها شرقاً من القرية المعروفة بالصيدنايا من توابع ناحية جهة المسال من مضافات دمشق المحروسة المحدودة قبلة بكروم معرة الصيدنايا وشرقاً بين الراسين والجبــل الممتد على الضير (؟) وغرباً بأراضي قرية تلقاس وقرية تلفيتا .

وجميع قرية معرة الصيدنايا المحدودة قبلة جبل الخالوص وشرقاً بمقلب ماطي المنتهي مجراه منحرفاً تارة ومستقيماً أخرى الى الطريق العام وشمالاً بكروم الصيدنايا وغرباً بمقلب ماطي وتمامه كيمان أحجار .

وجميع الحصة من المزرعة المشتهرة بماطي من توابع القرية المذكورة وقدرها ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً حدها القبلي جبل الحطا والشرقي مقلب ماطي والشمالي الطريق العام والغربي أراضي منتين[1] .

وجميع الحصة من قرية مرج من أعمال الشام وقدرها خمسة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع معلومة الحدود عند أهاليها .

وجميع قرية المزة تابع غوطة دمشق المحروسة لها دمنــة عامرة تشتمل على أراضي معطلة ومعتملة وبساتين وحقوق[2] ولها شرب من ماء القناة المختصة بها المستمد من نهر بردا أحدها[3] قبلة أراضي مزرعة القصور وتمامه أراضي داري[4] الكبرى وأراضي كفرسوسيه وشرقاً أراضي كفرسوسية وتمامه أراضي مزرعة الحربة وشمالاً نهر القنوات الجاري الى طاحون الشريف ثم يأخذ مغرباً الى نهر بردا والربق[5] وغرباً الجبل .

وجميع الحصة من قرية سفيرة[6] من أعمال الشام وقدرها ستة عشر قيراطاً

(١) صوابها : منين .
(٢) صوابها : وحقول .
(٣) صوابها : يحدها .
(٤) صوابها : داريا .
(٥) لعلها : الربوة .
(٦) غير معروفة اليوم .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على دمنـة عامرة ومعتملات ومنافع وحقول معروفة الحدود عند الجيران .

[وجميع] قرية قبر الست وتعرف أيضاً الراوية وتشتمل على أراضي معتملة وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة وحقول وشربها من ماء القناة المختص بها شرعاً ولها شرب أيضاً من ماء قناة حجيرا عدان بالتناوب حدها القبلي قناة مزرعة قوين [1] والشرقي أرض قرية عقربا والشمالي أرض قرية ببيلا والغربي الدرب السلطاني ومن توابعها الداخلة في حدودها قطعه أرض تعرف ببستان الديل .

وجميع قرية عقربا المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر وبساتين ودمنة عامرة لها من نهر عقربا شرب معلوم حدها القبلي قناة مزرعة عين كيل والشرقي أرض قرية الشعبا [2] والساحلية والشمالي قرية تليثانا [3] والغربي قناة قرية الجدلية [4] .

وجميع مزرعة القصيبة [5] المختصة بها الداخلة في حدودها .

وجميع الحصة من قرية قرحتا تابع القبلي وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني ودمنة عامرة لها من نهر الحازوم غربياً شرب ليلاً ونهاراً و شرب آخر من الماء المستمد من نهر الأعوج المحدودة قبلة بنهر الأعوج وشرقاً بنهر الغزلانيـة وشمالاً بأرض مزرعة الميدانية وغرباً بأرض مزرعة الأشرفية .

وجميع مزرعة الفويخة [6] تابع القرية المذكورة المشتملة على أراضي ومنافع وحقول حدها قبلة نهر قرية قرحتا المعروف بالكسواني وشرقاً نهر . . . [7] وشمالاً

---

(١) غير معروفة اليوم .
(٢) صوابها : الشبعا .
(٣) صوابها : تلفيانا .
(٤) صوابها : الجدانة .
(٥) لعلها : قصيبان اسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج قرب بيوت ببيلا .
(٦) صوابها : الفويختة .
(٧) فراغ في الأصل .

ـف قطعة العرفان السامى بأبي يزيد البسطامي قدس سره وغرباً التل الرفيع ٠

وجميع قرية دوما تابع الغوطة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وكروم منافع ولها من ماء نهر ثوره شرب معلوم ويحدها قبلة مزرعة حرستا وادبا[(١)] صغرى وشرقاً قناة قرية الشفونية وشمالاً الجبل وغرباً أرض قرية حرستا ٠

وجميع قرية مسرابا المشتملة على أراضي معتملات وبساتين ومنافع ولها شرب معلوم من ماء نهر ثوره ومن قناتيها المختصتين لها قبليها أرض قرية كفرمديرا شرقيها أرض قرية بيت سوى وشماليها أرض قرية دوما وغربيها أرض مزرعة داريا الصغرى ٠

وجميع قرية دورس[(٢)] من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ووهاد وتلال ودمنة عامرة ومنافع وحقول يحدها قبلة رجيات الأحجار وشرقاً الطريق الى المقطع وشمالاً أرض مزرعة بلطي وأراضي بعلبك وغرباً الطريق ٠

وجميع مزرعة بلطي بقرب القرية المذكورة تشتمل على أراضي ومنافع قبليها أراضي قرية دورس الى أراضي قرية دورس[(٣)] الى أراضي مزرعـة بردا وشرقيها أراضي قرية دورس وشماليها أراضي بعلبك وغربيها أراضي مزرعة بردا[(٤)].

وجميع الحصة من قرية ايعات[(٥)] من توابع بعلبك وقدرها أربعة عشر قيراطاً وثلث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر ومنافع ودمنة معمورة يحدها قبلة مرج عدوس وشرقاً حقلة بيت الجبلي وشمالاً الطريق العام وأراضي مزرعة الزراملة وغرباً حقل البركة وأراضي مزرعة دير النبط ٠

---

(١) صوابها : داريا ٠

(٢) قاموس لبنان لوديع نقولا حنا ص : ١٠٥ ٠

(٣) لعلها مكررة ٠

(٤) لعلها برقا انظر قاموس لبنان ص : ٢١ ٠

(٥) في قاموس لبنان (ايعات) ٠

وجميع قرية طبشار من نواحي بعلبك وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة وسهلة وخزنه (١) ومنافع ودمنة عامرة يحدها قبلة حرق (٢) القرية والطريق ومجمع الطرق وشرقاً الطريق والجبل وشمالاً فلوة الماء منتهاه تجاه قلعة الحجارة ورجم أحجار تجاه حرنه (٣) المكبسه وغرباً أراضي مزرعة الرقايق .

وجميع مزرعة كنيسة طبشار ويشتمل على اراضي ومنافع وحقول حدها قبلة شراك بين أراضي طبشار ومنتهاه عين زبدان وشرقاً وادي أراضي حور تعلا (٤) وشمالاً وادي العميق الى الطريق السلطاني وغرباً الطريق العام .

وجميع قرية شرعين (٥) من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع يحدها قبلة الحجر المعروف بادريس وبيدر الحاليات وشرقاً مجمع الطريق المنتهية الى ضريح نبي الله شيث عليه السلام وتبة سقفان واعزاز وشمالاً حرف القرية ووادي المغارة وغرباً جسر الدم من المفرقين .

وجميع قرية حور تعلا (٦) وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة ودمنة مسكونة ومنافع يحدها قبلة الشراك بين أراضيها وأراضي طبشار والبلاط الى الطريق وشرقاً قلعة الصهريج ووادي بلبود وقبر الشيخ صالح وشمالاً الطريق وبركة بحاما والرجمة الطويلة قرباً (٧) قرب قبر الكاشف وعين زبدان .

وجميع مزرعة الرقايق بقرب القرية المعروفة وتشتمل منافع وحقول يحدها قبلة المسيل والطريق وشرقاً الرجمة المعروفة بقبر الكاشف وشمالاً الطريق النافذ وغرباً الطريق ووادي الذيب .

---

(١) كذا في الأصل وصوابها خربة .
(٢) صوابها : حرف .
(٣) صوابها : خربة .
(٤) صوابها : حور تعلايا .
(٥) صوابها : (سرعين) .
(٦) صوابها : حور تعلايا .
(٧) كذا في الأصل ولعلها وغرباً .

وجميع قرية بيت شاما(١) من نواحي كرك نبي الله نوح(٢) عليه السلام من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وحربه(٣) ومنافع وحقول يحدها قبلة الطريق الى العمود المطمور في وادي التين وشرقاً الحجر المطمور قرب خندق بين أراضيها وأراضي مزرعة الشخجبة وحقل القاضي وشمالاً النهر الشتوي وغرباً الشراك منتهاه وادي التين •

وجميع قرية فوزل(٤) من نواحي كرك وتشتمل على معتملات ومعطلات وسهول ووعور ومنافع يحدها قبلة جبل رجمات والطريق ونهر ليطا(٥) وشرقاً خندق الفلايح ومجمع الخنادق وشمالاً الطريق والنهر وعين علوفيه وغرباً المآء الشتوي وساقية يحوشيا •

وجميع مزرعة كفرعنا من أراضي القرية المذكورة وتشتمل على منافع وحقول يحدها قبلة الطريق منتهاه مرج الحمى وعين علوفيه وشرقاً مزرعة حالا وحقلة ابن عجروش منتهاها الحجر الأبيض وشمالاً آخر غيضة الصفصاف والمرج والخندق والطريق الى قرية رياق وغرباً مرج الحمى ومجرى نهر ليطا(٥) •

وجميع مزرعة البروفيه ومزرعة العونيه ومزرعة تليله المتلاصقات يشتملن على أراضي ومروج وجد(٦) وحقول يحد جملتها قبلة مثابن العرب وباب المخاضة والطريق من كرك الى طاحون بروفيه وشرقاً الطريق والخندق وملتقى السواقي عند طريق الدلهمية(٧) وشمالاً الطريق وحقلة الحاج علي بن مسراج وطريق تربل(٨) وغرباً الحجر الأبيض على الخندق الى الطريق •

---

(١) شرقي حور تعلايا .
(٢) شرقي زحلة .
(٣) كذا في الأصل وصوابها : خربة .
(٤) صوابها : فرزل .
(٥) اي الليطاني .
(٦) كذا ولعلها (ووعر) .
(٧) قرية معروفة شرقي معلقة زحلة .
(٨) قرية معروفة شرقي الدلهميه .

وجميع قرية تمنين الفوقا (١) من أقطار كرك تشتمل على دمنة مسكونة وأراضي وبساتين وأشجار متنوعة ومنافع وحقول يحدها قبلة المقطع بين أراضيها وأراضي عرفنا وملك ابن حنصر وحقلة أولاد طير وشرقاً أراضي بيد بيت جبريل وحقلة ابن جديد وحقول الرياسة وعين الناعمة بين أراضيها وأراضي تمنين التحتا الى الكنيسة وشمالاً النهر الشتوي وحقلة مقلد بن ساطي وحقلة ابن صلاح وطريق قصر بنا (٢) وغرباً مقلب المآء وتمامه أراضي عرفنا والمقطع .

وجميع قرية قصربنا من توابع كرك تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وسهول وتلال ومنافع يحدها قبلة كسار السطور والطريق وكرم النبعي وشرقاً الحقل وقف جامع قصر بنا وبركته عين سليمان وأراضي بيت نائل وعواميد أحجار وشمالاً العمود بين مزرعة الكنيسة والشخجية وحقلة بيت الأعرج وواد مالك والمقطع وغرباً أراضي حماندة زربق وحقلة تمنين الفوقا .

وجميع الحصة من قرية رياق البصل (٣) من أعمال كرك وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على معتملات ومعطلات ووهاد وتلال وصحارى وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة ساقية الماء بين أراضيها ومزرعة حالا وساقية النيل وطريق ارعيت وشرقاً الطريق حشمش (٤) وطريق الشام وشمالاً كرم عسكر تجاه الأشرفية الى رأس الشكارة ونصحره (٥) وغرباً صخرة القبيرات والطريق والشراك .

وجميع قرية ارعيت (٦) من ضواحي كرك تشتمل على دمنه عامرة وأراضي

---

(١) قرية معروفة غربي الفرزل . (٢) انظر قاموس لبنان ص ٢١٢ .
(٣) ملتقى الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وحلب .
(٤) قرية جنوبي رياق . (٥) كذا ولعلها (الصخرة) .
(٦) انظر قاموس لبنان ص : ١١٩ .

سهول ووعور ومنافع وحقول يحدها قبلة الحجر الموضوع في الطريق وذيل الجبل الشرقي وشقيف الزيادت[١] وأم غيلان وشرقاً بيادر راحاب وطريق بعلبك ومرج عين الكردي وشمالاً أسفل كرم ابن زقضه وقلاع القلاب وغرباً كرم ابن سعيد وصخر القطاطين وطريق حشمش .

وجميع مزرعة الكفيرات تشتمل على أراضي ومنافع وحقول قبليهـا مجرى الماء بين أراضيها وأراضي حشمش الى طريق قوسيا[٢] وشرقيها قطع أرض وقف سيدنا نوح النبي عليه وعلى نبينا سلام السبوح والطريق وشماليها الطريق البراني بها الى الطريق وغربيها الطريق من كرك الى قسايا .

وجميع القرية من أعمال كرك تشتمل على دمنة عامرة وتلال ووهاد وأراضي عمالة وبطالة وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة الجرن على مطل تربل ومضيق معذر وشرقاً شحلة وسلسلة حجازي في وادي الدير وشمالاً سلاسل وادي الدير وشومزيا وطريق عقبة حشمش وغرباً الرأس على مطل سيدنا نوح على نبينـا وعليه صلاة الله وسلام السبوح وشقيف الشكارة وسفل قرية عين .

وجميع قرية السعادة من نواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي معتملة وسهل ووعر ومنافع وحقول حدها القبلي جسر المذموم ولفتـة الساقية وحقلة الرمادة ولفتة خندق التفاح والشرقي بنهر الخصيب والمسيل والطريق بين أراضيها ومزرعة تل بين[٣] حسين وتل مزرعة بروطيا والشمالي ساقية الحريقة ونهر الحويرق وقرية تربل والغربي تل السرجون الى جسر المزموم .

وجميع قرية الدلهمية [من] أقطار كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي وحقول ومنافع قبليها سهم بن مكي والعقيبة وسدرة القمقمية الى خربتها وشرقيها

---

(١) لعلها : الزيارات .

(٢) في قاموس لبنان : قوسايا .

(٣) كذا في الأصل ولعلها بيت اوبير .

الطريق الى سهم البدوي وشماليها ساقيـة المشار وحقلة الزورة المعروفة بالقربة والطريق الى جسر بروقيا وغربيها الطريق تحت حقلة النقيرة والطريق الى جسر الدلمية الراكب على نهر ليطاني والشراك بين أراضيها ومزرعة حدوثنا ٠

وجميع قرية الطيرية [١] المستغنية عن التحديد لكونها معلومة الحدود عند القريب والبعيد ومما في قربها جميع قرية قانه [١] ٠

وجميع قرية طيبه [١] ٠

وجميع قرية الكواكب الهوا [٢] ٠

وجميع قرية الماعون المستغني كل واحدة منها عن التحديد عنـد وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

ومزرعة قبقوس ٠ ومزرعة عين العاطف المستغنية كل واحدة منها عن التحديد لكونها معلومات الحدود لدى وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

وجميع قرية ازرع [٣] الواقف [٤] بناحية بني مالك الأشراف من أعمـال حوران تابع الشام تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين ومفاره [٥] وحدها القبلي قناة القرية المنشأة بناصر [٣] والشرقي قرية البصر [٣] والشمالي قرية الشقرا [٣] والغربي الطريق السلطاني من جانب الدرب لناصر ومن توابع تلك القرية المذكورة ٠

وجميع مزرعة مليحة [٦] وقطعة أرض تسمى بالدبورا وقطعة أرض تسمى بقيعة تشتمل كلها على الفوايد والعوايد ومنافع وحقول ٠

(يتبع) جعفر الحسني

---

(١) قرية معروفة في جبل عاملة ٠

(٢) في قضاء طرطوز في محافظة اللاذقية ٠

(٣) قرية معروفة الى يومنا هذا ٠

(٤) صوابها : الواقعة ٠

(٥) كذا ولعلها : ومنارة ٠

(٦) لعلها مليحة الشرقيه أو مليحة العطش في قضاء ازرع ٠

رثاء الجندي والبزم

لِمَن خلّفتما الميدانْ   فَقيدي لغة القرآنْ
لمن خلفتما الميـدا   نَ ، والميدانُ للفرسان ..
يُحَوِّمُ بعد يومكما   حَمِيُّ الأنف في الأقران
ويدعو الندّ من قيس   يباريه ومن غسان
وتفتقد النهى من كا   ن للحجة والبرهان
لواؤكما على الفصحى   وحكمكما هو الميزان

* * *

توارت أيكة الوادي   وغارت نبعة البستان
وضلّ سبيلَه الحادي   وأسلم للدجى الركبان
وناح وأعول الشادي   وحطم كأسه النشوان
ودالت دولة النادي   فلا عرش ولا سلطان
هل«الجندي»و«البَزِم»انـــطوى علماهما الصنوان ؟

أ بِالسهمين تُرمى مهـــجة ، ويصيبها السهمان ؟
وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان !
صريعا حومة الأقدا رِ شبّا للاسى نيران
رثيتُ « سليمها » و « محمّـــداً » وانهلّت العينـان
مضى « أدب » المبرّد ، وانـــقضى « نحو » أبي حيان
بكيت أبا العلاء بأو لٍ ، والشنفرى في الثان
وأخلاقاً صفت ، كالتبـــر واللؤلؤ والمرجان
ووردا كان عذب الور د للمرتشف الظمآن

* * *

ذكرتُ دمشق ، والأيا مُ ضاف ظلها فينـان
وأرديةُ الصبا جـدد وأحلام الهوى ألوان
ليالي الأنس بالأخدا ن قبل تفرق الأخدان
على بردى وربوته وحول تلاطم الغدران
وبين خمائل النسريـــن والزنبق والريحان
وأنديةُ البيان الحرّ قائمة على أركان
منابرهـا مَزاجرهـا لمن يطغى ، عن الطغيان

* * *

هوى بمعلّميْ جيلٍ هوى الأرزاء والحِدْثانْ
وطاح بتاَجي الإبدا عِ في الإفصاح والتبيان
نعى قيصراً الناعي وثنّى بأنوِشروان
عمادا أدبٍ ضخم رفيع راسخ البنيــان
شهــابا فلك غــابا معاً ، في حلك الأزمان

* * *

صراعٌ منذ كان النا سُ ، بين الفَقْد والوِجدان
يعلله بنو الإنسا نِ ، ما أغبى بني الإنسان !

خير الدين الزركلي



ايوانية البحتري

- ٢ -

(فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيّة َ ارتعتَ بين رُوم ٍ وفرس)

يظهر أن هذه الصورة مرقومة على جدران الجرماز ، وهي تمثّل للناظر صورة مدينة انطاكية وكسرى يحاصرها بجنوده . وتحت أسوارها قيصر ملك الروم يدافع عنها بجنوده أيضاً ، كذا قال في معجم البلدان عند الكلام على الإيوان ان صورة قيصر كانت أمام كسرى . ولعلها صورةُ القائد الذي ناب عن قيصر في صدّ كسرى . أو أن المصوّر الذي صور المعركة صوّر قيصر نفسه تهكماً أو استهانةً به . وقد قال الشاعر انه منظر يُحدث الروع والخوف في نفسك إذا نظرت اليه .

أما هذه الواقعة التي تُمثّلها لنا الصورة المذكورة فهي الوقعة الثانية من الوقعتين اللتين حَدَثَتا بين الأكاسرة والقياصرة على أسوار أنطاكية . فالأولى كانت في أواسط القرن الثالث للميلاد بين شابور وڤاليريانوس ، انتهت بفتح شابور لأنطاكية وإحراقها ونهبها وسبي أهلها . والوقعة الثانية هي التي حَكَتْها لنا الصورة على جدران الجرماز فوصفها لنا البحتري . وقد حدثت في أواسط القرن السادس للمسيح في عهد كسرى أنو شروان الذي وُلد النبي (ﷺ) في زمنه . وقد فتح كسرى أنطاكية بعد أن حاصرها ، فسَلَبَتْ جنوده ما في كنيستها الكبرى من أواني فضيّة وذهبيّة وحُليّ . وأخذوا بَلاطها النفيس واضرموا في المدينة النار فاحترقت ما عدا الكنيسة المذكورة والحيّ المدعو (ستراتيوم)

م (٥)

ن ذلك في عهد القيصر (يوستينانيوس) ، فأرسل الى كسرى سفيرين
ه وعقدا معه معاهدة صلح كان من مقتضاه أن يؤدّي قيصر الى كسرى
سنوياً بشرط أن لا يُسمي هذا المبلغ (جزية) بل (تعييناً) وهذه هي
مة التي خلد الفرس صورتها على جدران إيوانهم العظيم ووصفها لنا البحتري ·

(والمنايا موائل وأنو شرْ وان يُزجي الصفوف تحت الدرَفْس)

(المنايا) جمع منية : الموت و(موائل) جمع مائلة أي بارزة منتصبة أمام
يون المحاربين و (أنوشروان) صوابه كسر الشين و (يُزجي) يسوق
بدفع · و (الدرَفْس) تفسّره معاجمنا العربية بالعلَم الكبير كأنه لفظ عربي
م أنه لفظ فارسي وفارسيته درَفْش بالشين المعجمة فعُرّب بالسين كما عرب
اه شاهان بساسان وشابور بسابور · وقد اشتهر إطلاق (درفس) على علم خاص
فُرس له في تاريخهم قصة يتداولونها ، ورنّة فخر يتغنَّون بها · وملخص القصة
نلاً عن شاهنامه الفردوسي أنه قام في تاريخ الفرس القديم رجل تغلَّب على
لعرش الفارسي واستبدّ به ويسميه مؤرخو العرب الضحّاك · وقد اختلفوا في
بنسبته وزمنه · فظلَمَ الفرسَ ظلماً عظيماً حتى اشتهر بلقب الظالم وكان في
كتفيه سلعتان تشبهان الحيّتين ولذا لُقب بذي الحيتين · وكان هو يقول
نهما حيتان حقيقيتان تهويلاً على الناس · فكانتا تؤلمانه ولا تسكنان حتى
طليهما كلّ يوم بدماغي إنسانين فكان يذبحهما ويطلي حيّتيه · وبهذه الصورة
شتدّ الأمر على الفرس · ثم اتفق أن الضحّاك قتلَ ابن رجل حدّادٍ اسمه
(كابي) أو (كاو) فعظُم على أبيه الحداد الأمر ونهض للثورة واتخذ من
لجلد الذي يضعه الحدادون عادةً في أوساطهم عند الشغل علماً للحرب · والتفّ
لشعب حوله · وزحفوا على الضحاك متفائلين بدرفشه أي بعَلمه الذي اتخذه
ن جلد مهنته · ثم ان (كابي) والفارسيين بطشوا بالضحاك وقهروه وأرادوا

أن يملكوا (كابي) فأبى لأنه ليس من سلالة الملوك . وأمرهم أن يولوا أفريدون وكان من سلالتهم فولّوه ، واحتفظ الفرس من يومئذ بذلك الدرفش في خزانتهم . وعظّموه وتبرّكوا به . وصار العلم الأكبر لملوكهم . وسموه (درفش كابيان أو كاويان) وكانوا لا يخرجونه إلا في أحرج الخطوب وأكبر الحروب . فكانوا ينتصرون . وكانوا يرصّعونه بالجواهر واليواقيت حتى أصبح بدعةً من البدع وبقي لديهم الى أن تغلب الإسكندر على ملكهم دارا (داريوس) فأخذه أي أخذ الدرفش . وقيل بقي الى زمن (يزدجرد) فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر فقسّم جواهره في الناس .

يقول البحتري إن صورة أنطاكية تمثل للناظر اليها اشتداد هول المعركة حتى ان المحاربين كان يرون شَبَح الموت ماثلاً منتصباً أمام أعينهم . ومُثول الموت بصورة شبح مرئي كثير الوقوع في كلام الشعراء ، وأبلغه ما قاله بعضهم في وصف بَطَل أبلى حتى قتِل :

مَثَلَ الموتُ بين عينيه والذُّلْـــُ وكُلاً رآه خطباً جسيما
ثم سارت به الحَمِيَّـة قُدْماً فأمات العِدَى ومات كريما

* * *

(في اخضرارٍ من اللِباس على أصـــفَرَ يختالُ في صبيغة وَرْسِ)

الظاهر من هذا الوصف أنه يرجع الى (أنوشروان) لأنه نسب اليه لباساً أخضر مسدولاً عليه . واعتلاؤه على الأصفر يُعيِّن أن يكون المراد بالأصفر جواداً ملوّناً بصفرة . وهذا الجواد يختال ويتبختر في غشاء من جلدٍ أو خِرَق (صَبيغة ورس) أي مصبوغة بورس . والورس نبت كالسِمسِم أصفر اللون يزدرع باليمن ويُصبغ به وتتخذ منه الغُمرة وهي طلاء تطلي به المرأة وجهها ليصفو لونها . وصبيغة الورس هذه إما أن يكون المراد بها (التجفاف) وهو

جُلٌّ يلبَسُهُ الفَرَسُ في الحرب ليقيَه الجراحات فيكون تِجفاف فرس كسرى ملوناً في هذه الصورة باللون الأصفر الورسي • ويحتمل أن يكون المراد بصبغة الورس الميثرة • وفي الحديث الشريف (نَهى رسول الله عن ميثَرة الأُرْجوان) قال في النهاية : هي مراكب العجم تُعمل من حرير أو ديباج وتُحشى بقطنٍ أو صوف • وتكون كالفِراش الصغير يحملها الراكب تحته فوق سَرْج الفرس أو فوق رَحْل البعير نَهى عنها النبي لأنها من مراكب الأعاجم • ولأن لونها الأحمر فيه شُهرة تبعثُ على العُجب والخيلاء • وانما رجَّحتُ أن يكون المراد بصبغة الورس هنا التجفاف لا الميثرة لأن فرس كسرى في معركةِ ضربٍ وطعانٍ لا في موكب عرسٍ أو حفلة مهرجان •

(وعِراك الرجالِ بين يديه في خفوتٍ منهمْ وإغماض جَرْسِ)

ومما تُمثِّلُه الصورة لعين الرائي خفوت المتحاربين أي انخفاض أصواتهم • وهذا معنى (إغماض جَرْس) أيضاً فان الجرس الصوت الخفي يقال (ما سمعت له حِسًّا ولا جَرْساً) والإغماض من غَمُضَ الكلام خفي مأخذُه • فهؤلاء الرجال كان لهم في الحرب بين يدي كسرى أصوات خفيَّة غَمَضَتْ على سامعها وخَفِي مأخذها بحيث لا يُفهم لها معنى • إذَنْ كان (الفنَّان) الذي رسم الصورة حاذقٌ في صنعته حتى إنه ليُخيِّل إليك أن رجال المعركة لهم جَلَبَة وضوضاء • وتَشْعُرُ مع هذا أن أصواتهم خافتةٌ منخفضة •

(مِن مشيحٍ يَهوي بعامل رمحٍ ومُليحٍ من السِنان بتُرسِ)

(من مشيحٍ) بيان للرجال المتحاربين أي أنهم كانوا على أوضاع في القتال مختلفة : كانوا ما بين مُشيح وما بين مُليح • فالإشاحة أن تحذر من الهلاك فتجِدّ وتجتهد في دفعه عنك • قال عمرو بنُ الإطنابة :

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطَلِ المُشيح

والمليح من ألاح بمعنى أشاح أيضاً فيكون المعنى أن المتحاربين كانوا ما بين بطل أمامه قرنه فهو يخافه ويحذره فيجدّ في مقاومته ودفعه عنه فيهوي بصدر رمحه اليه ، وما بين بطل آخر أمامه قرنه قد سدّد سنانَ رمحه اليه وقد خافه وحذر منه فجدّ دارئاً بترسه عن نفسه وواقياً لها من سنان عدوّه المشرّع عليه . والمليح معنى آخر غير معنى (المشيح) أستحسن أن يكون هو المراد هنا يقال ألاح بسيفه إذا ألمعَ به وحرّكه كلوّح بسيفه . فالمعنى على هذا أن بعضهم يُشيح ويجدّ في دفع عدوّه فيهوي بالرمح اليه . وبعضهم يحرك ويلمع بترسه الذي بيده ليقيَ نفسه من السنان الذي يسدّده اليه عدوّه . وعلى كلا التقديرين فإن في قوله (ومليح من السنان بترس) شيئاً من إدماج وإيجاز تفصيله وبسطه ما ذكرناه .

(تَصِفُ العينُ إنهم جِدُّ أحيا ء لهم بينهم إشارة خُرْس)

قوله (إنهم) يحتمل فتح الهمزة على كونه واقعاً موقع المفرد مفعولاً لتصف ويحتمل الكسر على تضمين (تصف) معنى القول فيكون واقعاً موقع الجملة وتكون جملته مفعولاً لفعل (تصف العين) أي ان عين المشاهد لهذه المعركة لا يمكنها إلا أن تصفَ لغيرها ما رأته : فما تصف العين لنا من حالات المتحاربين أن الناظر اليهم يظنهم جِدَّ أحياء : أي تناهى اليهم تمامُ الحياة ، يقال فلان عالم جِدُّ عالم أي متناهٍ في العلم ونقول اليوم فلان عالم جداً وبارع جداً وقولنا هذا حسَن . لكن البلغاء أكثر ما يقولون جِدُّ عالم وجِدُّ بارع . والمعنى أن المصوّر أبدع في تصوير هؤلاء الأبطال حتى إنك لتظنهم أحياء مما تتخيله من الحقيقة في حركاتهم وسكناتهم وأصواتهم الخافتة التي يحاكون بها أناساً خرساً يديرون فيما بينهم إشارات يتفاهمون بها بدل الكلام .

(يغتلي فيهم ارتيابيَ حتى تتقرّاهم يداي بلمس)

الارتياب الشك والتردد في صحة أمرٍ ما · وتَسْتَقْرِئُهم تتتبعهم يقال قروت البلادَ واستقريتها وتقرَّيتها بمعنى تتبعتها أرضاً أرضاً ، ومررت فيها بقعة بقعة · ونحن نستعمل من هذه المادة فعل استقرأ · ومنه (دليل الاستقراء) في علم المنطق فهو من القرو لا من القراءة · و (يغتلي) بالغين المعجمة إما من غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، أو من غلا بالسهم إذا رمى به أبعدَ ما يقدر عليه · واغتلى البعير أسرع إسراعاً جاوز به حسن السير · فالبحتري يقول : ان ارتيابه في كون هؤلاء الرجال أمواتاً لا أحياء تعاظَم في نفسه وبلغ به أقصى الغاية حتى جعله يعتقد أنهم أحياء لا أموات وحتى كاد يمدّ يديه اليهم ويتقرّاهم أي يتتبع أعضاءهم عضواً عضواً وجارحة جارحة ليتبيَّن إن كانوا أحياء أو لا · وهذا غاية في وصف الحذق الذي أبداه المصوّر في تصوير هؤلاء الرجال ·

* * *

(قد سقاني ولم يُصرِّد أبو الغو ث على العسكرين شُربةَ خَلْسِ)

أبو الغوث ابن البحتري وكأنّ البحتري لما شاهد هذه الصور والتماثيل البديعة في شكلها ، ومختلف أوضاعها ، هاج هذا المشهدُ شهوةَ الشرب والتعاطي في نفسه · ولذلك التفت الى ابنه (أبي الغوث) وقال هاتها فسقاه منها ولم يصرّد ، أي لم يقلل · و (التصريد) أن تسقي آخر ثم تمنع الشرابَ أو الماء عنه قبل أن يروّى منه · وقريب منه (التغمير) وهو أن تسقيه بالغُمَر : وهو قدح صغير تسقيه به لقلة الماء فلا يُرَوّي · فأبو الغوث على العكس كان يروّي أباه أي يسقيه بالصغير وبالكبير · والشربُ كان نخباً على صحة أو سلامة أو شرف العسكرَين : عسكر الفرس وعسكر الروم · لكن تلك الشُّربة لم تكن شربة قومٍ متمكّنين في مجلس الشرب وإنما كانا في غالب الظن على ظهر جواديهما ، فكان ابنه يعاطيه الشربة (خَلْساً) أي في اختلاسٍ وخفّة

وعجلة . و (الشُربة) بضم الشين بمعنى المقدار المشروب من الماء أو غيره وهو مفعول به لسقاني في أول البيت و (أبو الغوث) مرفوع على التنازع ، تنازعه كل من الفعلين قبله فيرفعه أحدهما ويقدر للآخر فاعل .

(من مدامٍ تقولها هي نجمٌ ضوَّأ الليل أو مُجاجة شمس)

(تقول) هنا بمعنى الظن ومثله قوله :

متى تقول القلص الرواسما يحملن أم قاسمٍ وقاسما

و (ضوَّأ) بمعنى نوَّر وأضاء . والمُجاج والمُجاجة الريق تمجُّه من فمك . ويستعمل مجازاً في مثل قولنا (أرض خصبة يمجُّ ثراها الندى مجًّا) . وفي مثل (مُجاج المزن) وهو المطر ؛ فان المزن أي السحاب كأنه يمجُّ المطرَ كما يمجُّ الانسان الريقَ من فمه . ومثل هذا ما قاله البحتري هنا : فانه سمّى السائلَ الذهبي الذي ينتشرُ عن الشمس مُجاجةً كأن الشمس تمجه من فمها مجًّا . والتجوز عن ذلك بالمجاجة يشبه تجوزهم باللُّعاب (وهو الريق الذي يسيل من الفم) عن السَّراب الذي يترقرق في الصحارى وقت الظهيرة فانهم يسمونه لعاب الشمس .

ومعنى البيت أن أبا الغوث سقى أباه مداماً فظنها لفرط لألائها نجماً ينير الظلام أو شُعاعةَ شمسٍ تنتشر حرارتها في الفضاء فتحيي الأنام .

(وتراها ـ إذا أَجدَّت سروراً وارتياحاً للشارب المُتحسِّي)

(أُفرغت في الزُّجاج من كلِّ قلبٍ فهي محبوبةٌ الى كلِّ نفس)

ضمير (تراها) يرجع للمدام و (أجدَّت) بمعنى جدَّدت وأحدثت و (الارتياح) النشاط و (المتحسِّي) اسم فاعل من تحسَّى الشراب واحتساه وحَساه : شربه في مُهلة وتأنٍ . وهذا كما يُشرب الشاي والقهوة والمَرق ونحوها . فالحسوُ خاص بالمائعات أو الأطعمة المرقَّقة كالحساء فانه عند العرب طعام مرقَّق يُتخذ من دقيق ودهن وماء ونحن اليوم وضعنا أرزاً مكان الدقيق وسميناه (شوربا) ثم

عدلنا أخيراً عن كلمة (شوربا) التركية الى كلمة حساء العربية ، وكلمة (شوربا) محرفة عن كلمة (شُرْبة) العربية . كما أن كلمة (Sirop) الفرنسية محرفة عن كلمة (شراب) العربية وان كان لاروس يقول إن (Sirop) مأخوذة من اللاتينية . ومما يحسن إيراده هنا أن الفرنسيين اشتقوا من (Sirop) فعل (Siroter) أي شرب لكن لا بمعنى مطلق شرب بل هو شرب في مهلةٍ وتأن كما يشرب الشاي مثلاً وهذا المعنى لفعل (Siroter) هو نفس معنى حسا وتحسّى في العربية كما مر بيانه .

وقوله في البيت الثاني (أفرغت في الزجاج من كل قلب) جملة حالية من مفعول (تراها) في البيت الأول ، لأن الرؤية فيه بصرية أي ترى المدام - حينما تُحدث في نفس شاربها السرور والنشاط - مُفرَغةً في زجاج الكؤوس (من كل قلب) ، أي كأنها تسيل وتعصر من القلوب لا من عناقيد العنب . والدليل على أنها منعصرة من القلوب هو أنك تراها مُحبَّبة الى القلوب . فلو لم تكن منعصرة من القلوب لما كانت محبَّبة اليها لأنها جزء منها . كما أن الولد جزء من أبيه ولذا يحبه . وهذا على حدّ قول الآخر :

اذا كنتَ من كل القلوب مركباً فأنتَ الى كل الأنام حبيب

وما قاله البحتري في وصف الخمرة على بلاغته من جهة الصنعة الشعرية والجمال الفنيّ فإن الأبلغ منه من جهة الصنعة الطبية والأخلاقية والاجتماعية قول بعض الحكماء (ليست الخمور سوى مصائب مجمَّعة في الكؤوس) وجاء في بعض الأسفار القديمة : (إذا أراد الشيطان أن يدخل مكاناً عسُر عليه الوصولُ اليه أرسل أمامه الخمرة) .

(وتوهمتُ أن كسرى أبَرويـز مُعَاطِيَّ والبلَـهْبَذَ إنسي)

كلمة (كسرى) يطلقها العرب على كل ملكٍ للفرس كما أطلقوا (النجاشي)

على كل ملك للحبش . و (كسرى) محرفة عن اسم علم لأحد ملوكهم الأقدمين وهو (كيخسرو) . ويُفهم من كسرى عند الإطلاق كسرى أنوشروان المشهور بالعادل . وقد وُلد في زمنه النبيُّ (ﷺ) ، أما كسرى أبرويز المذكور في البيت فهو من متأخري ملوكهم الذين أدركهم الإسلام . والمعاطاة في اللغة المناولة ثم غلبت في مناولة كؤوس الخمر و (البَلَهْبُذ) اشتبه عليَّ تفسيرها وضبطها ولا سيما انها في معجم البلدان (البلهبدى) بالدال المهملة وألف مقصورة في آخرها . ولم أجدها في المعاجم العربية . وليس لدينا معاجم فارسية يعتمد عليها . ثم هُديت الى تفسيرها بطريق ينبغي ذكره للطف اتفاقه وحسن مساقه : ذلك أنه زار مجمعنا العلمي الدمشقي (سنة ١٩٢٩ م) لمشاهدة الآثار نفر من حجاج الإيرانيين . وفيهم رجل يتزيَّا بزيّ علمائهم ومجتهديهم فاستأنستُ به وطفت معه على الآثار . وسألته عن اسمه فقال : إنه من علماء رشت في خراسان العجم واسمه (ميرزا أبو الفضل) وانه مدرس في احدى مدارس رشت يعلّم طلابها الفقه . فذاكرته في معنى كلمة (البلهبذ) وأنشدته بيت البحتري المذكور ، فقال : البلهبذ بضم الباء الثانية لا بفتحها وآخرها ذال معجمة ومعناها النديم [1] ويراد منها نديم كسرى المشهور ، فقلت له : هل تأذن لي

(١) ثم ظفرنا بفوائد تتعلق بالبلهبذ في شهنامة الفردوسي المترجمة للعربية جزء (٢ ص ٢٥٤) وخلاصة ما قرأته فيها ان البلهبذ هو أكبر المغنّين في بلاط كسرى (أبرويز) وأصل اسمه بالفهلوية (بَلَهْبَتْ) وقد تحرف في العربية الى نحو عشرة تحاريف منها : (بربذ) و (برباذ) وبهلبذ وبهلبذ وبامهدى الخ . وهو الذي غنّى لكسرى فأعلمه بموت حصانه (شبديز) بعد ان أحجم وزراؤه عن نعيه اليه . وقد رأيت الأستاذ عبد الوهاب عزام في مجلة الرسالة في كلامه على رحلته الى ايران يضبط (البَلَهْبَذ) بفتح ثم فتح ثم سكون ثم فتح ثم ذال مرةً معجمة ومرةً مهملة وقال : رووا ان لكسرى أبرويز ثلاث خصائص : حصانه شبديز وجاريته شيرين ومغنّيه بلَهْبَذ ولم يقم في العالم أحذق من بلهبذ بالعود .

أن أروي شرح هذه الكلمة عنك ؟ قال : قد أذنت لك . فشكرت له تلطفه وودعته بحفاوة وإكرام .

وكلمة (أنسي) بضم الهمزة وهو ضد الوحشة أي ذو أنس ، وأستحسن أن تكون بكسر الهمزة صفة بمعنى الأنيس الذي يؤانسك ، يقال فلان (إنسك وابنُ إنسِك) بكسر الهمزتين أي صفيك وأليفك ، وقال أبو زيد (تقول العرب للرجل : كيف ترى ابنَ إنسِك ؟ إذا خاطبت رجلاً تسأله عن نفسك) .

ومعنى البيت أن البحتري لما سقاه (أبو الغوث) نخب العسكرَيْن وهو ينظر اليهم والى ملوكهم خُيِّل اليه أنه في مجلس شراب وأن كسرى ابرويز نفسه يُعاطيه ، والبلهبذَ نديمَه يؤانسُه ويناجيه .

(حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشك عيني أم أمانٍ غَيَّرنَ ظنّي وحَدْسي)

(الحُلُم) رؤيا المنام و (أمان) جمع أمنيّة والحدس الظن والتخمين ، يقول البحتري : إن ما توهمه من معاطاة كسرى ومنادمة البَلَهْبَذ أهو يا ترى أضغاث أحلام انطبقت أجفانه على الشكّ والتردد في صحتها أو هو من قبيل الأماني التي تشتدّ أحياناً في النفس فيتبدّل معها الظن والتخمين إلى القطع واليقين ؟؟

(وكأنَّ الإيوان من عَجَب الصنـ ـعة جَوْبٌ في جَنْب أرعنَ جِلْسِ)

بعد أن وصف الشاعر صورة معركة انطاكية التي شاهدها في (الجرماز) ، وشرب عليها المدام اختلاساً من دون نقل ولا ماز ، عاد في الوصف الى مشهد آخر من مشاهد إيوان كسرى وطاقه المشهور . والطاق كما مر القوس الأعظم المبني بالآجر وكل آجرة طولها ذراع وعرضها نحو شبر . عُرِّيَتْ تلك القنطرة من جصِّها وزينتها . ولم يبق منها إلا تلك الآجرات المقوّسة كأضلاع الهيكل العظمي بحيث يظنُّها من يراها عالقةً في الفضاء وقد انطادتْ صُعُداً حتى كأن لها حاجةً في السماء . هذا الطاق اذا استقبله الزائر رأى فضاء مطوقاً بقوس

من آجر على ارتفاع ثمانين ذراعاً وقد أحاطت به من ورائه بعيدةً عنه بقايا القصور والأبنية الشاهقة ـ اذا رأى هذا المشهدَ مشاهدُه لم يحسبه إلا جَوْباً في جنب أرْعَن جَلْس . والجوبُ الخرْق والنقْب الواسع . وكل فجوة تحيط بها البيوت من جوانبها فهي جَوْب . وأصل معنى الجوب القطع وجابوا الصخر بالواد (وهم ثمود) : قطعوه وفتحوا فيه فجَوات ومغاور يسكنون فيها . والأرعن الجبل ذو الرَعْن . والرعن أنف عظيم يتقدّم الجبل أي نتوءٌ وبروزٌ في الجبل . و (الجَلْس) بفتح الجيم الجبل العالي الطويل .

يقول البحتري في صفة الإيوان وطاقه : إن صانعه أتى في صنعه بالعَجَب العجاب : إذ هو يشبه فجوةً واسعة في جنب جَبَل شامخ عظيم .

هذه الفجوة أو الجَوْب الواسع في الجبل الذي رآه شاعرنا يذكّر بفجوة أخرى أو جَوْبٍ آخر يراهُ الناظر تحت قدمه إذا أشرف من أرز لبنان على وادي نهر قاديشا المشهور بالجُبّة . تلك الفجوة أو الهوّة الواسعة العميقة جدّ العمق والتي تحيط بها الجبال الشاهقة جدّ الشُموخ وكلها من صنع الطبيعة تُذكّر بفجوة الطاق الهائلة وحولها الأبنية ، وكلها من صنع البشر .

(يتظنّى من الكآبة إنْ يبـ ـدُ لِعَيْنَيْ مُصَبّح أو مُمَسّي)
(مزعجاً بالفراق عن أنس إلف عزّ أو مُرهَقاً بتطليق عِرْس)

يصف الكآبة الحزينة التي تغشى الإيوان عندما يراه الناظر وقتَ الصباح أو وقتَ المساء . و (يتظنّى) بمعنى الظن أصله يتظنّن بثلاث نونات أبدلت الأخيرة ألفاً ومنه قول الحريري في مقاماته :

يا من تَظَنّى السَّراب ماءً لما رويتُ الذي رويتُ

(مُصبّح ومُمسّي) اسما فاعل من صبّحه ومسّاه جاءه صباحاً ومساءً . و (مُزعَجاً) بفتح العين اسم مفعول من أزعجه عن وطنه ثم اضطرّه الى مغادرته وهو كاره ومنه قول ابن دريد :

وسائلي بزعجي عن وطني ما ضاق بي جنابه ولا نبا

و (إلف عز) أي أليف وأنيس عز عليه و (المُرهَق) اسم مفعول أيضاً من أرهقه إذا أعنته وكلّفه ما لا طاقة له بحمله . والعِرس بكسر العين : الزوجة . والمعنى أن من زار الإيوان صباحاً أو مساء ظنه مما عليه من الكآبة والعُبوس وسوء الحال رجلاً طرده ظالم من وطنه وفرّق بينه وبين أليفه المؤانس له العزيز عليه . أو يظنه زوجاً مُحباً لزوجه في رَغَد من الحياة معها أرهقه ظالم غاشم وأكرهه على تطليقها ، فإيوان كسرى يشبه أحد هذين الرجلين الحزينين المهاجر من وطنه أو المطلق لسَكَنه .

(عكست حظّه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكبُ نحْسِ)

هذا البيت وارد على رأي الأقدمين في الطالع وأن للنجوم تأثيراً في أحوال البشر ، وشؤون حياتهم . وهو العلم الذي أبطله الإسلام . ولكن مع الأسف بقي جماعة من المسلمين يؤمنون به الى هذه الساعة .

وكوكب (المشتري) هو الذي يتجلّى على الناس بحسن الطالع في زعم المنجمين . وعلى العكس كوكب (زُحَل) فإن طالعه شؤم وشقاء عليهم . فإيوان كسرى بعد أن كان كوكب سعده كوكب المشتري عكست الليالي هذا الحظ وحوّلت المشتري الى كوكب نحس وشؤم على الإيوان .

(يتبع) المغربي

———

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ٢ -

(م) فان قيل (أي إن قال الشيعة) : فأنتم - في هذا المقام - تسبون
را .. وتذمونهم وتذكرون عيوبهم .

(ت) قيل (أي يقول السنيون) : ذكرُ الأنواع المذمومة غيرُ ذكر
لأشخاص المعيَّنة ... وهم يستعينون بالكفار على المسلمين ، كما جرى لجنكز
ان ملك الترك الكفار ، فانهم أعانوه على المسلمين . وإما إعانتهم لهولاكو
ن ابنه لما جاء الى خراسان والعراق والشام ، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى
ن أحد .... ولم يُرَ في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمَّين
لتتر ، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل
كون مواليًا لآل الرسول (ﷺ) من يسلّط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى
ائر المسلمين ؟؟

[وصف مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ص ٥٧٨ من كتابه
روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف المخزي ، فقال في ترجمة شيخهم
نصير الطوسي ما نصه : « ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره
أي النصير الطوسي) للسلطان المحتشم في محروسة ايران ، هولاكو خان ابن
ولي خان ابن جنكز خان ، من عظماء سلاطين التاتارية ، وأتراك المغول ،
مجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد ،
لإرشاد العباد وإصلاح البلاد ، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد ، وإخماد

نائرة الجور والإلباس ، بإبادة دائرة ملك بني العباس !! وإيقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام . إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها الى نار جهنم دار البوار ، ومحل الأشقياء الأشرار !!! .. وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام (ابن تيمية) منقولاً بحروفه من اعتراف الخونساري .. الذي يعدّ (القتل العام) في المسلمين من أمانيهم ورغائبهم ، عاملهم الله بما يستحقون] .

(ت) وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم (توفي سنة ٦٥٦) .

[ووثق به المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فألقى اليه زمام أموره . ولما دخلت جيوش هولاكو الوثني بلاد إيران أرسل اليه ابن العلقمي يحرضه على قصد بغداد ... فزحف هولاكو على بغداد في مائتي الف من التتار والكرج وسائر يأجوج ومأجوج ، ومثّل ابن العلقمي دوره في مخادعة الخليفة المستعصم ، وهوّن عليه الأمر ، فلما نزلت جيوش هولاكو في شرقي بغداد وغربيها ، استأذن ابن العلقمي خليفته بالخروج إليهم للتوسط في الصلح ، وبعد أن توثق الخبيث لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازه اليهم وخيانته لدولته ، عاد فزعم للخليفة انّ هولاكو يرغب في تزويج ابنته بالأمير أبي بكر ابن الخليفة !! .. ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة الى الخروج لزيارة هلاكو ، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ؛ فلما صاروا بعسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم ، وبقيت الرعية بلا راع ؛ ثم دخلت يأجوج ومأجوج بغداد ، فوضعت السيوف في الرقاب ؛ واستمر القتل والسبي والنهب أربعين يوماً ، ويقال ان هلاكو أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك ، فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف ، وثمانمائة ألف ، والذي لم يحصوه أضعاف

ذلك - وقد وصف تقي الدين ابن أبي اليُسر هذه المجزرة الهمجية بقصيدة منها :

يا زائرين إلى الزوراء لا تَفِدوا فما بذاك الحمى والدار ديّارُ

أما عدوّ الله ابن العلقمي فخابت آماله كلها في إقامة الملك أو الإمامة لهم ، واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كمملوك من المماليك ، حتى أثر عنه أنه كان ينشد : « وجرى القضاء بعكس ما أمّلته » ثم مات كمدا ، لا رحمه الله . وهذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيين ، هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة الخونساري بلسان الشماتة والابتهاج ، معلناً أنه ومَن على شاكلته من طائفته مخازون الى صفوف الكفار ، ومعادون لجماعة المسلمين . قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله] .

(م) وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، (فمن عاد الى مثلها فاقتلوه) .

(ث) قلنا : هذا القول الأخير افتراء ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبي بكر . ومعناه أن بيعة الصديق بُودر اليها من غير انتظار وتربث لكونه كان متعينا .

(م) ولم يولّ النبي أبا بكر عملاً قط ؛ بل ولّى عليه عمرو بن العاص مرة ، وأسامة أخرى . ولمّا أنفذه بسورة براءة ردّه بوحي من الله » .

(ث) قلنا من المعلوم قطعاً أن النبي (ﷺ) استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، فكان هذا من خصائصه ، كما أنّ استخلافه على الصلاة من خصائصه ، وكان عليّ من رعيته في الحج المذكور ، فإنه لحقه فقال (أي أبو بكر لعلي (رض) : أمير أو مأمور ؟ قال عليّ : بل مأمور . وكان علي يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خُصّ بتبليغ سورة براءة » .

[لسببين : (أحدهما) أن في السورة فسخاً لعهود سابقة مع المشركين ، ومن عادة العرب أن يتولى إعلان ذلك الرجلُ المطاع في جماعته ، أو رجل من ذوي قرابته . (والسبب الثاني) أن في السورة ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه ، وهو قول الله جل جلاله : « إلاّ تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إنّ الله معنا » . فكان من مناقب الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يعلن هذا الثناء الإلهي عليه أخوه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما] .

(م) وأهمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتصّ من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل » .

(ت) إن كان ترك قتل قاتل المعصوم (أي معصوم الدم) مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج شيعة عثمان على عليّ ، فان عثمان خير من أمثال مالك بن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلي لم يقتص من قتلته ، ولهذا امتنع الشاميون من مبايعته ، فان عذرتموه فاعذروا أبا بكر ، فانا نعذرهما . وكذلك إنكاركم على عثمان حيث لم يقتص من عبيد الله بن عمر بالهرمزان . ثم إن عمر أشار عليه باجتهاد منه .

(م) وخالف أمر النبيّ في توريث بنته ومنعها فَدَك » .

(ت) قلنا : جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل ، (خلا الجهلة) وذلك لرواية جماعة من الصحابة عن النبي (ﷺ) أنه قال « لا نورث » (وقد تقدم ذلك) .

[روايات هذا الحديث وما دار حوله في ص ٤٨ — ٥١ من (العواصم من القواصم)] .

(م) وعن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال في مرضه: ائتوني بدواة وبيضاء، لأكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدي. فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله، فكثر اللغط، فقال رسول الله (ﷺ): اخرجوا عني، لا ينبغي التنازع لديّ، قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب النبي (ﷺ).

(ت) أما قصة الكتاب فقد جاء مبيّناً في الصحيحين من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ) في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر» ... والنبي (ﷺ) كان عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، عَلِم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما أراد، كما قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر». ومَن توهّم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضالّ باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة؛ أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأنّ علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون انه قد نصّ على إمامته قبل ذلك نصًّا جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب.

(م) فكان (أي عمر) يعطي أزواج النبي (ﷺ) من بيت المال أكثر مما ينبغي، ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف.

(ت) قلنا: كان مذهبه التفضيل في العطاء، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم، ويبدأ بهم، ويقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، وإنما هو الرجل وَغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته، وكان يعطي ابنه عبد الله أنقص مما يعطي أسامة بن زيد، فو الله ما كان عمر يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صداقة.

(م) وقال بالرأي والحدس والظن» .

(ت) قلنا هذا لم يختصّ به ، وقد كان عليّ من أقولهم بالرأي ، فمن ذلك سيره الى صفّين ، فقال : لمْ يَعْهَدْ إليَّ فيه نبيّ الله بشيء ولكنه رأي رأيته . وأما قتاله الخوارج فكان معه فيه حديث . وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصّاً إلاّ القاعدون فانهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة [ومنهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد وغيرهم] .

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به ، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم ، بل نقص الخير عمّا كان ، وزاد الشرّ على ما كان ، فاذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب ، مع أن علياً شركهم في هذا الرأي ، وامتاز برأيه في الدماء ؛ وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة ، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة . ومن المعلوم أنّ قول عليّ في الجدّ وغيره من المسائل كان بالرأي ، وقد قال : اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد .

(م) إن زعم أنّ الإمام يكون منصوصاً عليه وهو معصوم» .

(ت) فليس هو أعظم من الرسول ، ونوابُه وعمّالُه ليسوا معصومين ، ولا يمكن أن ينصّ الشارع على كل معيّنة ، ولا يمكن النبيّ ولا الإمام أن يعلم الباطن في كل معيّنة . وأما علي رضي الله عنه فظهور الأمر في الجزئيات بخلاف ما ظنه كثير جدا ، فعلم أنه لا بدّ من الاجتهاد في الجزئيات من المعصومين

وغير المعصومين . وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «أنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فانما أقطع له قطعة من النار» فحكمه في القضية المعينة إنما هو باجتهاده، ولهذا نهى المحكوم له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر .

(م) وقولك : جمع (أي عمر) بين الفاضل والمفضول، (أي في الشورى) .

(ت) فهذا عندك، وأما عندهم فكانوا متقاربين، ولهذا كانوا في الشورى مترددين، فان قلت: علي هو الفاضل وعثمان المفضول، قيل لك: فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول ؟ وقال بعض العلماء : مَن قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وفي الصحيحين عن ابن عمر، قال: كنا نفاضل على عهد النبي (ﷺ) فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي لفظ : ثم ندع أصحاب النبي (ﷺ) فلا نفاضل بينهم، فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم، وظهر أثر ذلك فانهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة واتفقوا عليها ... فدلَّ على أنهم إنما قدموه باستحقاق . وهذا شيء إذا تدبره الخبير ازداد به بصيرة وعلماً .

(م) وأمَّا عثمان فانه ولّى مَن لا يَصلُح حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه، وعوتب فلم يرجع .

[كلُّ ما عزاه أعداء الصحابة الى ذي النورين رضوان الله عليه، أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب : (العواصم من القواصم) الذي علقنا عليه بما لا يترك مقالاً لقائل . فارجع اليه لتطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد (ﷺ)، وخاصة أحبابه،

فان أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت ، وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم ، فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة] .

(تنبيه) ذكر ابن المطهر أمثلة على انحراف الخليفة عثمان ، فأجاب عنها ابن تيمية ، وصاحب التعليقات واحدة واحدة .

(م) وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقاً ، وعلي معصوم فيكون هو الإمام » .

(ت) الرسول هو المعصوم ، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق ، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر . فهذا رسول الله (ﷺ) هو المعصوم ، وأوامره معلومة ، فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد ، وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا . ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين ، ولم يتولّ على الأمة من ادُّعيت له سوى علي ، وكان من نوّابه على رعيته بالبلاد النائية مَن لا يدري بما أمر ولا بما نَهى ، بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو (أي باجتهادهم) .

ثم الإمام الذي وصفته ، لا يوجد في زماننا ، مفقود غائب عندكم ، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ، ومثله لا يحصل له شيء من مقاصد الإمامة ، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم (كما تدّعون) أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه ، والإمام يحتاج اليه للعلم ليبلغه ، والعلم ليطاع في سلطانه .

[إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا ـ عن آخر مَن يدّعون عصمته ـ تدلّ على أنه لم يخلق ، ويوم وقعت وفاة أبيه وحُررت تركته ، لم تقل زوجة من أزواج المتوفى ولا أمة من إمائه إنّ له ولداً منها . وحجزت أزواجه وإماؤه في منزل مدة العدّة على احتمال أن تكون حاملاً فتلد ،

فمضت مدة العدة ولم يولد له أحد . والمنزل الذي يزعمون انّ فيه سرداباً كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر ، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد ، وللعلويين نقابة ونقيب وسجل للمواليد ، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب الى الحسن العسكري] .

(م) والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعليّ فاضل أهل زمانه فهو الإمام لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلا » .

(ت) قلنا لا نسلّم أنه أفضل أهل زمانه ، فانه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

(م) قوله تعالى : يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك » اتفقوا على نزولها في عليّ ، روى أبو نُعيم باسناده الخ ومن تفسير الثعلبي الخ وقد روى هذا النقاش في تفسيره » .

(ت) قولك اتفقوا على نزولها في عليّ كـ ... بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يُعَدّ ، والمرجع في النقل الى أمناء حديث رسول الله ، كما أن المرجع في النحو الى أربابه ، وفي القراءات إلى حذاقها ، وفي اللغة إلى أئمتها ، وفي الطب إلى علمائه ، فلكل فنّ رجال ، وعلماء الحديث أجلُّ وأعظم تحرياً للصدق من كل أحد ، علم ذلك من علمه ، فما اتفقوا على صحته فهو الحق ، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط ، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بانصاف وعدل ، فهم العمدة كمالك وشعبة والأوزاعي والليث والسفيانَين والحمّادَين وابن المبارك ويحيى القطّان وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع وابن علية ، والشافعي وعبد الرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحميدي

وأبي عبيد وابن المديني وأحمد واسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون وصالح جزرة والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبّان والدارقطني وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل .

وقد صنف في معرفة الرجال كتب جمة : كالطبقات لابن سعد ، وتاريخي البخاري ، وكلام ابن معين من رواية أصحابه عنه ، وكلام احمد من رواية أصحابه عنه ، وكتاب يحيى بن سعيد القطّان ، وكتاب علي بن المدايني ، وتاريخ يعقوب الفسوي ، وابن أبي خيثمة ، وابن أبي حاتم ، والعقيلي ، وابن عدي وابن حبان والدارقطني .

والمصنفات في الحديث على المسانيد : كمسند أحمد ، واسحاق ، وأبي داود ، وابن أبي شيبة ، والعدني ، وابن منيع ، وأبي يعلى ، والبزار ، والطبراني وخلائق .

وعلى الأبواب : كالموطأ ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيحي البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة ، وما يطول الكتاب بتعداده .

ثم نقول : ما يرويه مثل النقاش والثعلبي وأبي نعيم ونحوهم : أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم ، أم تردّونه مطلقا ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردّون ما خالف ؟ فان قبلوه مطلقاً ، ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف ، وإن ردّوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم ، وان قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف ردُّ ما قبلوه والاحتجاج بما ردُّوه ، والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء .

ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث ، ولهذا لم يُروَ في شيء من كتب الحديث المرجوع اليها ، وانما يجوِّز صدقه من يقول : إن النبي (ﷺ) كان على مذهب أحد الأربعة !! . . . أو انّ قبر علي رضي الله عنه بباطن

النجف ، وأهل العلم يعلمون أنّ علياً ومعاوية وعمرو بن العاص دفن كل واحد منهم بقصر الإمارة ، خوفاً عليه من نبش الخوارج .

[أما قصر الإمارة في الكوفة الذي دفن فيه عليّ كرم الله وجهه ، فانه يقع قبلي الجامع ويطلّ على الرحبة . ويقول مؤرخ الشيعة لوط بن يحيى إنه دفن في إحدى زوايا الجامع على رحبة القصر ، بالقرب من أبواب كندة . وما زعمته الشيعة بعد ذلك من أن قبره في النجف ، فهو زعم متأخر دهراً طويلاً عن زمن عليّ وابنيه ، لأنه يرجع إلى أواخر القرن الثالث ، وقصر الإمارة في دمشق الذي يعلم أهل العلم أن معاوية دفن فيه هو (الخضراء) التي كانت تتصل بجدار القبلة من مسجد دمشق ، وتمتدّ شرقاً الى بركة جيرون ، وغرباً الى باب البريد ، وجنوباً الى قصر أسعد باشا العظم وما حوله] .

[وأما عمرو بن العاص فانه لما توفي في عيد الفطر من عام ٤٣ صلى عليه ابنه عبد الله (رض) ولم أعثر عند كتابة هذا التعليق على نص لمن قالوا انه دفن في دار الإمارة ؛ والمشهور أنه دفن في سفح جبل المقطّم بقرب مدخل الشعب . وكان الصحابة يرون أن العظماء تخلدهم أعمالهم لا قبورهم . ولذلك لم يكونوا - كالفراعنة والجبارين - يبالون بأن تقام المباني والصروح على قبور العظماء منهم والفاتحين والصالحين] .

(م) روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض . وقال : أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وسيد أهل بيته علي ، فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون الإمام » .

(ت) قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم ، عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ﷺ) خطيباً بخم ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا : كتاب الله » وأما قوله : « وعترتي » فهذا رواه الترمذي ، وتفرد به زيد بن الحسن الانماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر ، والانماطي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث [ويعدُّه الشيعة منهم ، وله ترجمة عند المامقاني (١ : ٤٦٢) . ولكنه غير محمود عندهم ولا عندنا] . وأما حديث سفينة نوح فغير صحيح ، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لن يتفرقا ، يدلّ على أن إجماع العترة حجة ، وهو قول طائفة من أصحابنا وذكر القاضي في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم : ولد علي وولد العباس وولد الحارث ابن عبد المطلب . وسيد العترة هو رسول الله (ﷺ) وكان ابن عباس أفقه العترة ، وكان يخالف علياً في مسائل ، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به .

(الخاتمة) كل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض - والله - لا مع عليّ ولا مع غيره ، ولا غرضهم تكذيب نبيهم ، ولا ردّ ما أمر به ، ولو علموا أن الرسول نصّ لهم على عليّ لكانوا أسبق شيء الى أمره والى التصديق به ، غاية ما يقدّر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون مَن خفيَ عليه جزء من الدين مثل ... بل يكفي من وضع .. قول المصطفى (ﷺ) : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، نعم ، ومن كتم ما نصّ عليه الرسول مراغمة لله ورسوله فهو من أصحاب النار .

(م) المنهج الرابع في الأدلة الدالة على إمامته من أحواله ، فذكر أنه كان أزهد الناس وأعبدهم ، وأعلمهم وأشجعهم . وذكر أنواعاً من خوارق العادات له .

(ت) بل كان أزهدَ الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر ، فانه كان له مال يتجر به ، فأنفقه كله في سبيل الله [أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشامَ بن عروة ؛ أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف

درهم ، قال عروة : وأخبرتني عائشة ، أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً .
ومن طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، ولقد بعث النبي (ﷺ) وعنده أربعون ألفاً ، فكان يعتق منها ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، وكان يفعل فيها كذلك] .

قال ابن زنجويه [هو حميد بن مخلد الثقة الثبت الحجة الحافظ . توفي سنة ٢٤٧] : كان علي فقيراً في أول الإسلام ، ثم استفاد الرباع والمزارع والنخيل ، واستشهد رضي الله عنه وعنده تسع عشرة سرية وأربع نسوة . وقال شريك بن عاصم : لقد رأيتني على عهد رسول الله (ﷺ) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفا .

ثم قد كان لأبي بكر من الولد مثل عبد الرحمن ، ومن القرابة مثل طلحة أحد العشرة ، فما استعمل هذا ولا هذا في جهاته ، وهي مكة والمدينة واليمن وخيبر والبحرين وحضرموت وعمان والطائف واليمامة ، ثم جرى عمر على مجراه ، ولم يستعمل من بني عدي أحداً على سعة عمله ، وقد فتح الشام ومصر والعراق إلى خراسان ، إلا النعمان بن عدي العدوي وحده ـ على ميسان ـ ثم أسرع عزله ؛ فكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأبي جهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وولده عبد الله بن عمر . ثم كل منهما لم يستعمل ابنه من بعده على الأمة . . . وجدنا علياً استعمل أقاربه : ابن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقثما ومعبداً ابني عباس على الحرمين ، وابن أخته جعدة بن هبيرة على خراسان ، وابن امرأته وأخا ولده محمد بن أبي بكر على مصر ، ورضي بيعة المسلمين لابنه بعده . ولسنا ننكر أهليته وزهده وعظمته ، ولا أهلية عبد الله بن عباس للخلافة ، ولكننا نقول : إن أبا بكر وعمر أتم زهداً وأعزف عن الدنيا من زاهد يفعل المباحات .

(م) وبالجملة ، زهدُه لم يلحقه أحدٌ فيه ولا سُبق اليه ، واذا كان كذلك كان هو الإمام» .

(ت) قلنا : كلا المقدمتين باطلة : لم يكن أزهد من أبي بكر (كما تقدم) ولا كلُّ مَن كان أزهد كان أحقَّ بالإمامة ، وقال علي : لا يبلغني أن أحداً فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري ، وقد رُوي عن عليّ من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبره : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر .
وقال البخاريّ : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن شدّاد ، حدثنا منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبة من خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) ؟ قال : يا بُنيّ أو ما تعرف ؟ فقلت : لا ، فقال : أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم عمر .

ثم عقد ابن المطهر فصلاً في الكلام على إمامة أبي بكر ، واليك مثلاً منه وجوابه :

(م) قال : واحتجوا بالاجماع ، والجواب منعه ، فان جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة وخالد بن سعيد بن العاص ... وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة اليه ، حتى سمّاهم أهلَ الرِّدّة وقتلهم وسباهم ، فأنكر عليه عمر ، وردّ السبايا أيام خلافته» .

(ت) أفسُمِعَ قطُّ بمثل هذا ؟ : فقد عَلِمَ كلُّ عالم كفر بني حنيفة أتباع مسيلمة وارتدادهم ، وهذا يعدّهم من أهل الإجماع ، وإنما قتلهم وسباهم لامتناعهم عن بيعته ، ولأنهم لم يحملوا الزكاة اليه !! فنعوذ بالله من البهتان :

إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذرُ

ومن أعظم مناقب الصدّيق قتل أولئك الأرجاس وسبيهم ، وما قاتلهم على

منع زكاة ، بل على إيمانهم بمسيلمة ، وكانوا نحو مائة ألف . والحنفية سرّية علي - أم محمد بن الحنفية - من سبيهم .

[وتسرّي علي بها اعتراف منه بشرعية حكم أبي بكر وحروبه ونتائجها (انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣١)] .

فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بني حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم ... فأمر بني حنيفة قد خاص الى العذارى في الخدور ، وكتاب الردّة لسيف بن عمر مشهور ، والردّة للواقدي . ثم قولك إن عمر أنكر قتال أهل الردة وردّ عليهم» من البهتان ، وإنما توقف مع الصديق في قتال مانعي الزكاة فناظره ، فرجع عمر الى قوله . وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق ... ما تخلف إلا سعد بن عبادة ، ومبايعة هؤلاء لأبي بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر .

والكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . (أما الأول) فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الأمر ، وقام مقام رسول الله (ﷺ) وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفّار والمرتدين ، وولي الأعمال ، وقسم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل الإمام ؛ بل هو أول من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بإمامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع : فلا طريق يثبت بها كون عليّ مستحقاً للإمامة إلاّ وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق بالإمامة من علي وغيره . وحينئذ فالإجماع لا يحتاج اليه لا في الأولى ولا في الثانية ، وإن كان الإجماع حاصلا .....

فمن تأمل وجد فضائل الصدّيق كثيرة ، وهي خصائص له ، مثل : « إنّ

لله معنا » وحديث الخالّة ، وحديث انه احبُّ الرجال إلى رسول الله (ﷺ) وحديث الإتيان إليه بعده [أي حديث المرأة التي قال لها النبي (ﷺ) : إن لم تجدبني فأتي أبا بكر ، وهو في الصحيحين] . وحديث كتابة العهد له ، وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة ، وتركه له ، وهو قوله : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » وحديث رفعه عنه عقبة بن أبي مُعَيط إذ وضع الرداء في عنقه ، وحديث استخلافه في الصلاة والحج ، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانقياد الأمة له ، وحديث خصال الخير التي اتفقت له في يوم .

ثم له مناقب يشركه فيها عمر ، كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر ، وحديث عليّ يقول : كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : « خرجت أنا وأبو بكر وعمر » وحديث نزعه من القليب ، وحديث : « إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » . . . وللصدّيق في الصحاح نحو عشرين حديثاً ، أكثرها خصائص ، فمناقبه جمّة ، وفضائله عدّة ، استوجب بها أن يكون خليل رسول الله (ﷺ) دون الخلق لو كانت الخالّة ممكنة . فلو كان مبغضاً له كما يقول . . لما حزن ، بل كان يظهر الفرح والسرور ، فأخبر الرسول (ﷺ) أنّ الله معها ، وهذا إخبار بأن الله معها بنصره وحفظه . ومعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي قد عاداه فيه أولئك الملأ ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره ، وهو عدوّ له في الباطن . هذا لا يفعله إلاّ أغبى الناس وأجهلهم ، فقبّح الله من جوّز هذا على أكمل الخلق عقلاً وعلما .

(م) وأما إنفاقه على الرسول فكذب ، لأنه لم يكن له مال » .

(ت) من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفيض القطعي . فمن ذا الذي

نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت . . أينكر جود حاتم وشجاعة علي وحلم معاوية وغنى أبي بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن ، وهو ، ففيه نصٌ صريح بفضله وغناه ، ففي الصحيحين أن مسطحاً كان أبو بكر ينفق عليه ، وكان أحد مَن تكلم في الإفك ، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله قوله : « ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟ فقال ابو بكر : بلى والله إني لأُحبُّ أن يغفر الله لي . فأعاد عليه النفقة . وقد اشترى بماله سبعة من المعذّبين في الله ، وقال النبي (ﷺ) : « ما نفعني مال ، ما نفعني مال أبي بكر » . ولمّا هاجر استصحب ما بقي من ماله ، قيل : كانت ستة آلاف ، وكان يتجر . وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتُلي المسلمون بمكة ، خرج مهاجرا ، حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقِيَه ابن الدُّغُنّة سيد القارة ، وقال : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرَج ، إنك تكسب المُعدَم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، واني لك لجار ، ارجع ، واعبد ربك ببلدك ، فرجع به ابن الدغنّة ، وطاف في قريش فأجاره ، فقالوا له : مُرْ أبا بكر فليعبد ربّه في داره ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . . . الحديث بطوله .

وقد قال النبي في مرضه ذلك على ما في الصحيحين عن عائشة أنه قال : « ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتى أكتب لهم كتاباً ، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » .

فهذا من إخباره بالكوائن بعده ، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبي بكر لمّا علم أن الله يجمعهم عليه ، وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه : لا في

الأول ولا في الآخر عندما استخلف عليهم بعده خيرَهم . أماتنا الله وإياكم على حبّ الأربعة ، فان المرء مع مَن أحب .

آخره والله أعلم

هذه شذرات اخترناها ولخصناها من ذلك المجلد الضخم (المنتقى) بلا تعليق منا عليها ، وهي تنوّه بمزايا الخلفاء الثلاثة ومحاسنهم ، وتنفي النقائص التي ألحقت بهم ، وتطري ما للصحابة الكرام من فضل الصحبة ، ونشر الدعوة ، وإقامة الحجة ، وإثبات الأخوة الصادقة بين الأئمة أبي بكر وعمر وعلي ، وتفضيله لها على نفسه ، وارسال ولديه الحسن والحسين الى عثمان شهيد الدّار ؛ محافظة عليه ودفاعاً عنه (رضوان الله عليهم) ونفيه الكفر والنفاق عن محاربيه ، كما تراه في نهج البلاغة وغيره .

وبعد هذا كله ، إن لم يعمل محبوه ومواليه بنصحه وتذكيره ، يتبين أنهم لا يقيمون لرأيه وزناً ، ولا يرفعون به رأساً ، وانك لتجد في هذا (المنتقى) من (منهاج السنة النبوية) جواباً لكل سؤال ، وحلاًّ لكل إشكال ، وبياناً للحق في كل ما يخوض به الخائضون ، مثل : الميراث من (فدك) التي جرى فيها الإمام علي على خطة الخلفاء من قبل ، ومثل حكمه العادل في وقائع الجمل والنهروان وصفين ، ونفي سمة الكفر عنهم ، على خلاف حكم من ادعى التشيع له ، في هذه الكتب المنشّرة التي تبدي وتعيد . وتطبع وتوزع وليس فيها من جديد .

ألا وانّ جواب إمام السنة ابن تيمية الحراني الدمشقي ، لإمام الشيعة الإمامية ابن المطهّر الحلي البغدادي هو كافٍ وافٍ بالموضوع . وإني أنصح لمن يقدر وقته حق قدره ، ويعرف قيمة عمره ، أن لا يضيعه بقراءة الكتب الطاعنة اللاعنة ، فهي ظالمة آثمة ، وما أثرناه عن « المنتقى » فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن تجتمع عليه كلمة الأمة ، إن شاء الله ، وبه المستعان .

محمد بهجة البيطار

الدراسات العربية
في الولايات المتحدة

مقدمة

أولاً أريد أن أعتذر الى القراء الكرام عن لغتي وعن عدم إلمامي الواسع باللغة العربية الكريمة .

أما بعد ، فموضوعنا هو الدراسات العربية وامتدادها الى الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة . ولكني قبل أن أطرق الموضوع نفسه يجب عليّ أن أحدّث بصورة عامة عن التربية في أمريكا ـ وربما في الغرب اجمالاً . عندنا في الغرب مجريان مهمان مشتبكان في تراثنا .

أولهما الثقافة اليونانية المسيحية ، وثانيهما روح التفتيش العلمي الطبيعي . وهنا لا أنسى قطعاً الدور العظيم الشأن الذي لعبه العرب وسائر المسلمين في تطور هذين المجريين . إني موقن كل الايقان بأهمية تأثير الغزالي مثلاً على أفكار طوماس اكوينس (Thomas Acquinas) ومن المعلوم انه أهم المتكلمين الكاثوليكيين في القرون الوسطى وخاتمهم في علم اللاهوت حتى الآن ؛ أو من جهة أخرى بتأثير رجال العلم كابن النفيس ـ وهو ابن النفيحاء تقريباً ـ على تطور علم الطب . لقد جاهد هذان الرجلان وأمثالهما العديدون في سبيل العلم ووسّعوا آفاقه في العالم كله . ومع ذلك أظن أنّ مياه دور العرب خلال تطور المدنية الغربية الطويل هي مياه نهر فرعي تصبّ في نهر كبير ، وليست هي

جزء من هذا النهر الكبير في البداية . وكذلك دور المدنية الغربية في المدنية الاسلامية هو دور نهر فرعي [١] .

فلنرجع الى الموضوع ذاته . فلو فرضنا انّ هذين المجريين حقيقيان - وأعني بذلك الثقافة اليونانية المسيحية وروح التفتيش العلمي الطبيعي - ، فلا نرى مجالاً مبيناً للدراسات العربية والاسلامية ، أو نقول الدراسات الآسيوية ، أو في النهاية ، الدراسات في أية مدنية خارج الغرب . ومن هنا نسأل من أين جاءت هذه الدراسات اللاغربية . ويبدو لي أن لها مصدرين : أولها ديني والثاني سياسي .

إننا ولا شك نذكر ان الجامعات في الغرب - وفي الشرق أيضاً - انبثقت عن حضارة مركزها الدين ، وفي أوروبا نشأت الدراسات الشرقية ، من وجه عام ، عن الاهتمام بالكتاب المقدس ، فبدأت هذه الدراسات مع لغة العهد القديم وتشعّبت في القرنين الماضيين الى الاهتمام بأقدم المدنيات في الشرق كالآشورية والفرعونية ، وفي ذلك الحين كان علماء الغرب لا يقدّرون أهمية الجزيرة العربية كمهد العائلة السامية حق قدرها وأهميــة البدوي كأنقى ممثل لهذه العائلة من حيث اللغة وعلم الانثروبولوجيا . ولقد دُرست اللغة العربية كمساعد لغوي لدراسة لغة العهد القديم ، وأيضاً في بعض الأحيان كمساعد لعمل المبشرين . ومن الواضح بناء على هذا الميل ان نتائج دراسات المدنية العربية والاسلامية هذه لم تُعتبر بحد ذاتها بل تحيزت ضدها قبل البحث فيها ، ومما زاد هذا الميل أفكار خاطئة عن الحروب الصليبية وخوف شديد من قوة الدولة العثمانية .

ونلاحظ اختلاطاً عجيباً كل العجب بسبب الجهل والخرافة خاصةً عن حياة

(١) بالرغم من هذا القول فاني أعتقد انه في أعمق الأسس يجتمع الإسلام والمسيحية في قيمها الأساسة باختلافها عن مناطق الهندوكية او الوثنية مثلاً .

النبي العربي وشخصيته . في أول الأمر فكّر هؤلاء الاوروبيون أن محمداً إلـه معبود ! وبتطور الزمان تغيرت هذه الفكرة الى انه نبي غير مخلص ! وسيطرت وجهة النظر هذه على الرأي العام والمثقفين حتى منتصف القرن الماضي (آنئذ كان العلماء ولا شك يفهمون على أفضل طريقة ولكنهم قصّروا في إذاعة ما يعلمون في هذا الصدد) عندما كتب طوماس كارلايل (Thomas Carlyle) المؤلف الانكليزي المعروف رسالته المشهورة عن حياة النبي وهي رسالة أعطته قيمته الحقيقية الشريفة . هذا مصدر واحد ـ الميل الديني .

أما المصدر الثاني فهو ، في نظري ، ما يتعلق بالدافع السياسي أو اذا أردنا القول صراحة بالاستعمار . عندما وجد الأوربيون أنفسهم ـ في القرنين الماضيين ـ في الأقطار الآسيوية ومن وجهة نظرنا هنا في الأقطار الاسلامية كالهنـد وأفريقيا الشمالية ، اكتشفوا أنهم بحاجة الى أشخاص يعرفون اللغات والأديان والتأريخ والثقافة في الأقطار هذه . فأسسوا المدارس والمعاهد المهتمة بهذه الميادين .

الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة فبدأت في هذه الأمور متأخرة جداً بالنسبة الى أوروبا فنجد مثلاً في سنة ألف وثمان مائة وسبعين لم يكن في جامعات أمريكا إلاّ أستاذ واحد قدّم دروساً في اللغة العربية ـ وهو حقيقةً أستاذ في اللغة السنسكريتية ـ ولقد كانت كل الدراسات العربية القليلة في أمريكا تابعـةً للدراسات الدينية وعلم اللغات السامية . أما اللغة التركية واللغة الفارسية فلا تُدرّسان مطلقاً . وخلاصة القول هي ان المنظمات التربوية في أمريكا لم تعط دروساً في العربية حباً بها أو لأنها مفتاح لكنوز الآداب والثقافات العربيـة والاسلامية ذات الأهمية العظيمة في كل وجه من الوجوه ولكنها أعطت شيئاً

من هذه الدروس على نطاق ضيق جداً بدافع الميل الديني فقط دون أي دافع سياسي إذ لم يكن لأمريكا علاقات سياسية بالشرق الاسلامي .

ونرى انه ، قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن غير عشر من جامعات أمريكا قدمت دروساً في العربية ما عدا معاهد اللاهوت . وهنا جدير بالذكر ان عدد الجامعات والكليات العليا في أمريكا يزيد عن الألف تقريباً . وفوق ذلك يلزمنا أن نقول إن هذه الدراسات على قلتها كانت مقصورة على طالب الدكتوراه دون أن يتاح للطالب الجامعي الوقوف على هذه الدراسات ، حتى ولو اتفق لأحدهم أن رغب في ذلك . والمغزى من كل ذلك هو إظهار قلة التقدم في هذه الدراسات قبل الحرب العالمية الثانيـــة .

فاذا جاءت الحرب ووجدت الولايات المتحدة نفسها مسؤولة عن قيادة حرب وقعت في كل أقطار العالم ومنها ولا أقلها أهمية الأقطار الاسلامية والعربية ، ووجد المسؤولون من العسكريين والساسة نقصاً فادحاً في الولايات المتحدة لتفهم شعوب هذه المناطق وللعمل معهم ولتغطية هذا النقص أنشئت خلال الحرب عدة برامج دراسية في العربية وحتى في التركية والفارسية . من ذلك الحين استيقظت عقلية رؤساء الجامعات والحكومة ومدراء الشركات الكبيرة التي تشتغل في الشرق الأوسط الى الحاجة الماسة الى الدراسات الإسلامية .

فهذه الأمور كلها كانت تشكل تحدّياً فلننظر الى الجواب . كانت أول الجامعات التي استجابت لهذا التحدي جامعة برنستون التي بدأت في هذا الميدان ، كما يعرف الكثير من القراء ، بفضل جهود الدكتور فيليب حتي الذي كان يحث دائماً على التدريس في هذا الميدان الجديد .

وقد بدأت جامعة برنستون ببرنامجها الجديد المنظم هذا والمفتوح للجامعيين في قسم اللغات والآداب الشرقية في سنة ١٩٤٧ . وجدير بالذكر ان هذا القسم

كان في ما مضى قسماً مختصاً بالدروس السامية واللغوية فقط . أما الجامعة الثانية التي فتحت أبوابها على نطاق واسع للدراسات الاسلامية ، فهي جامعة مِشِگن (Michigan) وفي السنة الماضية أسست جامعة هارڤرد (Harvard) مركزاً للدراسات عن الشرق الأوسط . وقدمت جامعة كُلَمْبِيَا (Columbia) منذ عدة سنوات دروساً وجهت جل اهتمامها الى العلاقات الدولية في الشرق الأوسط . وأخيراً نذكر معهد الدراسات الدولية العليا التابع لجامعة جَنْزْ هَپكِنْزْ (Johns Hopkins) ويقوم هذا المعهد في العاصمة أي مدينة واشنطن مع ان مركز الجامعة هو في مدينة بَلْتِيمُور (Baltimore) . هناك برامج أخرى على نطاق أضيق ولكن البرامج المذكورة هذه هي البرامج الرئيسية . وفي المجموع يبلغ عدد الجامعات والكليات العليا التي قدمت دروساً في اللغة العربية بحسب تقرير مؤرخ في سنة ١٩٥٢ هو خمسة عشر وبموجب نفس التقرير توجد ست جامعات تقدم اللغة الفارسية وخمس جامعات تُدَرِّس التركية وأربع اللغة الأندونيسية وجامعة واحدة تقدم الأُردية . وهنا علينا أن نقول إن أقل من ثلث الأساتذة الذين يدرّسون هذه الدروس هم أميركان أصليون ، وهذه الحالة مفهومة بسهولة فإنّ سببها عدم وجود دراسات في هذه الميادين في ما مضى .

مثال لمنهاج الدراسة

أما تفاصيل منهاج الطالب في الجامعات التي تقدم الدراسات العربية والاسلامية بشكل منظم شامل فلن أتعرض لكل الجامعات ولكني سأحاول إعطاءكم على كل حال فكرة سريعة عما يجابهه الطالب الجامعي في جامعة برنستون ـ وأختار جامعة برنستون لأني أعرف برنامجها بصورة أفضل ولأنها الأقدم ـ أعني طبعاً الطالب الذي اختار التخصص في شؤون الشرق الأوسط وتأريخه . فهذا الطالب يجب عليه أن يدرس على الأقل سنتين لغة إسلامية (وأكثر من ثلاثة أرباع

الطلاب يختاردن ـ وهم على صواب ـ العربية كلغتهم) . وبالاضافة الى اللغة يجب على الطالب أن يأخذ في كل نصف سنة مدرسية درسين في ثقافة الاسلام وتأريخه ـ إما قديماً أو حديثاً ـ أو في ما يتعلق بالشرق ولو بطريقة غير مباشرة . ومن الدروس المنتشرة امامه نذكر ما يلي : مقدمة للثقافة الاسلامية ، عيون الأدب الاسلامي ، الشرق الأدنى قبل الاسكندر ، الشرق الأدنى من الاسكندر حتى الرسول العربي ، نشوء الاسلام ، عالم الاسلام من عهد العباسيين حتى عهد العثمانيين ، الشرق الأدنى في العصور الحديثة ، العلاقات الاجتماعية المعاصرة في الشرق الأدنى ، العلاقات الاقتصادية في الشرق الأدنى ، السياسة في الشرق الأدنى ، الشريعة الاسلامية . وطبعاً يجد الطالب عدة صفوف أخرى تتجه الى الشرق العربي والاسلامي في طريقة غير مباشرة كصفوف قسمَي الفلسفة والعلاقات الدولية وما الى ذلك[1] .

أما طالب الدكتوراه فستُطلب منه لغتان إسلاميتان ، إحداهما كلغة أولى والأخرى كلغة ثانية ويدرس الطالب فوق اللغة نفس المواد تقريباً ولكن على مستوى أعلى . وتستمر الدراسة الاختصاصية في أكثر الأوقات حوالي أربع سنوات قبل نيله شهادة الدكتوراه . وعلى وجه العموم لا يأذن أساتذة القسم لطالب الدكتوراه أن يفلت من بين أيديهم قبل أن يقضي سنة على الأقل في ربوع الشرق لأنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن الاختبار العملي في الأقطار الاسلامية يوفر له تقديراً للثقافة والأخلاق الاسلامية لا يجدها في المحاضرات وبطون الكتب .

(١) لا نقصد ان يعتقد القارىء ان الأساتذة في برنستون يظنون ان منهاج جامعتهم أصبح كاملاً . فهو ما زال يحتاج الى دروس وأساتذة في مواضيع الفن الإسلامي والفلسفة الإسلامية ، والإسلام كدين بذاته . وتجابه الجامعة صعوبة في إيجاد هؤلاء الأساتذة .

وقد يكون هنا مجال للاشارة الى بعض التسهيلات التي تملكها جامعة كجامعة برنستون - بالإضافة الى الأساتذة - . من هذه التسهيلات أذكر أولاً مطبعة جامعة برنستون التي لديها لينوتيب عربي والتي نشرت عدة كتب في العربية بما فيها مذكرات أسامة بن منقذ الفارس المغوار والأديب الضليع الذي كان يقيم بقلعة شيزر بالقرب من حماة في عهد الصليبيين . وثانياً مجموعة نفيسة جداً للمخطوطات العربية وعددها يزيد على عشرة آلاف مخطوط . وثالثاً فان مكتبة الجامعة قد رصدت بعض المال لشراء الكتب المطبوعة في اللغات الاسلامية والغربية لا أعرف عددها ، ولو على سبيل التقريب ، ولكن أعرف أن المكتبة تنفق خمسة آلاف دولار سنوياً على الكتب المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي .

يحق لكم أيها القراء الكرام أن تسألوني عن أغراض هذا التعليم وأهدافه . سأقول ان الغرض من تدريس الطالب الجامعي هو توسيع ثقافته العامة وتغذية روحه فقط . ويختار الطالب التخصص في هذا الميدان الشريف كما يختار التخصص - مثلاً - في الأدب الانكليزي أو الموسيقى ، أو أقول في كلمة أخرى بمائة قسم من الـ liberal education كما نسميها أي التربية الرحبة أو الحرة ، لا غاية منها في التعليم الحرفي .

وأما هدف التعليم بالنسبة لطالب الدكتوراه فينقسم الى قسمين . نصف الطلاب - في الغالب - يريدون هذه الدروس لأنهم يريدون أن يصبحوا أساتذة في الجامعات ليدرسوا تأريخ العرب ويبحثوا في تخصصهم الدقيق ، والنصف الثاني يريدون الحياة العملية في الشرق إما كموظفي الحكومة في وزارة الخارجية أو في دائرة حكومية وإما في الصناعة والتجارة مع شركات تشتغل في الشرق كشركات الزيت أو شركات الطيران .

أما عدد التلامذة في جامعة برنستون من الجامعيين وطلاب الدكتوراه فهو

يقارب خمسة عشر طالباً جديداً سنوياً ولقد بلغ مجموع الطلاب في صفوف برنستون المختلفة السالفة الذكر ما يزيد عن المائتين ، وكثيرون من هذا العدد هم طلاب في أقسام أخرى يحبون توسيع ثقافتهم العامة . فهذه صورة موجزة عن احدى الجامعات المتخصصة في الشرق الإسلامي .

الأبحاث

لا أحاول أن أعدد جميع الأبحاث التي قدمها الأمريكيون في الميدان الإسلامي ويكفيني أن أقول بأنه على رغم تأخرهم في دخول الميدان فالمستشرقون الأمريكيون قد تقدموا في عملهم تقدماً لا بأس به وساهموا مساهمة غير قليلة في ميدانهم المختار . ولكني أذكر هنا أسماء أهم المستشرقين واختصاصاتهم [1] :

وقد كتب وِليَم پُپِر William Popper من جامعة كالفورنيا California أبحاثاً مهمة جداً في درس مماليك مصر وفي نشره كتب ابن تغري بردي . وسيظل كتاب جورج سارتُن George Sarton من جامعة هارڤرد واسم كتابه Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء كبيرة مصدراً أساسياً في العلم الطبيعي الإسلامي (وغير الإسلامي) في الأجيال القادمة وأفاد أرثُر جفريز Arthur Jeffreys من جامعة كلمبيا كلّ طالب بدراساته عن نصوص القرآن القديمة وقراءاته . وتعتبر كل من أبحاث ا . ر . نِكَل A. R. Nykl في الأدب الأندلسي ، والترجمة الجديدة لمقدمة ابن خلدون بقلم فرنس روزنثال Franz Rosenthal من جامعة يايل Yale وأبحاث نفس العلامة في تاريخ علم التاريخ الاسلامي ، ودروس رِتشرد أتِنْكَهوزِن Richard

(١) هنا أستثني العلماء الكبار كالأساتذة فيليب حتي ونبيه عبود ومجيد خضوري وشارل عيساوي ونبيه فارس فليس هؤلاء بمستشرقين بالمعنى المعروف .

Ettinghausen من متحف الفن فرير Freer في الفن الاسلامي ، ودروس گوستاف ڤون گنرُونبَوم Gustave von Grunebaum من جامعة شيكاگو Chicago في الملاقات الثقافيـة وفي الشعر العربي ، ودروس وَالتَرْ فِشَل Walter Fischel من جامعة كالفورنيا عن ابن خلدون ، ونشر (منهج السالك) لأبي حيان بقلم سِدْني گلَيْزَر Sidney Glazer ـ أقول كلها تعتبر أبحاثاً قيمة ومن الدرجة الأولى . ويمكننا الاستمرار طويلاً في التعداد ولكن القائمة المقتضبة أعلاه تعطي فكرة سريعة عن مدى الأبحاث الاسلامية في الولايات المتحدة .

منظمات أخرى

لا أستطيع ترك مسئلة المنظمات المهتمة بالشعوب الاسلامية وثقافتها بدون اشارة قصيرة لبعض المنظمات غير الجامعية ولبعض أوجه النشاط غير الدرامي . فمن أمثال عديدة أختار أربعة : أولاً علي أن أذكر مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية ، وهذا المجلس ـ كما يظهر من اسمه ـ أعضاؤه هم كل الجمعيات العلمية في الانسانيات . فيقدم هذا المجلس عدة خدمات لميدان العلم في أمريكا ومنها أنه أسس سلسلة ترجمات لأهم الكتب العربية الحديثة من أنواع مختلفة وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن عشرة كتب منها : (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين و (العدالة الاجتماعية في الاسلام) للسيد قطب و (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد و (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) لعلال الفاسي و (عبقرية العرب في العلم والفلسفة) لعمر فروخ ، ومختارات من (مذكرات) المغفور له الأستاذ محمد كرد علي وغيرها من الكتب . فلا طريقة أفضل من الترجمة لتفهيم الفئات المثقفة في أمريكا حالة الأدب العربي ، وأحلام العرب وأفكارهم .

ثانياً يلزمني أن أذكر المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد Ford ومؤسسة

رُوكِفَلَر Rockefeller ومؤسسة كَرْنَـگي Carnegie . ومن المعروف أنْ كل واحدة من هذه المؤسسات وغيرها مما هو أقل شهرةً قد بنيت على وقف خيري لرجل كبير في الصناعة الأمريكية . ولا تقوم هذه المؤسسات مباشرةً بأية دراسات ، ولكنها تساعد المنظمات والأفراد الذين يقومون بمشروعات مختلفة ، منها الدراسات الاسلامية . وأظن أنه لا يوجد أية جامعة تقوم بمثل هذه الدراسات بدون مساعدة هذه المؤسسات . وأنا مثلاً مدين لمؤسسة فورد لإتاحتها الفرصة لي في هذا العام للدراسة هنا في دمشق .

ثالثاً ازداد على نطاق واسع عقد المؤتمرات حول القضايا الحديثة والقديمة في الشرق . ويشترك ببعضها طلاب وبالبعض الآخر رجال السياسة من عرب وأمير كان ورجال التجارة والصناعة والعلم الذين يهتمون بالشرق الاسلامي ، ولهذه المؤتمرات ـ حيث تلتقي الآراء والأفكار المختلفة ـ أهمية غير قليلة في توسيع آفاق الرأي العام عن حقائق شعوب الشرق . وربما كان أهم هـذه المؤتمرات مؤتمر الثقافة الاسلامية المنظم تحت إشراف جامعة برنستون ومكتبة المجلس النيابي أي الـ Congress عام ١٩٥٣ . اشترك فيه علماء من جميع الأقطار الاسلامية ـ ما عدا أفريقيا الشمالية ـ وكان بينهم الشيخ مصطفى الزرقا ، والأستاذ شفيق جبري من سورية ، وعلماء من أمريكا . ولقد دام هذا المؤتمر مدة عشرة أيام ، وهو من أفضل المناسبات في سبيل التعاون الفكري بين أمريكا والعالم الاسلامي .

رابعاً وأخيراً لا أنسى المتاحف العديدة التي تحفظ مجموعات عظيمة الشأن من الانتاج الفني الاسلامي . وليس من الضروري أن أعدّد أسماء هذه المتاحف ويكفيني أن أذكر متحف فرِيَر Freer في مدينة واشنطن الذي يحفظ عدداً كبيراً من الصُوَر المُصغَّرة لروائع الفن الفارسي وغيرها من روائع الفن الإسلامي .

المستقبل

الى هنا حاولتُ أن أقدم وصفاً مختصراً عن الدراسات المفتوحة للطالب الامريكي ولكننا لا بد لنا أن نلقي نظرة على المستقبل . رأينا بداية لا بأس بها للدراسات الاسلامية ، أساسها العربية ومادتها الثانوية الفارسية والتركية . وهنا بالمناسبة نستطيع أن نلاحظ عدم وجود دراسات في اللغة الأوردية وهي من أهم اللغات الاسلامية من حيث عدد الناطقين بها ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مال كثير .

ومن ناحية ثانية يجابه توسيع الدراسات الاسلامية في أمريكا مشكلة ثانية ، وهي مشكلة ازدياد سكان امريكا بشكل لا يمكن تصديقه وينجم عن ذلك ازدياد مقابل في عدد طلاب المدارس والجامعات . ويقدر أن يرتفع عدد الطلاب في جامعات أمريكا البالغ المليونين والنصف حالياً الى خمسة ملايين بعد عشرين سنة وتؤثر هذه المشكلة طبعاً في كل قسم من أقسام التربية وخاصة في جميع أقسام الدراسات الشرقية . ولماذا ؟ لأنه في الغالب لا يريد المستشرقون عدداً كبيراً من الطلاب . فليس هذا الميدان بهين ، وعدد المناصب المفتوحة للاختصاصيين فيه غير كبير ، ولذلك فالنوع أفضل بكثير عند المستشرقين من الكمية . أعني أن الدراسات الشرقية غالية وفي نفس الوقت تأخذ قليلاً من الطلاب - أي أن تساعد على حل مشكلة ازدياد هائل بعدد الطلاب . فاذاً على المستشرقين أن يجاهدوا كي يُفْهموا ادارات الجامعات - وهي أمام إقبال شديد من الطلبة - أهمية الدراسات العربية والإسلامية وقيمتها حتى تصرف المصاريف اللازمة لها .

ومع ذلك كله فاني متفائل بمستقبل الدراسات العربية في أمريكا . فقد صغر العالم خلال السنين الأخيرة الى درجة اضطُر معها الناس في جميع أنحاء هذا

العالم الصغير لتحقيق التفاهم المتبادل . ولذلك أتنبأ أن يكون للجيل الجديد خمسة أو ستة مراكز مهمة للدراسات الاسلامية بالإضافة الى جامعات كثيرة فيها بضعة صفوف تمهيدية تقدم صورة عامة دقيقة عن الشرق . وأرى شخصياً توسيع الدروس في الجامعات غير المتخصصة أهم الواجبات أمام الاستشراق الامريكي في المستقبل القريب . واذا صحّ قولي هذا فسيكون لهذه الجامعات تأثير عظيم الشأن في تنوير الرأي العام الأمريكي عن حقائق ثقافة أصبحت ثقافة مجاورة .

***

استفدت استفادة خاصة في تحضير هذه المقالة من المؤلفات التالية :

١ - ابوشادي ، احمد زكي «فلسفة النحو» ، (كتاب العام) . واشنطن : صوت امريكا ، ١٩٥٥ .

٢ - .Dodds, Harold W خطاب الافتتاح السنوي لجامعة برنستون ١٨ ايلول ، ١٩٥٥

٣ - Fessler, Doris. « Asian Studies in the United States » International Press Service (mimeographed), 1952

٤ - Hitti, Philip K. « Arabic and Islamic Studies in the United States, » Pakistan Quarterly, Vol. IV, No, 3, pp. 11-12

Smith, Wilfred Cantwell. « The Place of Oriental Studies in a Universty » خطاب مقدم الى الجمعية الأمريكية الشرقية في مدينة تورنتو في كندا ، ٢٠ آذار ، ١٩٥٥ .

الدكتور بايلي واينذر



أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

-٦-

الحالة العلمية في الموصل :

كانت ديار الموصل (حدياب) من ديار العلم العريقة في العراق من قبل الميلاد ، فقد كان سكانها القدماء من الارميين العرب الممتازين بثقافتهم وعلمهم ، وكانت لغتهم الارمية من أرقى اللغات وأدقها نحواً وصرفاً وبياناً وأدباً ، ولما ظهرت المسيحية اعتنق أهلها هذه الديانة ، وعرفوا منذ ذلك الحين بالسريان تمييزاً لهم عن الارميين الوثنيين[1] ، فقد ازدهرت الحضارة وارتقى العلم في الديار الموصلية بعد ظهور المسيح منذ القرن الثاني للميلاد الى ظهور الاسلام بل وبعده بقرنين ، وقد تغلغلت الآداب اليونانية فيها وامتزجت بالثقافة الارمية فتكونت ثقافة شرقية غربية مختارة ، وقد ترجم العلماء الارميون كثيراً من الكتب اليونانية الى لغتهم وبخاصة كتب الفلسفة وعلوم الأوائل ، وقد امتد نفوذ اللغة الارمية بثقافتها الواسعة الى العراق كله ، والى سورية ، وفلسطين ، ومصر وإيران .

وقد كانت مدن (حران) و (الرها) و (نصيبين) و (اربل) وسائر ديار الموصل الكبرى من المدن التي ازدهرت فيها اللغة الارمية والآداب الارمية ، كما ارتقت فيها الفلسفة والعلوم وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات ،

(١) راجع تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ٢ / ١٣ .

واخذ الناس من بلاد فارس والشام ومصر يقصدون هذه المعاهد للتثقف والاطلاع على علوم الأوائل [١] .

ومما هو جدير بالذكر انه قد قام في ديار الموصل وإلى جوانبها عدة أديرة ومدارس نبغ فيها جمهرة كثيرة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والمصنفين كمدرسة (بلد) ومدرسة (الرستاق) في مرگا [مرج الموصل] ومدرسة (بيت بغاش) ومدرسة (بيت عبناتا) وغيرها . يقول القس الصائغ مؤرخ الموصل : « ان باباي الجبيلتي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حدياب ـ أي بلاد الموصل ـ أربعاً وعشرين مدرسة ينوّه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ، وينقل ان باباي أسس فيها ستين مدرسة في المدن والقرى الكبيرة ، وأقام لإدارتها ستين نابغة من المبرزين في العلوم وجعل لها أوقافاً وفية وسنّ لها القوانين والنظامات العجيبة فسمى المؤرخون الارميون ذلك العصر عصر الأستاذ باباي الجبيلتي ، ومن هذا يتضح أن بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علماً وعمراناً [٢] » .

ومن مشاهير العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين حفظ الدهر لنا اسماءهم من أهل حدياب :

الشاعر الفيلسوف الكبير نرسي (ـــ ٥٠٢ م) وقد أسس عدة مدارس وقضى عمره في التدريس والتصنيف ونظم الشعر وقد بقي من آثاره نحو ٤٠٠ قصيدة مطولة في تفسير كتب الدين وفي علم الإلهيات والعقائد الدينية .

والكاتب الأديب النحوي ابرهيم التتفري الذي كان في أواسط المئة السادسة للميلاد والذي خلف آثاراً ورسائل في الأدب واللغة .

والفقيه المفسر حنانا الحديابي (ـــ ٦١٠) وقد خلف آثاراً كثيرة في علوم

(١) راجع كتاب مدرسة نصيبين لأدّي شير . بيروت ١٩٠٥ .
(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ١ / ٩٠ .

الدين والتشريع وتفسير الكتب السماوية ، والعقائد الإلهية ، وقد ضاعت أكثر آثاره هذه ولم يبق إلا عدد قليل من قصائده وتفسيره .

والفيلسوف النحوي يشوع ياب الجدلي البطريرك الذي عاش في أوائل المئة السابعة للميلاد والذي يروي عنه المؤرخون الارميون انه تشرف بمواجهة النبي العربي الكريم (ﷺ) فأنعم عليه بكتاب توصية بنصارى بلاده ، كما أنه حظي برؤية عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه وقد خلف مصنفات معتبرة منها (شرح الزبور) وكتب عديدة في التاريخ والآداب وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا نتف محفوظة في المتحفة البريطانية .

والشاعر اسحق النينوي الشهير الذي عاش في أواخر المئة السابعة للميلاد وقد خلف مؤلفات كثيرة في النحو والأدب والتفسير والشعر ، نقل كثير منها الى العربية والحبشية واليونانية واللاتينية والايطالية والانكليزية وقد طبع ديوانه .

والكاتب الأديب يشوع ياب الحديابي (— ٦٦٠) وله آثار جليلة في اللغة والأدب ومن أجلها رسائله الأدبية البليغة التي طبعت قبل سنوات .

وقد كان لهؤلاء العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة أثر كبير في تثقيف سكان هاتيك الديار ، وفي رفع المستوى الثقافي في القطر الموصلي وجعله مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في المشرق قبل الإسلام وبعده .

أما مدينة الموصل نفسها فقد كانت مدينة صغيرة قبل الإسلام تدعى بالارمية (حصنا عبرايا) ، وقد كان فيها بعض الأديار يأوي اليها رهبان من أهل العلم والفضيلة والدين مثل سائر الأديرة التي كانت منتشرة في هاتيك الديار ، ولما فتحها العرب في سنة ١٥ للهجرة سكنها بعض القبائل العربية فانتشرت فيها اللغة العربية وتزوج العرب من سكانها الأصليين الذين أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي فقويت الروابط الأخوية بين الارميين وبين العرب الفاتحين ، وكان من أبرز القبائل العربية التي سكنتها بنو تغلب وكثير من بني طي وغيرهم من عرب اليمن ،

عرب ربيعة ، ونبغ منهم في صدر الإسلام والعصر الأموي جمهرة من الأفاضل الشعراء وفي طليعتهم الأعشى التغلبي ، والنعمان بن معاوية الربعي النصراني ، غيرهما من شعراء الدولة الأموية . ولما استخلف بنو العباس واتخذوا العراق قرًّا لهم ازدهرت الحركة العلمية في العراق عامة وفي الموصل والبصرة بغداد والكوفة خاصة .

وغدت الموصل في العصر العباسي من مدن العلم الكبرى التي ازدهرت فيها لحركة الدينية والأدبية واللغوية وتخرّج من جامعها الأعظم وحلقاتها العلمية في كانت في قصر الامارة (وفي قصور الوجوه وكبار القادة والأمراء) جمهرة ن كبار رجال الدين والعربية والأدب والشعر نذكر منهم :

الإمام الجليل بكار بن شريح (— ١٦٣) وهو الفقيه البارع الذي تولى ضاء الموصل فترة طويلة وكان مشهوداً له بالفضل والنبل ، وله آثار جليلة [١] .

ومنهم المعافى بن عمران الأزدي (— ١٨٥) ابو مسعود الموصلي الإمام الجليل لمجتهد الذي كان يلقب بشيخ الجزيرة والديار الموصلية في عصره . وكان أحد ثقات وكبار حفاظ الحديث النبوي ومصنفيه وقد خلف للمكتبة العربية آثاراً جليلة تعتبر من أقدم ما صنف في الخزانة العربية من كتب السنن والزهد والأدب التاريخ [٢] . وقد خلّف المعافى ولداً نبغ في الموصل وخلَف أباه وكان من جلة شيوخ هذه المدينة وهو الشيخ عبد الكبير بن المعافى ومات سنة ٢٢١ هـ [٣] .

ومنهم الامام الزاهد سابق بن عبد الله الموصلي المتوفى في القرن الثاني للهجرة ، كان من كبار الأئمة زهداً وعلماً وإصلاحاً ، وكانت له على الموصل وأهلها

---

١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٢٥ .

٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٦ وتاريخ ابن الأثير ٦ / ٦٧ .

٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٥ .

أيادٍ في تهذيبهم وتوجيههم الى سبل الحق ودعوته إياهم بالحكمة والموعظة الحسنة [١] .

ومنهم الإمام الفقيه صفوان بن عيسى الموصلي (ـــ ٢٠٠) وكان من كبار الفقهاء وأهل العلم بالحديث والسنن والأخبار وكانت له بجامع الموصل الأعظم حلقة كبرى يدرس فيها الفقه ويعظ الناس ويقرئهم الأدب والعربية والدين وهو من أقدم من عرف في الموصل من المؤدبين [٢] .

ومنهم الإمام المعافى بن داود الموصلي (ـــ ٢٠٠) وكان من رجال الفقه والحديث وسائر علوم الدين ، كما كان من الزهاد الصالحين ، وكانت له حلقة في جامع الموصل وقد تخرج به جمهرة من أهل الموصل وحلب [٣] .

ومنهم المحدث المؤرخ الفقيه أبو يحيى ابرهيم بن موسى الزيات (ـــ ٢٠٥) خرج من بلاده في سبيل العلم فجلس طويلاً الى المحدث المؤرخ التابعي الجليل هشام بن عروة عالم المدينة وكبير محدثيها ، وأفاد منه ثم رجع الى الموصل ينشر فيها العلم والدين [٣] .

ومنهم المحدث الإمام الفضل بن عبد الحميد الموصلي (ـــ ٢٠٩) وكان من كبار حفاظ الحديث ورواته الثقات ، كما كان من أصحاب الأخلاق النبيلة ، وكان يعلّم ولا يأخذ على العلم أجراً وقد أفادت الموصل منه فوائد جليلة [٤] .

ومنهم الخليل بن أبي رافع جعفر بن محمد بن أبي يزيد المزني الموصلي (ـــ ٢١٧) وكان من كبار علماء الموصل وعبّادها وأفاضلها ، وكذلك كان أبوه أبو رافع من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ، وبنو المزني هؤلاء من العلماء الأجلاء الذين أثروا آثاراً علمية واضحة في الموصل وأهلها في القرنين الثالث والرابع [٥] .

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٧٧ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٣١ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٩ .
(٤) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٩ .
(٥) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٢ .

ومنهم الامام الجليل أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خداش الموصلي (— ٢٢٢) وكان من العلماء الفحول الذين تخرجوا بالمعافى بن عمران وكان يقربه ويعتمد على فهمه وقد أفاد الناس فوائد كثيرة من أبي هاشم[١] .

ومنهم الامام المحدث الحافظ عبد الله بن يعقوب بن اسحق العطار التميمي (— ٢٧٥) وكان من أهل الحديث المكثرين ، وكان عند الحكام من المعدّلين[٢] .

وغير هؤلاء كثير من أئمة الدين الذين لو رحنا نعددهم لطال بنا التعداد .

أما أئمة البيان والشعر فنذكر في طليعتهم الأديبين الموسيقيين المشهورين ابرهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي ، وابنه اسحق بن ابرهيم الموصلي ، وكان ابرهيم من أهل الكوفة إلا أنه سكن الموصل طويلاً وأفاد من رجالاتها علماً وفضلاً ، ونبغ في الأدب والموسيقى حتى صار أوحد زمانه في هذين الفنين وبخاصة في الموسيقى والغناء ، فانه اخترع فيهما ألحاناً وأصواتاً ، ولما تسامع أهل بغداد بصيته دعوه الى مدينتهم فقدمها ورحب به أهلها ، وأذن له الخلفاء أن يغني بحضرتهم ، وأول من سمعه منهم المهديّ العباسي وكان الرشيد كثير العطف عليه الى أن مات في سنة ١٨٨ هـ فلما مات خلفه ابنه ابو محمد اسحق وكان من عجائب الدنيا أدباً وفضلاً ورواية ، عارفاً باللغة والتاريخ وعلوم الدين والكلام والفقه ، تفرد مثل أبيه في صناعة الغناء وقد أحبه الرشيد وقرّبه ، ثم سمت مكانته عند الأمين والمأمون والواثق ، وكانت له مؤلفات أجلها كتاب أغانيه وأخبارها ، وكتاب أخبار عزة الميلاد المغنية ، وكتاب أغاني معبد ، وكتاب أخبار حمّاد عجرد ، وكتاب أخبار ذي الرمة ، وكتاب مواريث الحكماء ، وكتاب جواهر الحكماء وكتاب الرقص والزفن ، وكتاب الندماء ، وكتاب النغم

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦١ .

(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٧ / ١٤٥ .

والابقاع ، وكتاب قيان الحجاز ، وكتاب النوادر المتخيّرة وغيرها من الكتب التي عدّدها ابن النديم وابن خلكان وياقوت في ترجمته(١) .

ومن أئمة الأدب والفن الموصليين ، الذين كان لهم أثر كبير في هذه المدنية الشاعر الأكبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الذي استوطنها وقضى شطراً من عمره فيها ، الى جانب الأمير محمد بن حميد الطوسي . وقد طبقت شهرة أبي تمام الآفاق وأفاد العلماء والباحثون في درس أدبه وعلمه وشعره مما لا مجال له هنا .

وقد كان لحميد الطوسي الطاهري القائد الأمير الفاضل حلقات أدبية في الموصل وكذلك كان ابنه أبو نهشل الذي اعتنى بأبي تمام حين مات وبنى على قبره قبة عالية خارج باب الميدان على حافة الخندق . وما يزال قبره معروفاً ومزوراً الى أيامنا هذه(٢) .

وأما في علوم الأوائل من طب وفلسفة وهندسة وفلك ورياضيات فقد ظلت الموصل بعد الاسلام محافظة على المستوى الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وظل كثير من مدارسها القديمة الملحقة بكنائسها وأديارها يحفل بالعلماء والأطباء والفلاسفة والمناطقة ، وفي طليعة هؤلاء :

الفيلسوف يشوع بن نون (- ٨٢٧ م ، ٢١١ هـ) وكان من رجال دير مار ايليا الحيري المعروف بدير سعيد ، تلقى العلم فيه ونبغ في علوم الدين المسيحي ، وفي الفلسفة وفي الرياضيات وفي الموسيقى ، وأخذ قدره يسمو حتى بلغ رتبة البطركية . وقد خلف عدة آثار في الدين وأحوال الكنائس وتواريخها ، وكتباً في الموسيقى والألحان والشعر(٣) .

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ١ / ١٤١ ، وفهرست كتاب الأغاني ، ووفيات ابن خلكان .

(٢) حدثني الكاتب الموصلي البارع السيد روفائيل بطي ان الحكومة العراقية كانت قد نقلت رفات أبي تمام عقيب الاحتلال البريطاني للموصل الى حديقة البلدية حيث بنت له بناء فخماً تكريماً للشاعر وعبقريته .

(٣) تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٤٦ .

والطبيب الحكيم سابور بن سهل الخوزي (— ٢٥٥) وكان من كبار الأطباء النوابغ في الطب مكانة سامية حتى سمي رئيساً لمستشفى جنديسابور في خوزستان ونسب اليه . وقد خلف للخزانة العربية عدة كتب في الطب والصيا لة أجلها كتاب الاقرباذين الخوزي ، وهو الكتاب المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة والعقارين[1] وكتاب الرد على حنين بن اسحق وكتاب القول في النوم واليقظة ، وكتاب موتى الأطعمة ومضارها وغير ذلك[2] .

والطبيب العالم يوحنا (يحيى) بن ماسويه الخوزي (— ٢٤٣) وكان طبيباً حاذقاً بارعاً في فنه عالماً باللغات اليونانية والكلدانية والفارسية والعربية . وكان له فضل كبير على أهل الموصل ولما ذاع صيته استدعاه الرشيد الى بغداد وعهد اليه بالقيام على ترجمة ما أراد ترجمته من كتب القدماء في الطب والفلسفة مما استحصله من كتب اليونان والروم في أنقرة وعمورية وقد رتب له الرشيد كتّاباً وأمناء حاذقين بالصناعة يقومون بخدمته . ولما مات الرشيد واستخلف المأمون زادت مكانته وجعله الرئيس على دار الحكمة والترجمة وكان مجلسه في بغداد من أعمر مجالسها العلمية والفلسفية ، وكان الخلفاء منذ عهد الرشيد الى أن مات لا يتناولون شيئاً من الأدوية والملاجات إلا بمشورته وبحضرته وقد خلف للخزانة العربية آثاراً جد قيمة من أجلها (كتاب الحمّى) و (كتاب الجراحة) وقد طبعا ، وله بعض المخطوطات العربية والعبرية والارمية في الطب مثل (كتاب نوادر الطب) و (الأدوية المسهلة) و (كتاب الكمال والتمام) وغيرها من النفائس[3] .

والشاعر الحكيم عمانوئيل برشهاري (— ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م) وكان من رجال

---

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٥ .

(٢) طبقات الحكماء ١ / ١٦١ .

(٣) راجع بروكلمان .G. A. L الذيل ١ / ١٤٤ ومختصر الدول لابن العبري ٢٤٦ وطبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، والفهرست لابن النديم .

ديرمار جبرائيل بظاهر الموصل وكان شاعراً مجيداً بالارمية وديوانه (الاكساميرون) أي الأيام الستة من أجل دواوين الشعر الارمي وقد بقيت بعض أجزاء من هذا الديوان في خزائن الفاتيكان ولندن وبرلين وبعض خزائن كتب أديرة الموصل . وقد نشر العلامة القرداحي في كتابه الكنز الثمين بعض آثار عمانوئيل هذا [1] .

والأديب الكاتب يوحنا (يحيى) بن خلدون الصيّاري (— في أواسط القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد) وكان من رجالات دير بيت صيّارى ، بارعاً بالأدب والعلم ونحو اللغة الارمية ، وله نظم جيد وآثار جليلة في الآداب والتاريخ واللغات وله ديوان شعر مملوء بالحكم والأقوال الرائعة وقد نشر العلامة القرداحي بعض آثاره [2] .

هؤلاء هم بعض العلماء والحكماء والفلاسفة الموصليين الذين نبغوا في الديار الموصلية ونشروا فيها العلم والحكمة والفلسفة قبل العصر الذي نبغ فيه مؤلفنا العبقري أبو الفتح بن جني الرومي الموصلي ، وهم كما ترى أئمة أعلام لم يتركوا ناحية من نواحي العلم والفلسفة والأدب والمنطق والطب والنحو والصرف وغيرها من علوم الأوائل إلا درسوها وبحثوا وصنفوا فيها ، فليس عجباً أن يكون العصر الذي نبغ فيه ابن جني عصراً مزدهراً بحركته العلمية بارزاً بنشاطه الثقافي مجلياً في حلبة التأليف والتصنيف ، والبحث والتدريس ؛ فلنقف وقفة طويلة أمام ذلك العصر ، ولنعرض الى دراسته والفحص في جنباته لنرى الأئمة والشيوخ الذي نبغوا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ممن قد أفاد ابن جني من أدبهم أو درس عليهم مشافهةً أو إجازةً أو وساطةً .

***

---

(١) راجع الكنز الثمين طبع رومة سنة ١٨٧٥ ص ٦٨ — ٧١ .

(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٦٨ .

نبغ في الموصل في القرنين الثالث والرابع جمهرة من كبار العلماء والشعراء
مصنفين أشرنا الى بعضهم في مقدمة هذا البحث ، وقد غدت الموصل محجـة
لاب العلم في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس بعد بغداد والبصرة
كوفة وبخاصة في عصر بني حمدان الذين كانوا يجودون على العلماء بالعطاء
اسع ويحسنون الى كل من قصدهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة والمصنفين ·
كان على رأس بني حمدان في هذا المضمار سيف الدولة ، الذي شاد الأدب
علم دولة رفيعة الأركان في الموصل ثم في حلب ، وأبو الهيجاء الأمير العالم
ي كان لا يقل عن سيف الدولة عناية بالعلم وأهله · يقول الثعالبي : « ورزقوا
أي أدباء هذا العصر وعلماؤه – ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء
بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمعروفون بالمجد والكرم والجمع بين آداب
يف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على
بد منه فيجزل ويفضل فانبعثت القرائح في الإجادة وقادوا محاسن الكلام بأاين
م ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا ، وأكثرهم اشتهاراً في ذلك سيف الدولة
كان قصره بؤرة الأدباء ، ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد ،
فارابي الفيلسوف الكبير ، والموسيقي البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات
، مسافر معه الى دمشق ، ثم الاصفهاني الذي قدم له كتابه الشهير في الأدب
وسيقى والتاريخ فأعطاه سيف الدولة جائزة عليه ألف دينار واعتذر اليه ...[1] »
وقد جمعت الموصل في عهد هؤلاء الملوك الأكارم نخبة صالحة من كبار
ئمة أمثال السري الرفاء أبي الحسن بن احمد (– ٣٦٦) الشاعر العالم
صلي الذي عاش في كنف بني حمدان في الموصل وحلب ، وكان مبدعاً في
ره وحكمته ، متفنناً في نظمه ونثره ، عطف عليه سيف الدولة وقربه حتى

---

(١) يتيمة الدهر .

جعله من خواص خواصه فأقام عنده ، وكان عذب الألفاظ منقناً للتشبيهات بارعاً في التصوير ، وقد خلف آثاراً أدبية منها (ديوان شعره) ومنها (كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب)(١) وكان الشاعران الأخوان الموصليان خازنا كتب سيف الدولة المعروفان بالخالديين ينابذانه ويخاصمانه وينافسانه فادّعى عليهما سرقة شعره وأوغر عليهما صدر سيف الدولة ثم انهما تمكنا من إقناع سيف الدولة بأنه هو الذي يسرق شعرهما ، فتغير عليه سيف الدولة وقطع رسمه من ديوان مجلسه ، واضطر السريّ أن يترك الموصل وحلب ويقصد بغداد لاجئاً ، إلى أن أدركه أجله .

ويظهر أن الخصومة بين السريّ الرفاء والخالديين قد تطورت فتناقل أخبارها أدباء الموصل ومؤرخوها وتفننوا في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين لترويج سوق الأدب واحتدام الملاحم الشعرية . والمؤرخون يزعمون أن السريّ الرفاء كان ينسخ ديوان شعر كشاجم الشاعر المؤلف الموصلي الأديب الكبير ، ويدسّ فيه أشعار الخالديين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ، ويشنع بذلك عليهما تأكيداً لما يدعيه عليهما من السرقات الشعرية ، وقد عقد الثعالبي فصلاً في اليتيمة لسرقات الخالديين وغاراتهما على شعره وشعر السريّ . وللسريّ في ذلك أقوال كثيرة منها ما يقوله في قصيدة يمدح بها الأمير أبا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ، ويتظلم اليه من الخالديين ومن سرقتهما شعره :

يا أكرم الناس إلا أن يعدّ أبا فات الكرام بآباء وآثار
... أشكو إليك حليفيْ غارة شهرا سيف الشقاق على ديباج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم لمزّقاه بأنياب وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلتة في جحفل من صنيع الظلم جرار

---

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

... وكل مسفرة الألفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شبابي في محاسنها حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
إن قلداك بدرٍ فهو من لججي أو ختماك بياقوت فأحجاري
وما رأى الناس سبياً قبل سبيهما بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حيًّا ولا رثيا ميتاً ولا افتخرا إلاّ بأشعاري
لم يبق لي من قريض كان لي وزراً على الشدائد إلا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أشعار حرمته وسائر الشعر مستور بأستار
عار من النسب الوضاح منتسب في الخالديين بين العزّ والعار [1]

والخالديان هما أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عُرام بن يزيد، وأخوه أبو عثمان سعيد بن هاشم الموصليان الخالديان من بني عبد القيس، وهما من سكان الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل [2].

ولم يذكر المترجمون من تاريخ ولادتها إلا أن أكبرهما وهو أبو بكر مات سنة ٣٨٠ هـ وأصغرهما وهو أبو عثمان مات حوالي سنة ٤٠٠ هـ وكانا عالمين جليلين وشاعرين مخلين، يشتركان في التحصيل والدراسة، والتأليف، فلما نبغا نبغا معاً وكانا لا يتفارقان كالتوأمين، وكانا يشتركان في نظم الشعر فينسب اليهما معاً، قال الثعالبي وكان يجمعهما «من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان [3]».

(١) راجع يتيمة الدهر ١ / ٤٥٣ ووفيات ابن خلكان ١ / ٢٠١ وفهرست ابن النديم ص ١٦٩ وخاص الخاص للثعالبي ص ١٢٠.

(٢) راجع معجم البلدان (الخالدية) ومعجم الادباء ٤ / ٢٣٧ والوافي بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية / تاريخ رقم ١٢١٩ ج ٤ / ٣١٤، ويتيمة الدهر ١ / ٤٧٤ وكشف الظنون ٧ / ٥٧٣ وفوات الوفيات ١ / ١٧٢، ٢ / ٢٧١.

(٣) يتيمة الدهر ١ / ٥٠٧.

قصدا بلاط سيف الدولة في الموصل ثم في حلب فقرّبهما ، وجعلهما من خواصه وولاّهما خزانة كتبه . ولا نعلم بالضبط الوقت الذي انضما فيه الى بلاط سيف الدولة ، غير أننا نعلم أنهما حضرا مجالسه أيام اتصال المتنبي به ما بين سنتي ٣٢٧ و ٣٤٦ هـ[١] . ويقول أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أنهما تركا بلاط سيف الدولة (على حد مغاضبته)[٢] الى بغداد لاجئين الى الوزير المهلبي الذي ناصرهما وساعدهما هو وأبو اسحق الصابي على خصمهما السري الرفاء .

وقد خلفا للخزانة العربية ديوان شعر ضخما ومؤلفات في الأدب أجلها (كتاب التحف والهدايا) الذي يعنى الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بنشره و (كتاب حماسة المحدثين أو حماسة الخالديين) ولا نعرف له وجوداً وكتاب (أخبار الموصل) و (أخبار أبي تمام) وكتاب (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره) وكتاب (اختيار شعر أبي عبادة البحتري) وكتاب (اختيار شعر ابن الرومي) وكتاب (اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره) وكتاب (الديارات) وكتاب (اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه) و (ديوان الخباز البلدي) . وغير ذلك مما فقد[٣] .

وقد كان هذان الأخوان عجيبين في النظم وحسن التأليف ، مدحهما أبو اسحق الصابي وقال فيهما قصيدة طويلة منها :

أرى الشاعرين الخالديين سيّرا ... قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه ... يقصر عنها راجز ومقصد[٤]

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (المطبوع على هامش شرح العكبري) مصر سنة ١٣٠٨ ج ١ / ١٧٣ .

(٢) رسالة الغفران . طبع أمين هندية ص ١٣٦ ، وطبع الكيلاني ص ٢٩ .

(٣) راجع الفهرست لابن النديم ص ١٦٩ ، والوافي بالوفيات طبع استانبول ١ / ٤٧ وكشف الظنون ١/١٩١ وخزانة الأدب ٢/٣٩٦ ومعجم الأدباء لياقوت ٢/٢٠ ووفيات ابن خلكان ١ / ٤٦ .

(٤) راجع اليتيمة ١ / ٥٠٨ .

وكان أبو عثمان أحفظ من أخيه لعيون الشعر روى عنه ابن خلكان في ترجمته أنه كان يحفظ ألف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة فمحفوظاته إذن كانت مئة ألف ورقة أو مئتي ألف صفحة ولو فرضنا أن في كل صفحة ثلاثين بيتاً من الشعر كان مجموع محفوظه ثلاثة ملايين بيت من الشعر[1] وقال عنهما ابن خلكان أيضاً (انهما كانا يغصبان الشعر صاحبه حياً كان أم ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما) ، وقد ظلا ينظمان الشعر ويؤلفان في الأدب الى أن توفيا . وقد جمع أبو عثمان شعره وشعر أخيه في ديوان ضخم ولكنه فُقد ولم نعثر على ذكر له في إحدى خزائن العالم حتى ان العالم المستشرق المحقق منس لم يشر اليه . وقد ضاعت أكثر آثارهما كما أشرنا اليه ما خلا كتاب التحف والهدايا وكتاب الحماسة ويعرف أيضاً بكتاب الأشباه والنظائر وهو مجموعة مختارة من عيون الشعر الجاهلي والاسلامي على نمط حماسة أبي تمام وأبي عبادة ومنها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل[2] .

والأديب الشاعر العالم المصنف الطبيب أبو الفتح كشاجم محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك الرملي الموصلي وكان من كبار أئمة الأدب والشعر والفلك والتصنيف وقد شاع شعره في حياته في العالم الاسلامي حتى بلغ الأندلس والغرب وحاكاه شعراء عصره واقتبسوا منه وقد خلف ديواناً ضخماً وآثاراً عديدة منها كتاب (المصايد والمطارد) وهو أول ما صنف في فن الفروسية والصيد وأتى فيه بالمبدع الفائق ، وكل من كتب بعده في هذا الفن أو البيزرة أو في علم الحيوان فهو عيال عليه أو مقتبس منه . وقد ظل هذا الكتاب

---

(١) راجع تاريخ الموصل للصايغ ٢ /٦١ .

(٢) راجع فهرس مخطوطات الموصل لداود الجلبي .

النفيس مجهولاً يتناقل المؤلفون والأدباء أخباره الى أن عثرت عليه في بعض خزائن إيران ونشرته في بغداد مؤخراً (١) . وقد كان كشاجم من أعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ومعرفته حتى انه لقب نفسه بكشاجم وهو لقب انتزعه من الحروف الخمسة الأولى من كلمات (كاتب ، شاعر ، اديب ، جواد ، مصنف) وربما أضيفت اليها كلمة (طبيب) (٢) . وقد خلف كشاجم في الخزانة العربية عدا كتابي المصايد والمطارد والديوان ، كتـاب أدب النديم أو لطائف الظرفاء وهو من أمتع كتب الأدب وهو مطبوع مشهور (٣) .

والشاعر أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي المشهور بالببغاء (— ٣٩٨) وكان شاعراً مكثراً مجوداً وكاتباً مترسلاً مليح الألفاظ جيد المعاني حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف . وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليـه وروى عنه بعض شعره عن طريق شيخه القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبي الفرج (٤) ، وكان الببغاء من أئمة الأدب وعيون رجال الشعر والنثر وقد روى التنوخي عنه كثيراً من أخباره وأشعاره في كتابيه (نشوار المحاضرة) و (الفرج بعد الشدة) وكان من المعجبين به وبأدبه وبخلقه . وقد أطنب المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع بأدب الببغاء وعدّه من بين الكتاب الذين غلب عليهم النثر « وكان لهم مع ذلك شعر جيد مثل الجرجاني علي بن عبد العزيز وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، وبديع الزمان الهمذاني وأبي اسحق الحصري

(١) طبع في مطبعة دار اليقظة ببغداد بعنايتي وتحقيقي في سنة ١٩٥٤ .

(٢) راجع مقدمتنا لكتاب المصايد والمطارد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني فقد ذكرناه في مقال مفصل .

(٣) رجع أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٨٣ وزهر الآداب للحصري وبروكلمان G A. L. الذيل ١ / ١٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع القاهرة ١١ / ١١ — ١٢ .

صاحب زهر الآداب فقد قال عنهم انهم ممن كانوا يجيدون الشعر إجادة تامة مع إجادتهم في النثر وان شعرهم كان رائعاً مثل نثرهم [١] » .

ومما قال عنه أيضاً « إنه نشأ في نصيبين ، واتصل بسيف الدولة فلما مات صاحبه تنقلت به الأحوال بين بغداد والموصل فنادم الملوك والرؤساء وقضى حياته بين النجاح والإخفاق ينعم تارةً ويشقى أخرى ، وكان الببغاء من أركان الحياة الأدبية في زمانه ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلاً فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الأدبية ... ومجموعة ما وصل الينا من شعره ورسائله وقصصه تدلنا على أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما كان يتصل الصاحب بن عباد أو أبو الفضل بن العميد وإنما كانت صلاته بهم عند الحدود الضيقة حدود السمر والأنس حول بساط السلاف وانا لنراه يدور حول شهواته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص ، أما شعره فتغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال وهو وان لم يستطع مصاولة فحول القرن الرابع كالرضي والمتنبي وأبي فراس يبدع أحياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء [٢] » .

وأما نثره فيمتاز بعدة مزايا أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ويمثل الكاتب في ميوله الذوقية والوجدانية فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه الفطرة حيناً ويسوده التكلف أحياناً وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر نواحيه بما يحس الكاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات . وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية أو فلسفية على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع ... هذا ولا ننسى أن نذكر فضل الببغاء في رسائله الاخوانية الكثيرة التي خلفها لنا ، وهي لا تقاس الى براعته في نثره المرسل الذي دبج به قصصه الغرامية وقد حفظ

(١) راجع النثر الفني ١ / ٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) راجع النثر الفني ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢ .

لنا الدهر منها شاهداً يعز على من رامه من أندى الكتاب قلماً وأسماهم بياناً [١] .

والإمام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (— ٣١٧) وكان من أئمة المحدثين وكبار حفاظ الحديث وهو صاحب المسند المعروف به والذي ظل يدرس في الموصل فترة طويلة وكان أهل الموصل يتباركون به وبقراءته كما يحدثنا ابن خلكان [٢] .

وقد ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وأثنى عليه وبيّن محامده وآثاره وعدد شيوخه ومن أفاد منه من كبار الأئمة وقال عنه : انه حافظ متقن وثقة مشهور ولقبه الذهبي بمحدث الموصل وقد عمر طويلاً حتى ناهز المئة ورحل الناس اليه من أبعد أصقاع الإسلام وله (مسندان) في الحديث أحدهما كبير والثاني صغير [٣] .

والجغرافي البلداني الأشهر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي البغدادي (— ٣٨٠) وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان وأصول التجارة طاف العالم القديم ودخل بلاد المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من ديار الإسلام في أوربا وآسية وإفريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) ودامت رحلته هذه ثماني وعشرين سنة وقد أحصى ذكر ما رآه في العالم من أخبار وعجائب ، وأطنب في ذكر البلاد التي زارها وصفاتها وأحوالها غير انه لم يضبط الأسماء وذكر الأطوال والأعراض ، ولم تخل رحلته هذه التي دونها في كتابه « المسالك والممالك » من الأغلاط لأنه أول رحالة مسلم عربي دوّن أخبار رحلاته هذه . وقد طبع كتابه في ليدن سنة ١٨٧١ م . وترجم الى اللغات الفارسية والانكليزية والفرنسية ، والايطالية واللاتينية . ويعد ابن حوقل الموصلي من كبار الجغرافيين الذين كتبوا ما كتبوا بعد الفحص والتدقيق . وقد كان الجغرافيون قبله

(١) راجع النثر الفني ٢ / ٢٣٣ — ٢٤٢ وبروكلمان G. A. L. ١ / ٩٠ والذيل ١ / ١٤٥
(٢) راجع وفيات الاعيان ٢/ ٣٥٤ .
(٣) راجع تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ١٤٦ والرسالة المستطرفة ص ٥٣ .

يكتبون معلوماتهم نقلاً عن أفواه التجـار أو يجمعون الأقاصيص والخرافات جمعاً دون تمحيص[١] .

والطبيب الفيلسوف الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث (— ٣٦٥) وكان أصله من فارس إلا انه سمع بعناية بني حمدان بأهل العلم فقدم على الأمير ناصر الدين الحمداني فأكرمه وقرّبه واتخذه طبيبه فنال عنده مكانة سامية وأغدق عليه عطاياه وأقام بالموصل يعلم الطب والحكمة والفلسفة . وقد ترجم له ابن خلكان في الوفيات وأثنى عليه وذكر طرفاً من أخباره وعدّد آثاره التي ألفها في علوم الطب والإلهيات والحيوان . وكان من أجل أعماله العلمية ترجمانه لكتب كثيرة من آثار جالينوس مع شرحها والتعليق عليها . وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ومدح علمه وفضله وآثاره ، ويذكر بروكلمان أن من آثاره العديدة التي كتبها لم يبق إلا كتابه عن الحيوان وكتابه عن تفصيل جالينوس في الاسطقسات وشرحه على رسالة جالينوس في المزاج المختلف ، وكتاب الغاذي والمغتذي[٢] .

والأديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش (٢٦٦ — ٣٥١) وكان من كبار الأئمة في علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، أقام بالموصل طويلاً يدرس علوم القرآن والعربية ثم رحل الى بغداد فأفاد الناس منه وقد خلف آثاراً عديدة أشهرها (شفاء الصدور) في التفسير و (الاشارة) في غريب القرآن و (الموضح) في معاني القرآن و (المعجم الكبير) في أسماء القراء وقراءاتهم و (المعجم الأوسط) في القراءات و (كتاب العقل) و (كتاب أخبـار القصاص) و (كتاب ذم الحسد) و (كتاب دلائل النبوة) و (كتـاب

(١) راجع دائرة المعارف للبستاني ، وكتاب آثار الأدهار للخوري وشحادة ١ / ١٩٧ واعلام الزركلي ص ٨٩٢ وقاموس الأعلام لشمس الدين سامي التركي .

(٢) راجع ابن خلكان ، وابن أبي أصيبعة ١ / ٢٤٥ وبروكلمان G, A. L ١ / ٢٣٧ والذيل / ٤٢٢ .

إرم ذات العماد) و (المعجم الصغير في القراءات) . وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة من (شفاء الصدور) فانها موجودة في دار الكتب المصرية ، والمتحفة البريطانية و (كتاب الإشارة) فانه موجود في مدرسة الملا زكريا في الموصل [١] .

والشاعر الأديب الفحل أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي (٣٣٦ — ٣٩٣) وهو من أهل بغداد إلا أنه نشأ في الموصل وسمت مكانته العلمية فيها فأكرمه بنو حمدان وكانت حلقاته في الموصل حلقات علمية وله مناظرات مع أهل الموصل وأدبائها وأذكيائها وكان حين دخل الموصل صبياً ينظم الشعر فيتردد على حلقات أبي عثمان الخالدي وأبي الفرج الببغاء وأبي الحسن التلعفري وغيرهم وقد أعجبوا جميعاً بذكائه وفطنته [٢] .

وبعد فان هؤلاء هم أئمة العلم والدين والفلسفة والطب والحكمة والأدب والشعر في الموصل في الفترة التي نشأ فيها أبو الفتح بن جني . وهؤلاء هم الأئمة الفحول الذين كانت تلك الديار وأهلوها يكرعون من مناهل علمهم وفضلهم وأدبهم ولا ريب في أن أبا الفتح قد أفاد منهم إما مباشرة أو بالوساطة .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس



(١) راجع ابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وبروكلمان ١ / ٣٣٤ الذيل

(٢) راجع أخباره في ابن خلكان ١ / ٢٩٨ ويتيمة الدهر ١ / ١٧٣ .

التعريف والنقد

ابن رشد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من سلسلة نوابغ الفكر العربي

طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٣

يشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هي : (١) عصر ابن رشد (٢) ابن رشد في عصره (٣) جوانب ابن رشد (٤) منتخبات من آثار ابن رشد .

وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذه الفصول على نصوص ابن رشد العربية التي بين أيدينا وعلى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، فجاءت على اقتضابها كافية لتعريف القارئ بعصر أبي الوليد وحياته وفلسفته . ولا غرو فالأستاذ عباس محمود العقاد يجيد في هذا النوع من التأليف ، فيبسط الأفكار ويجملها على طرف الثمام بأسلوب واضح وترتيب حسن .

ولئن كان من المتعذر هنا تفصيل الكلام على كل فصل من فصول هذا الكتاب فليس من المتعذر أن نقول ان كل فصل منها قد صوّر ناحية من نواحي ابن رشد تصويراً صحيحاً . فاذا أراد المؤلف أن يشرح لنا أسباب نكبة ابن رشد قال : « فمن مجمل أحواله أنه كان رجلاً يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة ، ولا يبالي تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه ولو كانوا من الملوك والأمراء . ومما يصح أن يشار اليه من لواحق هذا أنه غفل عن مكانة الغزالي عند ملوك الموحّدين . وهو أستاذ أستاذهم الأكبر ، فردّ عليه دفاعاً عن الفلاسفة ولم يبال في هذا الدفاع أن ينسب اليه المغالطة ـ

ومن مجمل أحوال الزمن أنه كان زمن العداوات الدينية ، وكانت أخطار الحروب فيه بين المسلمين والافرنج على أشدها ، فكان من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لغضب العامة إذا وقع في وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التي يرتابون بها ويحسبونها من الكفر والضلالة . وقد اشتهر عن ابن رشد انه كان مصادقاً لأخي الخليفة وتبين من تاريخ تلك الفترة أن المنافسة فيها على الملك كانت حرباً ضروساً لا تنقطع في وقت من الأوقات ، فلا يبعد أن ينكب الخليفة ابن رشد اتهاماً له بمشايعة أخيه واتهاماً لأخيه بمصاحبة الفلاسفة وإضمار الكفر والضلالة » (ص ٢٦) .

واذا أراد المؤلف أن يتكلم على فلسفة ابن رشد قال : فلسفة ابن رشد على الأصح : « فلسفتان لا فلسفة واحدة : فلسفة ابن رشد كما فهمها الأوربيون في القرون الوسطى ، وفلسفة ابن رشد كما كتبها هو واعتقدها ودلّت عليها أقواله المحفوظة لدينا » (ص ٣٠) وبين هاتين الفلسفتين « مواضع اختلاف تمسّ الجوهر أحياناً أو يسمح بتفسير آخر في غير تلك الأحيان » (ص ٣١) .

وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تلخيص الفلسفة الأولى على ما كتبه (موريس دوولف) في كتابه : تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، كما اعتمد في تلخيص الفلسفة الثانية على نصوص (ابن رشد) العربية التي بين أيدينا غير معوّل في ذلك على مصدر من المصادر الأجنبية .

ولكن الباحث الذي يتصدّى لدراسة فلسفة (ابن رشد) كما كتبها هو واعتقدها لا يستطيع أن يهمل المصادر الأجنبية الحديثة ، لأن في هذه المصادر كثيراً من الدراسات التي توضح نصوص ابن رشد وتصور فلسفته أحسن تصوير . وقد فطن الأستاذ عباس محمود العقاد الى هذه الناحية فذكر في مصادره كتاباً لرينان عنوانه : ابن رشد وفلسفته (Averroès et l'Averroïsme) ولكنه

أهمل كثيراً من الدراسات الأخرى كدراسات (موللر) و (مونك) و (غوتيه و (بالاسيوس) وغيرها . ولو استعان بهذه الدراسات لصور لنا عقل ابن رشد في شتى مشاركاته تصويراً أتم وأوفى .

وجملة القول ان صورة ابن رشد التي أبرزها المؤلف صورة آنية مربعة لبد فيها ما في فلسفة ابن رشد من نواح مختلفة ، وسبب ذلك يرجع الى أن المؤلف يكتب لجمهور القراء لا للعلماء المتخصصين ، وأظن أن الناس ينتفعون بهذا النو من المختصرات أكثر مما ينتفعون بالمطولات .

جميل صليبا

نوابغ المغرب العربي (١)

الإمام المازري

حسن حسني عبد الوهاب

في طلائع هذه الرسالة (التي بلغت نحو مائة صفحة بقطع الربع) شذرا من تراجم أولئك الغُر الميامين الذين دخلوا الشمال الإفريقي من الصحابة والتابعين ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم إلى عصر المازري في القرن السادس الهجري

استهل المؤلف – وهو الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب التون الشهير – استهل بحثه بذكر بعض مَن وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتو وهم الذين عيَّنهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة لتا الأفارقة في الدين ، وإرشادهم الى هديه ، وإشراب قلوبهم حبَّه . وقد في مقدمة هذه البعثة الدينية اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي عامل عمر بن عبد الع على المغرب ، ورأس البعثة الدينية ، وعبد الله بن يزيد المعافري ، وعبد الر ابن رافع التنوخي ، ومنهم اسماعيـل بن عبيد الأنصاري ، وكل من هؤ قد روى عن الصحابة ، واتخذ داراً لسكناه ، ومسجداً لصلاه ، ومدرسة ل

الناشئين : وقد تربى على أيديهم جمع كبير كانوا المربين الأولين لأبناء البلاد ، وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة . وذكر المؤلف طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الأغلبية في البلاد ، ومنهم أسد بن الفرات ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وغيرهما « ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس الدولة الفقهية القيروانية » .

شرح الأستاذ المؤلف كيف دخلت « الحنفية » إفريقية في القرن الثاني ، والمدرسة المالكية في القرن الثالث ، ثم تتابعت الطبقات وترجم لمشاهيرها بإيجاز ، إلى أن بلغ بها القرن السادس ، فترجم للإمام المازري ، وأشهر شيوخه وتلاميذه . والمازري نسبة إلى مازَرَة بصقلية ، تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلبي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (م سنة ٢١٣) . ومن أشهر أساتذة المازري إماما المغرب في وقتهما أبو الحسن اللخمي (م ٤٧٨ هـ) وعبد الحميد الصائغ (م ٤٨٦ هـ) . ومن أكبر تلاميذه علماً وسياسة محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية (وكانت وفاته ٥٢٠ هـ) والإمام أبو بكر بن العربي الإشبيلي (م ٥٤٣ هـ) .

ثم ذكر الأستاذ ابن عبد الوهاب ثناء العلماء عليه ، وآراءهم فيه ، وآثاره العلمية ، ونبذاً من فتاويه وجهره بالحق . وختم بحثه بهجرة الصقليين إلى افريقية ، وبتمييز المازري عمن يشاركه اسماً ولقباً وبلداً .

وقد وقعت بالطبع هنات لا يخلو منها كتاب (عدا ما في جدول الخطأ والصواب) وهي في ص ٨٢ س ٥ : الآ ، و ٨٩ س ٢ : واحداً بالآخر ، و ٩١/ ١٠ خمس قرون ، وصوابها : الإله . واحد والآخر . خمسة قرون .

فنشكر للأستاذ المؤلف حسن صنيعه ، ونرجو له مزيد التوفيق في عمله العظيم .

مصادر الحق في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث

(٢)

توافق الإرادتين في مجلس العقد ، صحة التراضي ، (الغلط – التدليس – الإكراه)
ألقاها الدكتور عبد الرزاق السنهوري على طلبة قسم الدراسات القانونية

عرف الدكتور السنهوري بسعة اطلاعه على المذاهب الفقهية الإسلامية ، وعلى القوانين الموضوعة في الدول العربية ، وما يقابلها من فقه الدول الغربية ، وله مؤلفات في ذلك . وهذا هو الجزء الثاني من كتابه الفقه الإسلامي المقارَن بالفقه الغربي الحديث ، الذي ألقاه على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية ، من جامعة الدول العربية ، بالقاهرة .

(ولم نطلع على الجزء الأول منه) . وأوله : المبحث الثاني في تطابق الإرادتين في مجلس العقد (أي إرادتي المتعاقدين) ، وفيه ثلاثة مطالب (١) التعاقد بين الحاضرين (٢) التعاقد بين الغائبين (٣) حالات خاصة في إبرام العقد . ثم يأتي المبحث الأول في الغلط – : وهو حالة تقوم بالنفس تحمل على توهم غير الواقع – وفيه مبحث الغلط في الفقه الغربي ، والغلط في الفقه الإسلامي . وفي المطلب الثاني : الأنواع الأخرى من الغلط ، كالغلط في الشخص ، وفي الوكالة ، وفي إجازة الظئر ، والغلط في القيمة ، والغلط في القانون .

ثم المبحث الثاني في التدليس ، والمطلب الأول منه : التدليس في الفقه الغربي ، والثاني : التدليس أو التغرير في الفقه الإسلامي .

ويليه : المبحث الثالث في الإكراه ، والمطلب الأول : الإكراه في الفقه الغربي ، والثاني : الإكراه في الفقه الاسلامي ، وفي كل من هذه المطالب والمباحث فروع تتصل بها ، وقد بلغ هذا الجزء الثاني (٢٣٥) صفحة بالقطع المتوسط .

ونجد فيما كتبه الدكتور ما امتاز به الفقه الإسلامي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ، على اختلاف الزمن ، وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب . أثاب المولى الدكتور السنهوري ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .



الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته . بطولته . عظمته

وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب . جزآن في نحو (٥٧٠) صفحة

مما كان يردده الملك الإمام عبد العزيز آل السعود (رحمه الله تعالى) ويؤيده بالشواهد والبراهين أنّ مدار الأمة على التوحيد ، وأن العرب لم تكن لهم وحدة حقيقية ، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد الذي ألف بين قلوبهم ، ووحّد كلمتهم وعملهم ، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم ، وقلّصوا ظل القياصرة والأكاسرة عنهم ، بل كسروا شوكة الظالمين في أنحاء المعمور . ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلغلت في نفوسهم ، وجرت في عروقهم ، قد ناطت رجاءهم في الله وحده ، لا يسألون إلاّ إياه ، ولا يخشون أحداً سواه « وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » . وفي حديث ابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

لمّا أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر والكواكب والملائكة والجن ، وعلّقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر الأرض والسموات ، فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأضاليل ، وزكت نفوسهم من الرذائل والنقائص ، وأصبحوا علماء حكماء ، لا تعرف الخرافات والأوهام الى قلوبهم سبيلا ، وأخذت معارفهم حظّها من الشيوع والانتشار ، بحيث لم تبق أمة من أمم الأرض

لم تقتبس من نورهم ، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفيّاح . هذا مجمل ما كان ينثره الملك من درره ، وكنا نسمعه في كثير من مجالسه العامة والخاصّة ، وكان له أحسن وقع وأبلغ تأثير في نفوس المستمعين . وهو ما تراه الآن موزعاً من خطبه وأحاديثه في هذه السيرة التي رأى مؤلفها العلاّمة أن يسلك بها غير ما سلكه الكثيرون ممن أرّخوا للإمام الراحل في حياته وبعد مماته ، وكتبوا كثيراً في مآثره وصفاته ، إذ لم يتعرضوا لسرّ عظمته في نفسه الكريمة ، وما انطوت عليه من إيمان وتقوى ، (أو محاسبة ومراقبة) هما السبب الأقوى في كل ما تم على يده من الأعمال ، وما نالته البلاد في عهده الميمون من أمن وطمأنينة ، فأحبّ أن يكتب في هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مُثُلاً عليا في هذه الحياة الدنيا . قال : « خصوصاً وإن ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان ، في الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم في البلاد وطريقة حكمهم فيها ، ليدرسها النشء في هذه الدولة الناهضة (باكستان) التي يهمها أن يعلم أبناؤها الكثير عن مزايا ألإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين » .

وقد أهدى المؤلف كتابه بكلمة قيمة إلى سمو ولي العهد وأخيه (جلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل ولي العهد) وقدّم له مقدمة شرح فيها المذهب السلفيّ (المسمّى بالوهابي !) شرحاً وافياً من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي استجاب لدعوته ، إلى عهد الملك الراحل عبد العزيز (رحمهم الله تعالى) . وقد بدأه بمولده ونشأته ، وتأسيسه الملك ، وقضائه على الفتن الداخلية . ثم ذكر قضاءه على حكم آل الرشيد ، وحروبه مع الهاشميين ، وإعلان البيعة له ، وانعقاد مؤتمر العالم الإسلامي بمكة (سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) . وحادث (المحمل) ، وفتنة الدويش ، وحماية الأدارسة ، وثورة ابن رفادة ثم الأدارسة ، وتوحيد المملكة السعودية ، وبين الملك وإمام اليمن ـ عفوا

عن الميعدين ـ حل حزب الأحرار . خطب الزعماء بين يدي جلالة الملك والأمراء ـ تفاهم مصر والمملكة السعودية ـ اجتماع رضوى التاريخي ـ ميثاق الجامعة العربية ـ رحلة الملك الى مصر ـ فلسطين والاتحاد العربي ـ الملك وقضية فلسطين ـ الحرب في فلسطين ـ زيارة الملك عبد الله ـ مدة الهدنة ـ لجنة التوفيق ـ النتيجة ـ (وهي أسوأ نتيجة وأخزاها) ـ الى عموم المسلمين ، (قصيدة للمؤلف) الملك وباكستان ـ باكستان كما رأيتها ـ باكستان في أربع سنوات ـ الملك وأندونيسيا ـ خطاب المولف في القصر الجمهوري الأندونيسي . هذا مجمل ما تضمنه الجزء الأول ، في نحو ثلاثمائة وأربعين صحيفة .

وأما الجزء الثاني من سيرته الميمونة فهو خاصّ بما يتعلق بحياة جلالته الخاصّة وأخلاقه وعاداته ، وخطبه وآثاره ، وأبنائه وأصحابه وعمّاله .

قلت : وإنّ من أبرّ أعماله (رحمه الله) وأفضلها ، أنه رأى أنّ أفضل ما تداوى به القلوب ، وينتزع به منها مثارات الشكوك ، هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد ، كما تقتضيه وحدة الإسلام ، فأمر أن يتناوب الإمامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة ، يأتم بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين ، فتمّ ذلك ولله الحمد على أحسن وجه . وقد قضى الإمام عبد العزيز بهذا التوحيد العملي على كلّ خلاف قديم ، وأدخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان ، وبات القول بأنّ النجديين يكفرون إخوانهم المسلمين وإخوانهم يكفرونهم أضحوكة العجائز والصبيان ، وأسطورة الكذب والبهتان . فنحن نذكر إخواننا المسلمين في سائر الأقطار بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبلة الإسلام بالاقتصار على إمام واحد لكل صلاة توحيداً للأمة وجمعاً للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدُّد الجماعة في وقت واحد . والكتاب محلًّى برسوم صاحب الجلالة وصاحبي السموّ ولي العهد ، ونائب جلالة الملك ، وكثير من الأمراء والأعيان ، وفي ختام هذا الجزء الثاني سجلُ الصور لبعض أمراء وعظماء المملكة العربية السعودية .

والحاصل أن هذا الكتاب من أغزر الكتب مادة في موضوعه ، وأدلّها على ما أُلّف من أجله ، والمؤلف غنيّ بتآليفه وآثاره عن التعريف به .

وقد مرّت بي أغلاط قليلة كقوله في قصيدة الأستاذ الزركلي (ج ١ ص ٦٢ س ٢٥) ما استطعت ، صوابها « ما أسطعت » وفي (ص ٦٣ س ٧ منه) وللأباة : « وللآباة » بالباء ، وفي (ج ٢ ص ٨٣ س ١٥) سمحان : « سحبان » (وفي ص ٨٢ س ٢٠) المقدس . المقدسى . المقسى . صوابها كلها : « المقدسي » وفي ص ٨٣ س ٧ الكلام الطيب : « الكلم » .

المجموع الأول

أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية

بقلم : عبد الله القلقيلي في (٧٧) صحيفة

الأستاذ القلقيلي صحافي قديم ، وكاتب مشهور ، فهو صاحب « الصراط المستقيم » التي كانت تصدر في يافا من أرض فلسطين ، وقد كانت معروفة بمعارضتها للمجلس الإسلامي الأعلى في سياسته ، ولكنها مثال الذوق والأدب ، وصدق القول والعمل ، والغيرة على الدين والوطن ، فهي تشبه جريدة البرهان التي كانت تصدر في طرابلس الشام للأستاذ المغربي ، كلتاهما كانت تصدر عن عقيدة راسخة ، وأدب جم ، وفضل وعلم ، وهذه مقالات منوعة ، افتتحت بمقدمة للأستاذ مظهر العظمة ، وبدئت بمقال الدعوة إلى الحق والخير ، ولا تعارض في الدعوة ، والفصل بين السنوحات والفتوحات ، ومحمد خاتم النبيين ، ومنها الجواب على ما يأتي : أيكون الإيمان سبباً في زيادة الشقاء ؟ هل يباح الفطر للعمال ؟ عَشاء الميت ، القراءة للميت ، وختمها بأجوبة وفتاوى على أسئلة :

« ضريبة الإنتاج والزكاة » وتأييد هذه الفتوى بالرد على من خالفها ، وتحديد النسل ، والسَّلَف على الغلة ، وقبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والأستاذ القلقيلي في ذلك كله ، وسط بين الغلو والتفريط ، يظهر ذلك من كلامه على مقالي السنوحات والفتوحات (أي المكية لابن عربي) فمن الكتّاب المكفّر ، ومنهم المؤول ، والأستاذ قائل بالتخطئة ، وفي مقال محمد خاتم النبيين ردّ محكم على دعاة النبوة الكاذبة في هذا الزمان ، ثم بيان أن الإيمان من أسباب سعادة الإنسان لا شقائه ، واعتدال في الكلام على صيام العمّال ، والاقتصار على السنة في أمر الموتى ، وعدّ ما تنفقه الحكومة على مستحقي الزكاة من الزكاة الشرعية ، والكلام على تحديد النسل الشخصي (لا الاجتماعي العام) وإباحة التسليف على الغلة بشرطه . وهذا (المجموع الأول) كما ترى هو رائد خير ، وطليعة صلاح وإصلاح لما يأتي بعده إن شاء الله ، فنحث المطالعين على الاستفادة منه .

ومن الأغلاط المطبعية (ص ١٢ س ١) باختلاف ومتعلقها : الواو زائدة . و (ص ٢٧ س ١٢) أن يتحاكمون : وهي بحذف النون . وباقي الأغلاط طفيف ظاهر ، وأكثره في جدول الخطأ والصواب .

محمد بهجة البيطار

آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)

لمحمد توفيق

عدد صفحاته (٤٠) صفحة من القطع الكبير و (٤٠) لوح مصور طبع في القاهرة سنة ١٩٥١

قدم المؤلف في هذا الجزء أولى دراساته عن جنوبي جزيرة العرب وهي بعض مشاهداته في رحلاته العلمية الى جوف اليمن لدرس هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . اغتنم المؤلف هذه الفرصة التي تهيأت له فقام أيضاً بدراسة جديدة لخرائب آثار هذه المنطقة والتقط لها صوراً فوتوغرافية استكملت أبحاثه القيمة .

غامر قبله منذ منتصف القرن الماضي وفي فترات مختلفة عدد من علماء الغرب ورحالته محاولين زيارة اليمن ، منهم من أصاب بعض النجاح في جولته ومنهم من لم يفلح ولقي بعضهم حتفه بصورة مفجعة .

بدأ المؤلف في هذا الجزء دراسته المستفيضة عن خرائب معين عاصمة الدولة المعينية ، فوصف مشاهداته عن آثارها ونقوشها ورقمها ونشر صورها . وسيبقى بحثه هذا مرجعاً أساسياً لدراسة آثار هذه المنطقة . ومن مميزات هذه الدراسة أنها صححت جملة نصوص كان جمعها غيره من الآثاريين وأضاف نصوصاً وصوراً جديدة تنشر لأول مرة .

ومما يدعو الى الغبطة أن نرى إقبال طائفة من علمائنا العرب على دراسة هذه المواضيع التي كانت الى عهد قريب وقفاً على علماء الغرب . ومن هو أحق من أبناء العرب بالعناية بدراسة تاريخ مدينة جنوب جزيرة العرب التي استمدت منها الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام أصولها ؟ فللمؤلف شكرنا وتقديرنا .

J. A. Dagher - Repertoire des bibliothèques du Proche et du Moyan Orient. Paris 1951

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط

من وضع يوسف داغر

أمين دار الكتب الوطنية اللبنانية ، يقع في (١٨٢) صفحة

من القطع المتوسط طبع في باريز ١٩٥١

أحصى المؤلف في هذا التقويم دور الكتب العامة والمكتبات الخاصة العربية والأجنبية الموجودة في بلاد جزيرة العرب ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران ، ولم نجد بينها ذكراً لمكتبات المملكة الأردنية الهاشمية ، فهل يستنتج من ذلك أنها خالية من المكتبات مع أن نهضتها الثقافية الحديثة على ما نعلم كانت شاملة ويستغرب أن تهمل هذه الناحية الهامة من نهضتها ٠

يقدم هذا الكتاب خدمة جليلة للمشتغلين بشؤون دور الكتب ويرشد الطلاب والعلماء الى مناهل العلم في هذين الشرقين ، ويعمل على زيادة الروابط الثقافية بين هذه البلاد وغيرها من الأقطار العالمية ٠ ان فائدة هذا الكتاب واضحة وهي جديرة بالإكبار والتقدير ٠

نقوش خربة معين

(مجموعة محمد توفيق) الجزء الثاني

لخليل يحيى نامي في (٣٤) صفحة من القطع الكبير . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ .

اقتصرت دراسات الأستاذ محمد توفيق في الجزء الأول من هذه المجموعة على وصف آثار خربة معين ونقل صور رقمها وعهد الى الدكتور خليل يحيى نامي بنشر النصوص التي جمعها وترجمتها فيكون هذا الجزء تكملة للجزء الأول حقق

فيه الناشر تسع عشرة كتابة من خربة معين كانت بحاجة الى شرح مغلقها ودرس محتوياتها والتعليق عليها ، ويقف المطالع في هذا البحث على مدى الجهد العلمي الذي بذله الأستاذ نامي لإخراج كتابه هذا الذي يستدل منه على مكانته العلمية في موضوع جديد له صلة وثيقة في دراسة تاريخنا العربي . فللمؤلف إعجابنا والى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة الذي خصص سلسلة من منشوراته لمثل هذه الأبحاث القيمة شكرنا .

جعفر الحسني



ابن الحريري ومقاماته

تأليف الدكتور محمد أحمد الصدّيقي

طبعة أله آباد ، بالهند . في ٢٣٢ صفحة

لم نقع للمعاصرين من كتّاب العرب على مؤلَّف في الحريري ومقاماته يستوعب البحث في حياة الرجل وآثاره . لذلك رحبنا أجمل الترحيب بهذا الكتاب الجديد يصدره أستاذ في جامعةٍ بالهند كرسالة للدكتوراة ، يسد بها ثغرة من الثغرات الكثيرة في التأليف الأدبي .

خرج المؤلف ببحث شامل حافل ، تطرّق فيه إلى العصر العباسي ، فذكر المدارس والمعاهد والمراكز العلمية في البلاد العربية وغيرها ، وأشار إلى أثر الكوفة والبصرة في الأدب والعلم والثقافة ، وانتهى الى الإشادة بالبصرة فقد كانت تُدعى قبّـة الإسلام، وفيها كانت العناية بالغة في النحو، ومنها كان الحريري .

وتناول الدكتور الصديقي في بحثه أساليب الكتابة وأغراضها ، وسعى إلى دراسة المقالات والمقامات من حيث اللفظ والمعنى ، فعرض للصناعات اللفظيـة وزخرفة الكلام ، والتكلّف والتطويل والإطراء ، ليبلغ بنا الى نشأة الحريري

وتربيته ودراسته وثقافته حتى كانت منه المقامات والرسائل والمؤلفات . وقد وقف الباحث عند المقامة وقفة غير قصيرة يحللها ويدرسها ، فهي كلّ ما يلقى في مجتمع الناس ، وهي المجلس من الكلام ، أو هي الرواية والخطبة والعظة ، بل إنها القصّة النثرية وما يتخللها من شعر ينظمه صاحب المقامات . وموضوعها ذلاقة اللسان وفصاحة البيان ، وجمال التعبير ، في كلّ منها نكتة تدور حولها ، ولكل منها اسم تنسب اليه ، تجمع شوارد اللغة ونوادر التراكيب ، في أسلوب مسجع ، أنيق الوشي ، تعجّ بالأمثال والحكم .

وقد أورد المؤلف آراء المستشرقين والشرقيين في المقامات ، فرأى أن الأولين أخذوا عليها وحدة مغزاها ، ووقوفها عند ابتزاز الأموال على طريقة رخيصة مبتذلة فيها الوضيع والدنيء ، ونقدوها لما بين جنباتها من حبّ ينكره الذوق السليم وشذوذ يأباه الخلق الكريم ، وأنها قصيرة لا تتصل بالدرامة أو الفاجعة أو غيرهما مما عرف الغربيون في مسرحياتهم وقصصهم وتمثيلهم .

ودافع الدكتور الصديقي عن الحريري ومقاماته ، وذكر الدوافع التي أهابت بصاحبها إلى صنعها ، وبيّن تاريخ ذلك كما انتهى إليه عن سبيل البحث والدرس ، ورسم الأشخاص في المقامة ومصادر ألوانها وحكاياتها ، ثم رأى أن أكثر تلاميذ المقامات يعودون الى الحريري لا إلى البديع في التقليد والاستعارة والاحتذاء ؛ ووجد في أسلوبها طلاوة تسحر الألباب وبلاغة تحيّر العقول ، وأورد هنا كذلك آراء الكتاب والناقدين ، فهي تقتبس من القرآن والحديث وتمتلئ بالجناس الأنيق والسجع الرشيق . وقال إنها مرآة لحياة البصريين الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية ، وضرب الأمثلة على ذلك بنصوص أوردها مشروحة مضبوطة بالشكل ، ووازن بينها وبين مقامات البديع ، فأفصح عن المزايا والسجايا ، ونصب نفسه منصب الخطيب الأريب والمحامي الأديب والكاتب المترسل ليدافع عن

الحريري في حماسة الحب وغيرة المخلص ، وذلك لسبب يعلله كاتب المقدمة الأستاذ المفكر أبو الحسن علي الحسني الندوي ، معتمد دار العلوم في لكناو ، قال : « وقد دافع المؤلف عن الحريري مدافعة قوية لأنه من أنصار الحريري المتحمسين له ، وقد يؤخذ هذا عليه كناقد ومؤرخ ، إلا أنه عقيدة وفكرة ، ولا يلام الكاتب على عقيدته وفكرته » ... ثم قال : « وقد كان حقاً على الهند ، وهي التي لم تزل ولا تزال متمسكة بأهداب الحريري في الأسلوب الأدبي وتأثير هذا الكاتب في أساليبها وأوساطها الأدبية معلوم واضح أن تقدم كتاباً لائقاً عن الحريري الذي شغفت به هذا الشغف العظيم ، وقد كان هذا ديناً عليها » .

وهكذا قام المؤلف الصديقي بوفاء الدين في كتابه ، فقدمه إلى جامعة آله آباد ، وأوفى فيه على الغاية من حيث دراسته وعرضه لآثار الحريري ومخطوطاته ومطبوعاته على غرار المؤلفات الحديثة في جامعات الغرب ، فلم يفته ذكر المصادر ووصف المخطوطات ومظانها . وقد رأينا أنه جمع بين دفتي كتابه ما قال القدماء والمحدثون في الحريري ومقاماته وعرض لها بالدرس والموازنة . وكان أسلوبه في ذلك البحث يتصل حيناً بأساليب القدماء من سجع واستعارة واقتباس ، ويتصل أحياناً بالمحدثين المترسلين في البساطة والسهولة .

واذا كنا نحمد للدكتور الصديقي كتابه ، فانما نحمده أولاً ، لأنه صنعه بلغتنا العربية ؛ فجهد في ذلك جهداً كبيراً نعترف به ونشكره عليه ونثني على أياديه فيه ، فقد أراد ان يشركنا في قراءة بحثه وخلاصة درسه ، وكان لنا من ذلك متعة وفائدة ، فأضاف الى مصادرنا المتبعثرة المشتتة عن الحريري مصدراً جامعاً كثير الغناء وافر النفع ، يستوي مع الكتب الناجحة في هذا الباب ، ويستحق به صاحبه أجزل الثواب وأجمل الجزاء .

الجاحظ

تأليف الأستاذ حنا الفاخوري

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ – في مئة صفحة

في هذه المجموعة من تراجم الأعلام في « *نوابغ الفكر العربي* » عقد الأستاذ حنا الفاخوري فصلاً كبيراً للجاحظ ، إمام الأدب والفكر في أدبنا العربي . فصوّر العصر العباسي وما اختلف إليه من فتن وثورات وحروب ومعارك . وعرض للحياة الاجتماعية فتوفر على دراسة الترف والفراغ الذي أصاب الأمة الناشئة ، وما كان من رقيق وغلمان وجوار ، وما نهض من فرق دينية وانعقد من حلقات فكرية ، وما قام من حركة علمية وثقافية ؛ ليرسم التيارات التي كانت تتجاوب في دنيا العراق من علوم الأمم القديمة وثقافاتهم ، وما أفاد العرب منها في النقل والترجمة والاقتباس ، وما قصروا خلال ذلك في ميادين الأدب اليوناني ، ليبلغ بنا إلى حياة هذا الرجل العملاق .

فقد كان الجاحظ يمثل الأديب المثقف والكاتب الاجتماعي ، « وعى في صدره جميع معارف عصره في الأدب والدين والعلم والفلسفة » وأخذ بكل ما وقع له من كتب العرب واليونان والفرس والهنود ، فصاغها ببيانه وعرضها بأسلوبه ، وضرب المثل الرائع للرجل النابغة ، حتى قال فيه أبو هفان : « لم أر قط ولا سمعتُ مَن أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر » . وهذه شهادة عظيمة تنطق بفضل الجاحظ ، وتشيد بعقله الراجح وذكائه البالغ ؛ وتجعله صورة للأديب على مدى الأجيال واختلاف الأقطار .

وكتب الجاحظ التي خلفها شاهدة على روعة ثقافته وسعة علمه ؛ وصل بعضها وضاع كثير منهـا . وهي فيما يقول النقاد تنيف على ثلاثمائة وخمسين كتاباً ،

يدلّ قليلها على فيض أدبه وواسع معرفته ، فهي دائرة معارف كما يقول الغربيون . فيها من كل فن أعجوبة ، ومن كل موضوع جانبه الخطر ، وهي أحرى بأن تنسب إلى عدد عديد من الكتاب ، لكثرة ما فيها من نفع ومعرفة وأدب ، لم تغفل شاردة أو واردة في ثقافة العصر . كأنّ عقله آلة مصوّرة مسجّلة ، ترى وتسمع فتحفظ كل ما ترى وتسمع خلال السنين التي عاشها الجاحظ ، حتى أثقلت ظهره ، فناء بها ووهنت قواه ، فأصيب بفالج ، ألزمه البيت وأسلمه إلى الهرم فالفناء . فأسلم الروح وقد ناهز التسعين ، في منتصف القرن الثالث للهجرة ، وخلّف دويًّا في سمع الدنيا ، وترك آثاراً في خزائننا العربية نزهى بها على الأمم ، ونستصغر أدباء العالم إذا ما جمعوا وأديبنا الكبير في صعيد واحد من رسالة العقل والأدب والحياة .

هذه هي الجوانب التي رسمها الأستاذ الفاخوري في كتابه من حياة الجاحظ ، وأتبعها بفصل عرض فيه مؤلفات الرجل وتناولها بالنقد ، وأبان فضلها وأدبها وفنها ، وأسهب في البيان والتبيين ، والبخلاء ، والتربيع والتدوير ، والحيوان ، ورسائل الجاحظ . وانتهى إلى عرض منتخبات من آثاره هذه ، قدّم لها ، وعلّق عليها ، وشرح غامضها ، فاستوفى البحث ، وأدّى الأمانة . وقد كنا نتمنى على المؤلف أن يتم دراسته بنظرة الغربيين والمستشرقين الى أديبنا ، فيحلّل ويوجز ما وقع منهم في بحوثهم عنه ، كما فعل حين عرض نظرة العرب الى آثاره ؛ وهو حين يفعل ذلك يرشد أبناءنا الى آفاق لا يبلغونها بغير مرشد : يعوج على بروكلمان وغيره من المعاصرين ممن أدرجوا قائمة بمخطوطاته التي لم تطبع ، وآثاره التي لم تنشر ، وذكروا دراسات نافعة فيه تثير همتنا الى بحث جدّي جديد ، لا يعتمد على نظرة العرب فحسب وإنما يتطلع الى نظرة العالم الغربي ، حين يحلّل عباقرته ويستوفى البحث في آثارهم . ولكن هذه المنة الصغيرة لن تقلّل من أهمية الكتاب الذي وضعه المؤلف واستحق عليه الثناء والشكر .

شاعران معاصران

تأليف الدكتور عمر فرّوخ

بيروت ١٩٥٤ ، في ٢٦٠ صفحة

أما الشاعران فهما ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ ، عاش أولهما في فلسطين ، وعاش ثانيهما في تونس ، فهما يمثلان جناحي هذا العالم العربي مشرقه ومغربه ، تجمع بينهما صفات كثيرة جعلتْ منهما موضوع كتاب واحد . فقد قضيا في ريعان الشباب ، بعد أن حملا مرضاً خطيراً في جسميهما ، ثم لفظا أنفاسهما في مستشفى أجنبي ، غريبَيْن ، فذاعت شهرتهما بعد موتهما وتناولت شعرهما الصحف والاذاعات نشيداً وغناء ودراسة .

ولد ابراهيم طوقان في صدر القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بنابلس ، من أسرة عريقة في فلسطين وتلقى دروسه الجامعية في الكلية الأمريكية ببيروت ، فلما تخرج منها عاد إليها مدرساً بعض الزمن فما أطاق التدريس فيها ، وتقلّب على غيرها من المدارس بنابلس ، واشتغل في الاذاعة الفلسطينية ، ثم أستاذاً في بغداد . وقضى في المستشفى الفرنسي بالقدس سنة ١٩٤١ ، متأثراً بقرحة في المعدة حملها خلال حياته القصيرة كعمر الورد ، كما قضى فوزي المعلوف وأبو القاسم الشابي من قبل . فلم يتخلف عنهما ، وانما سلك مسلكهما ليخلف دوياً بعده وأسى لفقده يتساءل الناقد في حرقة أن لو مدّ الله في أجل الشاعر لكان من الأعلام النوابغ ، ولكنها سنة الله في الآجال والأعمار .

وقد عرض المؤلف الدكتور عمر فروخ حياة ابراهيم طوقان في تفصيل دقيق لأنه رافقه في الدراسة والحياة ، وتبادل وإياه الرسائل والكتب ، فبسط لنا من دقائق عيشه ما لا يعرفه إلاّ أقرباؤه المخلصون ، وسرد لنا من حوادث حياته

ما يغفله التاريخ لولاه ، فأثبت نصوصاً من هذه الرسائل دعم بها نقده ووصفه . وذكر من الصحف ما وقف عليه وتجمّع لديه ، فالمؤلف مارس الصحافة وأصدر مجلة « الأمالي » ، لذلك أكثر من الشواهد والدلائل ما يصلح أن يكون تأريخاً للأدب المعاصر في فلسطين ولبنان فوق أنه تأريخ مفصّل لحياة صديقه الشاعر ابراهيم طوقان . ولم يفت الناقد أن يورد مختارات من شعر الشاعر قبل أن ينشر على الناس ديوانه ، فتفرد بذلك وسبق إلى إثبات قصائد في روايات تختلف عما نرى في ديوانه المنشور اليوم ، وقدّم لها وعلّق عليها . وقد عرفنا صدق الوطنية عند شاعرنا ووقوفه للمستعمر الانكليزي في فلسطين وغير فلسطين ، وقرأنا له قصائد وطنية أصبحت اليوم أناشيد للمغرب والشام ولبنان تفيض بالجرأة والصراحة والقوة على أسلوب غربيّ من التفكير وبيان عربيّ في الصيغة والتعبير ، وذلك الى شعر في الغزل جميل رقيق ، وفي الوصف دقيق رشيق . فقد رسم مهنة التعليم التي مارسها بما لا يلحقه في الرسم لاحق ، فغلب عليه طابع السخرية والغمز يلفه بذكاء عبقري ، وسيكون له أثر بعيد في الأدب إذا ما تناول الدارسون ديوانه وأخباره بالتأليف والنقد والتحليل . ولا شك في أن أقوى مصادره يجدها الباحث فيما كتب عنه الدكتور فرّوخ في هذه الصفحات فهي ثمينة قيمة غالية لأنها مذكرات شخصية بين أديبين وزميلين نرجو أن ينشر أمثالها لتعيننا على دراسة العصر الحاضر وأدبائه .

وأما أبو القاسم الشابيّ فقد كتب فيه الدكتور فروخ صفحاته عما قرأ في الصحف ودرس في كتاب أبي القاسم محمد كرو عنه ، ولكنه جوّد في عرضه وتلخيص حياته الشقية البائسة . فقد ناضل هذا الشاعر كذلك ضد الفرنسيين وتحمل آلام المرض ومات رحمه الله في المستشفى الإيطالي بتونس عن عمر لا يتجاوز ستاً وعشرين سنة . وقد خلف لنا كذلك ديواناً لما يطبع الى اليوم

ولكن مختارات منه ظهرت في مجلة (أبولو)، وجريدة «الامام» للسحرتي بمصر وفي غيرهما من الصحف. وهي تدل على إعجاب الشاعر بأدباء المهجر واتباعه خطواتهم وترسمه لمآسي كثير منهم، فأغرق في التشاؤم والصوفيـة والرمز، فكان صورة لكثير من هذا الشعر الذي نقرؤه في الأدب المهجري. ولكنه تغزل فبكى في أسى وحرقة حبه اليائس البائس على طريقة الرومانتيكيين من الفرنسيين. ووصف الطبيعة فأبدع فيها، ولكنه حلّق في قصائده الوطنيـة لأنه استجاب الى داعي النضال في قومه، وراجت اليوم في عالمنا العربي لأنها تصف هذا الصراع الذي يحياه العرب ضد المستعمر. وربما كانت أناشيده في تونس نفسها أشد رواجاً وأمتع في التحليق لموقف أمته في كفاحها لهذه الأيام.

ولا شك في أن الشاعرين «طوقان» و «الشابي» يحملان في ديوانيهما صوراً لمستقبل الشعر العربي تحفز نحو الجديد وتحس بآلام الأمة، وتصف ما يقع تحت بصرها، فتسير نحو الإبداع والاختراع، إلى أن يتاح للجيل المقبل من الشعراء في إكمال خطتها ومتابعة نضالها للوصول بالشعر العربي إلى ذروة الشعر العالمي، ومجاراة الشعر المعاصر في الغرب لكثير من أغراضه.

وقد كشف هذا الكتاب عن كثير من نواحي هذين الشاعرين ورسم دقائق هامة من سيرتها، وأثبت مختارات جميلة من شعرهما، مما ينفع في تأريخ الأدب الحديث، فاستحق مؤلفه ثناء وشكراً ليده وجهده.



الشعر العربي في المهجر

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

القاهرة ١٩٥٥ ، في ٢٩٥ صفحة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نزح كثير من اللبنانيين والسوريين الى البلاد الأمريكية ، انتجاعاً للرزق ، أو هرباً من الظلم ، أو سعياً وراء آفاق جديدة في الحياة ؛ منها الشهرة والحرية ؛ فقد كانت أمريكا تغري بالهجرة ، وترحّب باللاجئ وتفتح أمامه دروب الكسب والحياة . فلما هبطها هؤلاء الشرقيون حملوا معهم في صدورهم صور البلاد التي نزحوا منها ولغة الأمة التي نبتوا فيها ، وحبّ الربوع والأماكن التي عرفت نشأتهم وصباهم . لذلك عاشت أخلاقهم القديمة ومآكلهم المعروفة وحياتهم الموروثة في أقطارهم الجديدة سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .

وكان من ذلك أن تشكلت جاليات عربية في الدنيا الجديدة الى جانب الجاليات الأوروبية ، تتمسك بتقاليدها خلال جيل كامل ، وتنقل عاداتها إلى أبنائها وتورثهم ، جهد الطاقة ، ما ورثت من أغان وسير وآداب . فلما قامت بينهم الصحف والمجلات باللغة العربية راحت تنقل من أحوالهم وتصف ما يقع لهم ، وما يحلو لهم أن يعلموا من أنباء وأخبار ، وما كان شعراؤهم يصوغون من الأشعار .

وكان هذا الشعر عربياً لا يختلف عما كان ينشده إخوانهم وزملاؤهم في المشرق وخاصة في لبنان وسوريا من حيث المعنى والمبنى ، أول الأمر . ثم ما لبث بعضهم أن طرق موضوعات غربية بأسلوب عربي ، كأنه يحاول التجديد . ولكن هذا التجديد نفسه استقى فيما نرى من ينابيع لبنان وسحر الأندلس وصفاء الشام ، واختلف قوة وضعفاً وإشراقاً وعبوساً . وعجز آخر الأمر عن خلق أدب جديد يساير ركب الغرب أو ينافس الآداب الأجنبية للقرن العشرين .

وهكذا أخفقت كثير من هذه المحاولات التي بذلها أبناؤنا في المهجر لاحتلال الذرى وتسلّق جبال الوحي الجديد الغربي، لأن الأجنحة ما تزال لينة ضعيفة لا تعين على النهوض بهذه الأعباء الجسام والتحليق في السماوات الغربية، ولأن الثقافة الأجنبية لم تتغلغل في صميم هاته القلوب العربية ولم تسر في دماء هؤلاء الشعراء، فقد كانوا يطيلون الوقوف عند معانينا القديمة ومواضيعنا الجديدة، وكانوا ينشدون الشعر ليتلى في منابرنا ويذاع في ندواتنا .

وهذا الأدب المهجري - إذا صحّ التعبير - جدير بالدراسة والنقد والتأريخ، فهو يمثل الأدب المخضرم الذي أخذ من القديم كثيراً من مبانيه وأخذ من الجديد كثيراً من معانيه، فلن يستطيع مؤرخ الأدب أن يجعله في القدماء خالصاً، وان يجعله في الغربيين خالصاً كذلك، وانما هو أدب جديد يجب أن نكشف فيه عن حياة هؤلاء الأعلام وآثارهم وتأثرهم بالأجواء التي عاشوا فيها، والأهداف التي يرمون اليها، ويعلنون عنها في مجتمعاتهم ونواديهم وصحفهم .

ولم نقع على كتاب يتتبع هذا البحث درساً وتحليلاً، فيوازن بين الشعر الجديد في سوريا ولبنان وبينه في المهجر، ذلك لأن الدواوين في المشرق لم تطبع طباعة علمية كاملة، والشعراء فيه ما يزالون في تردد الخجل يطمحون الى ألوان جديدة يضيفونها إلى دواوينهم لعلها تمثلهم تمثيلاً صحيحاً .

أما في المهجر فقد طبعت هذه الدواوين طباعة مشرقة ملوّنة، تتيح للناقد أن يختار منها وأن يتناولها بالدرس والبحث، وهذه كانت مهمة هذا الكتاب الذي سطّره الشاعر الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن . فقد جمع «باقات من الشعر» على حد تعبيره، لكل شاعر عربي من الأمريكتين، وعرضها عرضاً في هذا الكتاب لتمثل كثيراً من الألوان التي طرقها شعراء المهجر، وقدّم بين يدي كل باقة عطرة بما كان لصاحبها من نشأة وثقافة واطلاع، في

سطور تتجاوز الصفحتين والثلاث أحياناً لترجمة كل شاعر منهم . فهي أقرب
، التعريف بهؤلاء الشعراء والتنويه بأسمهم .

وقدّم بين يدي ذلك كلّه بدراسة نقدية تقارب المئة من الصفحات ، عرض
بها لتأثر هؤلاء الشعراء بالمعاني الغربية والعربية وبسط ما للدين والتصوف والضحك
لبكاء من صور في شعرهم وأثر في تفكيرهم . ثم تناول الأوزان والأساليب
تساءل عن الحياة المادية في أمريكا ونفوذها إلى شعرهم ، وانتهى إلى رغبة
كثير منهم في التفلت من القيود والتسامح في اللغة ، « وارتكاب الضرورات
في لا يلجأ اليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين » .

وقد يخرج القارئ من هذه المقدمة البارعة الى صورة تشبه صورة الشعر اللبناني
السوري في المشرق في جملتها . فكأن هؤلاء الشعراء لم يفارقوا ذرى لبنان
ووديان الشام ، ولم يبرحوا الوطن ولم يستظلوا بناطحات السحاب ، وفي ذلك
فضل لا ينتقصه منصف : هو أنهم حافظوا على لغة الأجداد ونظموا في قوافيهم
أوزانهم ، وعكفوا على صورهم وتشبيهاتهم ، لأنهم عاشوا مع الكتب القديمة
الدواوين في بيوتهم ، وعكفوا على التجارة وكسب الرزق في ميادين الحياة
الأمريكية . فلم يخلصوا من شعر المناسبات في رثاء ومديح ووصف ، ولم يخرجوا
عن تقاليد المشرق في تحية الزعماء وتأبين المخلصين والقادة ، فاشتركوا في حياة
الأمة العربية على ما بين الوطن والمهجر من فرق في المسافة والمكان والأغراض .

ولذلك كان من فضل الناقد المؤلف أنه أرّخ لهذا الجناح من الشعر العربيّ
المعاصر قبل أن يكتب ناقد في الجناح الشرقي ؛ فأفاض في الاعجاب بلغتهم
وأسلوبهم ومعانيهم وقد خالف في ذلك رأي الشاعر عزيز أباظة شريكه في
تقديم هذا الكتاب . ومن العجيب أن يشترك شاعران في بحث منشور وأن
يختلفا الى أبعد حدود الاختلاف ، فقد رأى الشاعر أباظة ان « شعراء المهجر
لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود اليها اخوانهم في لبنان ، وأن

الأدب المهجري لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم ، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر » .

والشاعر أباظة يجد أن الشعر المهجري كالشعر الأمريكي بالنسبة إلى موطنه الأول ، فان الأدب الأمريكي لم يبلغ بعد مرحلة التألق وان كان في طريقه اليها .

وبعد ، فلا شك في أن هذا الكتاب خطوة جريئة في رسم مختارات لهؤلاء الشعراء تتصدرها سطور في تعريفهم وتتقدمها صفحات في وصف أدبهم ، نرجو أن تتبعها خطوات علمية في تأريخ هؤلاء الأدباء وبسط مراحل عيشهم ، والموازنة بينهم في الشمال والجنوب ، والبحث عن أثر ثقافتهم ونشأتهم في أدبهم ، وتطوّر هذا الشعر في مراحل حياتهم ، فليس من الخير أن نعيش معاصرين من غير أن نسجّل الرأي ونسطّر النقد ، فنظلم الجيل وأدباءه . وعلينا أن نتأثر القدماء فنعقد الموازنة والوساطة والمفاضلة لشعراء عصرنا قبل أن يعفي النسيان وتخون الذاكرة وتضيع النصوص . ولهذا يستحق الأستاذ المؤلف محمد عبد الغني حسن كل شكر وثناء .



الموشّحات الأندلسية

تأليف الدكتور فؤاد رجائي

حلب ١٩٥٥ ، في ١٣٦ + ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

قبل أن يختضر القرن الأول للهجرة ، أقدم العرب على فتح الأندلس ، وتمّ لهم بذلك ملك ربوع كثيرة من آسيا وافريقيا وبعض أوربا . فتوسعت رقعة الحكم ، وشاع الغنى وكثر الترف ، وانصرف الأدباء إلى النشيد والغناء ، يرسلون قصائدهم في بحور كثيرة من الشعر . فلما ضاقت بهم هذه البحور اخترعوا

« الموشح » متأثرين بالموسيقا والغناء ، كأنهم عرفوا مفتاح الاختراع في العروض فقلّدوا الخليل وساروا على خطاه وجدّدوا فأضافوا إلى الأوزان المتداولة شعراً لا يحدّه وزن واحد أو عروض واحدة ، فهو واسع كالبحر نفسه يخوض فيه القائلون بحرية واسعة معتمدين على اللّحن والآلات . وهذا الفنّ الجديد نما في الأندلس وترعرع في غيطانه ورياضه وقرب جداوله ، فكان له رواج كبير سجّل في أدبنا صفحات لامعة جديرة بالدراسة والنقد والتأريخ . وقد انصرف القدماء اليه فألف ابن سناء الملك « دار الطراز » وكتب الصفي الحليّ كتاباً في فنونه ، وأنشأ غيرهما في التعريف به وتأريخه ، حتى كان العصر الحاضر فالتفت المستشرقون إلى دراسته وفيهم « هارتمان » وغيره ، وكان من الخير أن يكتب الدارسون عندنا في الإشارة اليه ، والبحث فيه ، والتعرّض لموسيقاه .

ومن خير الكتب المتأخرة التي صدرت في بابه هذا الكتاب ، ألفه طبيب وقف درسه على الجراحة ، وانتقل منها إلى الأنغام ، فعشق الموشح وأخذ به ، وأراد أن يعود مع الماضي الى نشأته وتطوره فكان منه هذا التأليف الطريف . جعل فصوله الأولى للتاريخ العربي في الأندلس ، فبسط الفتح والحكم والدول ، وعرض للأمويين ثم العباسيين ليرمم ملوك الطوائف في تفصيل يكاد يستنفد ما في تواريخنا المطبوعة في الشرق ، وذلك ليبلغ إلى الحديث عن الشعر في هذه الربوع ، فقد نقل عن القزويني قوله : « قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب ، ولو مررت بفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وفي أي معنى طلبته منه » . وضرب الأمثلة لهذا الشعر في العهود كلّها حتى سقطت غرناطة في يد الاسبان سنة ٨٩٧ هـ ، في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وانتهى إلى أن « زرياب » وفد على الأندلس قادماً من العراق ليحمل إلى إخوانه في الفردوس الجديد مواهبه وعبقريته في الموسيقا ، فأضاف الى ما عندهم

قاعدة جديدة في الغناء ووضع القواعد في تعليمه فكأنه أنشأ أول معهد موسيقي في هذه البلاد ، ثم بيّن فضل الرجل على اختراع الموشح في الأندلس .

وعقد المؤلف فصولاً في الإيقاع واللحن والغناء ، وفصّل الأمر فيها حتى استوفى ما يريد من براهينه الموسيقية وأوزانه الغنائية ، لينتهي إلى تقطيعه وأقفاله وأغصانه وما يوافق ذلك من الألحان في أمثلة شعرية جميلة موفقة ، فاستغرق بذلك القسم الأول من كتابه في ١٣٦ صفحة .

وقد جعل القسم الثاني لإثبات نصوص الموشحات مع رسم ألحانها بالعلامات الموسيقية الغربية (النوتة) تقريباً لها من أذهان الغربيين والمستشرقين الذين يريدون أن يطلعوا على موسيقانا العربية وشعرنا القديم الذي كان يغنّى ، وفن الموشح ، ليؤمنوا أن العرب شاركوا في بناء الموسيقا العالمية ، وهدفوا الى رفعتها خلال حضارتهم ونهضتهم . وهذا الرسم الموسيقي دوّنه السيد نديم علي الدرويش ، تخدم بذلك الموشح في ميدانه الموسيقي وعمل مع زميله على نجاح الكتاب .

ولذلك نرجو لهذا المؤلف رواجاً عند أبنائنا ، يتطلّعون فيه الى اختراع الأجداد في الموشح وبراعتهم في فنونه ، ويقرءون هذا الشعر المختار الرقيق ، وينظرون الى الألحان والموسيقا نظرتهم الى تراث قديم يجب أن نعمل على رعايته وحفظه وبعثه والاعتزاز به ، وشكر من يقوم بالكتابة فيه . وفّق الله المؤلف الدكتور رجائي إلى ما فيه رفعة الموسيقا العربية ، وجزاه خيراً على ما بذل من مال وجهد .



الشيخ نجيب الحداد

تأليف الأستاذ عادل الغضبان

دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ — صفحاته ١١٠

راجت في السنين الأخيرة طريقة جديدة في الترجمة لأعلامنا لم تكن من قبل . فقد قام في الشام ولبنان مؤلفون يكتبون في القدماء والمحدثين سِيَر الأدباء والفلاسفة والمؤرخين على نمط من التحقيق العلمي يستثير الإعجاب . فيه وصف للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي عاش فيها هؤلاء الأعلام ، وفيه بسط لدقائق هذه الحياة ، واعتماد على نصوص قديمة وحديثة تتكئ على الاستقراء والاستنباط كما يفعل الغربيون سواء بسواء . من ذلك ما ألف الأستاذ خليل مردم بك في الفرزدق وجرير وغيرهما ، وما ألف المرحوم الجندي في ابن المقفع وامرئ القيس ، وما كتب الأستاذ فؤاد البستاني في سلسلة الروائع . وقد أرادت دار المعارف في مصر أن تقوم بنصيبها في ترجمة الأعلام والتأليف في سيرة حياتهم ، فكان منها مجموعة صالحة ، فيها هذا الكتاب .

رسم فيه مؤلفه الأستاذ عادل الغضبان الحركة السياسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ، فوصف الحال التي كانت تسيطر على هذه الربوع ، وعرض للنفوذ الأجنبي فيها وما كانت تقاسيه الأمة العربية من احتلال وانحلال وضنك وبؤس وضيق . فقد تعاور عليها ظلم الأتراك والانكليز والفرنسيين ، وفت في عضدها فتن وقلاقل وثورات ومذابح ، اضطرت كثيراً من المفكرين إلى أن ينزحوا إلى مصر ، ففيها معان جديدة من حرية وحقوق ونظم للحكم جاءت عن سبيل اتصالها بالغرب ، فجرت فيها الأقلام وسالت فيها القصائد وراجت فيها الصحف ، وقامت مسارح التمثيل ، وانتشرت الترجمة ، فظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب ، واتسعت آفاق المعرفة في

القطر المصري ، وتوفرت المطبعة على إخراج كثير من الكتب نفعت المتعلمين وزادت في عدد المثقفين ، فكان نشاط كبير يبشر بخير للغة العربية وأبنائها ·

وكان في جملة الوافدين إلى أرض الكنانة أسرة الحداد ، فدخل الصبي نجيب الحدّاد مدرسة الفرير بالاسكندرية ، وعاد مع أهله الى لبنان حين اندلعت الثورة العرابية فأكمل علومه ببيروت ، ثم عين أستاذاً للعربية والفرنسية في بعلبك ، ولكنه بعد عام واحد أجاب دعوة صاحب « الاهرام » بالاسكندرية ، فهجر الى مصر ، يكتب في الجريدة ويترجم زهاء تسع سنوات ، ينشئ بعدها جريدة « لسان العرب » مع أخيه وصديق له · وينصرف إلى الكتابة في الصحف والمجلات والتأليف والترجمة ونظم الشعر ، في جدّ وكفاح ليعيش مما يدره عليه قلمه إلى أن أنهكه العمل ، فدب الى صدره الداء حتى غلب العلم ، وطغا عليه فأسلم صاحبه الى الموت (في شهر شباط سنة ١٨٩٩) ، وهو في ربيع العمر لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنه · صرفها في الدرس والتحصيل والتأليف والترجمة ، رفيقاً للمحابر والأوراق ، يصحبها نهاره وأكثر ليله ، ليخلف في الأدب الحديث صفحات تنطق بنبوغه ومواهبه ، وتخلده في ركب النوابغ ، وتحله من أسرته محلّ الوارث الأمين ، فقد كان أبوه شاعراً للأمير بشير الكبير ، وأمه من بيت اليازجي ابنة الشيخ ناصيف · فأخذ عن هذين البيتين فضيلة الكتابة ونعمة الفهم ، وتأثر خطواتها ، كما فعل النوابغ من شعرائنا القدماء يروون لغيرهم ثم يروي عنهم الشعراء والأدباء ·

كذلك كان نجيب الحداد ، إذ خلّف ديواناً من الشعر هو « تذكار الصبا » وقصصاً وروايات تمثيلية تبلغ الثلاثين عدداً في عدد السنين التي عاش ، فكأنه بعد العشرين جعل لكل سنة ثلاثة من الكتب عدا ما كان منه من مقالات ومقطعات · ويبدو أن النثر والشعر اجتمعا في نصرة عبقريته فجملاه في الكتّاب والشعراء المرموقين لعصره وبعد عصره ، فهو مشرق الديباجة في نثره وتأليفه

يترجم كما ينشئ ويكتب كما ينظم في سليقة وإبداع وفطرة وبديهة ، ويتناول مواضيع شتى من سياسة واجتماع وتمثيل ، فيشارك المصريين الوطنيين في عاطفتهم ضدّ المحتل ، وينهض بعبء الكاتب الاجتماعي الذي يصوّر المفاسد ويقترح السبل الرشيدة لحياة حميدة سعيدة .

وأظهر ما في آثاره ديوانه ، فقد كان فيه مجدداً ، يجمع بين الفكرة الطريفة والأسلوب المتين ، فينشد شعره في خلجات النفس ونجوى الفؤاد . فيؤدي ما لقلبه عليه من دين وما لشعوره عنده من هزة ، ويروي غليل المثقف الطموح فينشئ في المسرحية شعراً نراه من أوائل الأعلام الذين اشتهروا في أدبنا الحديث .

وينتهي المطاف بالشاعر عادل الغضبان وهو يتحدث عن الشاعر الكاتب نجيب الحداد بعد أن يستوفي الكلام في أربعين صفحة ، ليختـار من آثاره ويعرض من نتاجه ، في ذوق لطيف وعرض جميل ، يحلّيه بالتعليق ، والتفسير ، والشرح ، والموازنة ، والتقديم ، فيبلغ بستين صفحة ما رسمه لكتابه . ويخرج القارئ من هذه الصفحات وهو على وقوف تام من حياة العصر والرجل وآثاره ؛ لا تفوته غاية ولا ينقّص عليه تقصير ، فقد كتبت في أسلوب الأديب المحقق ، ورشاقة الشاعر الأريب ، وبلاغة الناقد المتعمق ، وإحاطة المؤرخ الأمين ، لذلك نشكر له يده في التأليف وبراعتــه في الترجمة ونستزيده في العمل لهؤلاء الأعلام ، جزاه الله عن العربية كل الخير .

الدكتور سامي الدهان

تاريخ مصر ١٣٨٢ – ١٤٦٩

القسم الثاني ١٣٩٩ — ١٤١١

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي
الأستاذ وليم بوبر William Popper
مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

بين يدينا القسم الثاني من تاريخ مصر الذي ترجمه الى الانكليزية الأستاذ وليم بوبر ويتضمن حوادث ١٣٩٩ الى ١٤١١ في حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي المعروفة باسم «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . وكنا أتينا في (ص ١٥٠ جزء ١ مجلد ٣٠) على ذكر القسم الأول من الفترة التي يقوم الأستاذ بوبر بنقلها الى الانكليزية وتبدأ في ١٣٨٢ أي بحكم السلطان برقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة . وقد نشرت جامعة كاليفورنيا هذا القسم الثاني كما نشرت القسم الأول في سلسلة منشوراتها في الفيلولوجيا السامية .

يشتمل كتاب النجوم الزاهرة على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٤٦٩ وهي السنة التي سبقت موت المؤلف . غير أن المترجم الأميركي اقتصر على نقل القسم الأخير من هذا التاريخ الى الانكليزية وهو القسم الذي شهد المؤلف معظم حوادثه بنفسه وقد أراد المترجم أن يقدم الى قراء الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . ويتناول هذا القسم الثاني الذي بين يدينا حكم الملك الناصر فرج (١٣٩٩ — ١٤١١) وينتهي بمقتله ومن الحوادث التي يرويها بالتفصيل دخول تيمورلنك الى حلب ودمشق والفظائع التي رافقت دخول الفاتح المغولي .

وقد أخذ المترجم المواد التي ترجمها عن المجلد السادس للنجوم الزاهرة ولكنه لم يذكر الطبعة العربية التي أخذ عنها وربما كانت طبعة جامعة كاليفورنيا .

ووضع المترجم أرقام صفحات الأصل المصري في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالسنين، والشهور الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها الحوادث واسم السلطان الحاكم . وهوامش الترجمة خالية من الايضاحات والتفاسير المتعلقة بالمصطلحات الواردة في النص ، وفيما سوى ذلك فان الترجمة دقيقة مضبوطة والطباعة متقنة . ولعل المترجم ترك الفهارس اللازمة بأسماء الأعلام والمواضيع والأماكن للجزء الأخير لأن الجزئين الأولين ليس فيهما فهارس .

جورج حداد

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

الناشر : هلموت ريتر

طبع في استنبول بمطبعة الحكومة ١٩٥٤

ان كل مشتغل بعلوم البلاغة ليتقبل هذه النشرة الكثيرة الفوائد بقبول حسن لما فيها من التصحيح والتصويب ، وقد أشار في خاتمة مقدمته الانكليزية الى نشرة المنار المصرية الأولى والثانيــة لأسرار البلاغة ، وذكر المخطوطة الطرابلسية التي اعتمد عليها صاحب المنار ، وما قام به الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وصاحب المنار والشنقيطي من تصحيح هذه المخطوطة وتقويم عباراتها ، بعد معارضتها بنسخة أخرى من الأسرار وجدت في احدى دور الكتب الاستنبولية، ولم يعيّن صاحب المنار هذه النسخة ؛ وأما الناشر الفاضل ريتر فقد اعتمد في نشر أسرار البلاغة على مخطوطات أربع ، أقدمها مخطوطة خسرو باشا التي رمز اليها بحرف H ، وقد كتبت في جبل الصالحيــة بدمشق سنة ٦٦٠ للهجرة ، واتخذها أصلاً لهذه النشرة الحديثة ، وما بها من نقص أكمله من المخطوطات الثلاث المنقولة عن هذه النسخة الوالدة .

والمخطوطات الثلاث الأخرى هن : مخطوطة فيض الله المنسوخة سنة ٩٤٧ هجرية، وقد رمز لها بحرف F ، والثانية المخطوطة الحميدية ، وقد رمز لها بحرف D ، وهي مجموعة كتب ثلاثة أحدها أسرار البلاغة المكتوبة سنة ٩٤٢ هجرية ، والثالثة مخطوطة مراد ملا المرموز لها بحرف L ، وقد كتبت ما بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، وقد أشار الناشر الى هذه المخطوطات بحروفها الرمزية والى عباراتها المختلفة بدقة بالغة . وان لم يبين أحياناً لنا العبارة الصحيحة التي هي أشبه بأسلوب الجرجاني ، وأوضح لمعناه ؛ وكثيراً ما يجد الإنسان عبارة المنار التي صححها الأستاذ الإمام موافقة للنسخة الخسرويـة الأصلية ، أو هي أقوم قيلا .

وأما شواهد الاسرار فقد أرجعها الى دواوينها وقائليها ، وذكر أسباب قولها مع ترجمة وجيزة لكل شاعر وتاريخ وفاته ، وان لم يوجد البيت الشاهد في الديوان نبه على ذلك ، ويدلك على ما لقيه الناشر من جهد ونصب في تحقيق الاسرار ذكره للشاهد في مظانه العلمية والأدبية مع بيان الصفحات ، وقد يبلغ عدد هذه المظان نحو الثلاثين ، مما يدل على أن الناشر كعادة المستشرقين قد احتشد لهذه النشرة بذكر اختلاف النسخ الأربع ، وبترقيم الشواهد الشعرية لإحصائها ، وترقيم سطور النص في كل صفحة بوضع رقم لكل ثلاثة أسطر ليسهل الرجوع الى عبارات النسخ الأربع المعتمدة ، مع العناية بالفهارس الدراسية التي تيسر الدرس والمراجعة ، منها جدول للتصويبات والاستدراكات ، وفهرس للشعراء مع صفحات شواهدهم ، وفهرس للأشخاص الذين مر ذكرهم ، وفهرس لصدور الأبيات وآخر لقوافيها مما يوقع الباحث على ما ينشده ، وفهرس للآيات وآخر للأحاديث والأمثال والحكم وأقوال الناس ، وفهرس لأسماء الكتب المذكورة في الحواشي .

ومما نستدركه على جدول استدراكاته تصحيحه لضبط بيت المرقش الأكبر :

النشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكفّ عنمْ

فهو في الكتاب هكذا صحيح الضبط الشعري ، لا النحوي ، لأن (دنانير) ممنوعة من الصرف ، وقد رأى الناشر أن البيت مخالف لقواعد النحو فحذف التنوين من دنانير ، وهي مصروفة لوزن الشعر ، والرواية على صرفها .

وذكرنا أن المستشرقين يهتمون الاهتمام كله بجمع النسخ المختلفة – كما كان دأب سلفنا العربي الصالح – وبذكر اختلاف عبارات هذه النسخ المعتمدة ، وجلهم لا يهتم بترجيح العبارة القوية التي تلائم المعنى العلمي الصحيح ، ونظلم الناشر إن اطلقنا عليه هذا القول ، إلا انه مما سها عن ترجيحه لتصحيح المتن وتوضيحه ما جاء في الصفحة الثامنة نذكره على سبيل المثال : « فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيسَ من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن » هذا هو نص النسخة الخسروية بتقديم (إلا) على (مستحسن) ، وفي النشرة المنارية هكذا : « ... لما وجد فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن » وعليه المعنى الصحيح .

وهذه النشرة أصح بجملتها متناً من النشرة المنارية ، وأذكر لك على سبيل المثال ما جاء في النشرتين نشرة المنار وهذه النشرة من القول بعد بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

ففي نشرة المنار : « فانظر أيتصوّر أن يكون ذلك للفظ من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشياً غريباً أو سوقياً ضعيفاً ، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ... » وعبارة الخسروية في هذه النشرة : « ... أيتصوّر أن يكون ذمُّك للفظ ... » وهو أجلى وأعلى ، وقد يكون من غموض التعبير بحثك عن مرجع المشار اليه والضمير .

ومن السهو في شكل المتن قوله في الصفحة ١٨ والسطر الثامن : « انصرفتَ عن ظنك الأُول ، وزِلتَ عن الذي سبق من التخيّل » والصواب (وزُلتَ) بضم الزاي لأنها بمعنى تحوّلت ؛ وكنا نتمنى لو أن الناشر عني بنقط الياءات

للتفريق بين (علي) العلم و (على) حرف الجر فيضع نقطتين تحت الياء المسبوقة بكسرة ، والمفتوح ما قبلها يجرّد من النقط ، كما ينقط الياء المسبوقة بسكون ، ولكنه جرّد الياءات كلها من النقط مثاله (١٢/٣١) : « وكأنها الديباج الخسرواني في مرامى الأبصار ، ووشى اليمن منشوراً على أذرع التجار » .

هذا ولا يزال كثير من عبارات المتن التي قوّمها التصحيح بمعارضة النسخ بالخسروية في حاجة الى شرح بنير لطلاّب الآداب ما غمض عليهم من معاني الكتاب ، وذلك لا يمنعنا من الثناء الأطيب على هذا المستشرق المولع بنشر آثار أجدادنا ، وقد عرفناه بآثاره الممتعة ، وببيض أياديه على الأدب العربي ، وله بهذا الكتاب الذي بذل جُهاداه في نشره الحسن فضل مذكور وسعي مشكور .

التنوخي



محاضرات في اقتصاديات سورية

للدكتور أحمد السمان

نشر معهد الدراسات العربية العالية ، الملحق بجامعة الدول العربية محاضرات في « اقتصاديات سورية » ألقاها الدكتور أحمد السمان مدير معهد الحقوق ، وأستاذ علم الاقتصاد ورئيس الجامعة السورية بالوكالة ، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية العالية في الجامعة العربية ، بحث فيها عن الحياة الزراعية والصناعية ، والتجارية ، والنقدية في سورية ، والتعاون الاقتصادي العربي .

وقد خص الزراعة السورية يبحث عن الأراضي السورية والأراضي المستثمرة منها ، وتربتها ونسبة أمطارها ، وكمية مياه أنهارها ، وطريقة الاستثمار ، والملكية المشاعة ، وعدد سكانها ، وبين أعمال الحكومة في مساعدة الزراعة من الوجهة المالية ، وتوسيع شبكة الري ، ومقدار الإنتاج الزراعي من الحبوب والبقول

والقطن والتبغ والشمندر والزيتون والخضر والفاكهة ، وذلك من المصادر الحكومية ، وقد أجاد في بحث ذلك .

وبحث عن الصناعة السورية الفتية ، واستعرض بإيجاز في الألفاظ ، وكثير من المعاني ضرر الانتداب الماضي على البلاد ، وفوائد الاستقلال الوطني ، وعن إعفاء الآلات الصناعية المستوردة ، وخواص الأراضي السورية ، وإمكانية وجود البترول ، وضرورة زيادة القوة الكهربائية ، وقلة رؤوس الأموال التي سببت ارتفاع فوائد الديون ، وغلاء أسعار الوقود وبين أنواع الصناعة الرئيسية في البلاد كالمطاحن والقونسروة والزيوت والسكر والتبغ والاسمنت والزجاج ، والغزل والنسيج وصناعات صغيرة أخرى ، وإنتاج كل منها ، وقد شكا من ضيق الأسواق ، وارتفاع أسعار الانتاج ، الأمر الذي حال دون مزاحمته الانتاج الأجنبي ، ودون تصديره كما ينبغي ، وقد كان موفقاً في هذا البحث الدقيق ، ولعل الحكومة تزيد في اهتمامها ، بفتح أسواق جديدة للصناعة السورية .

ولما بحث عن التجارة السورية ، ذكر المصاعب التي أوجدها الانتداب ، وأن الانتداب كان همه بسط السلطان السياسي ، والاحتفاظ بالبلاد للانتاج الفرنسي ، ثم بين المقادير المصدرة والمستوردة ، وان الجمارك كانت لحصول على الأموال ، لإملاء صندوق المفوضية الفرنسية ، على أن الحكومة السورية عندما استقلت صارت تعقد الاتفاقات التجارية ، وخاصة الاتفاقات التي عقدتها مع البلاد العربية ، وأنها أحيت مرفأ اللاذقية ، وأصدرت المرسوم رقم ١٥١ الذي عود التاجر السوري على الاتصال المباشر مع الأسواق الخارجية .

ثم أفرد بحثاً عن العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان ، واستعرضها منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى انتهائه ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، وأوجز الاتفاقات التي جرت بين الطرفين ، وهو يحبذ قيام اتحاد اقتصادي بينهما يلائم

مصالح البلدين ، وهذا ولا ريب خير للطرفين ، إنما تنفيذه يحتاج الى وقت تتقارب فيه القلوب ، ويقتنع كل من الفريقين بفائدة ذلك الاتحاد .

ثم بحث عن النقد السوري من أول الاحتلال الفرنسي ، حتى انتهائه ، وكيف وضعت فرنسا يدها على القطع الأجنبي الذي كان الحلفاء أعطوه الى مكتب القطع ، لأخذ ورق نقدي سوري بدلاً منه لصرفه في البلاد ، وكيف أن فرنسا أوعزت الى مصرف سورية ولبنان سنة ١٩٤٨ فأعلن أن الليرة السورية قد فقدت قوتها الابرائية في لبنان ، وأن الحكومة السورية قامت بما يجب عليها لجعل النقد السوري قوياً ، وصالحاً لإقامة نظام اقتصادي . وهذا هو واقع الحال .

وأنهى الدكتور السمان محاضراته بالبحث عن الوحدة الاقتصادية العربية ، واستعرض المباحثات التي جرت بين الحكومات العربية ، ثم قال بضرورة الوحدة الاقتصادية العربية ، لرفع مستوى العرب الاقتصادي والسياسي ، وإني أعتقد أن البلاد العربية تحتاج الى استقرار وهذا لا يكون إلا بالوحدة الاقتصادية والسياسية معاً .

الحق إن الدكتور السمان كان موفقاً في محاضراته هذه ، وقد كانت مادتها جزيلة وإن الحلول التي قال بها هي الحلول المعقولة ، ورجاؤنا أن تعيرها الحكومات العربية أذناً صاغية ، لأن البلاد العربية في أشد الحاجة الى إصلاحات جمة ، وأولها الإصلاح الاقتصادي ، ضمن الوحدة الاقتصادية العربية ، وحتى السياسية ، إذ يكفينا هذا الفقر ، وهذا التباعد في أمة واحدة ، بينما نجد الشعوب الأجنبية المتعادية بالأمس ، قد أصبحت اليوم تتكتل اقتصادياً وسياسياً .

منير الشريف

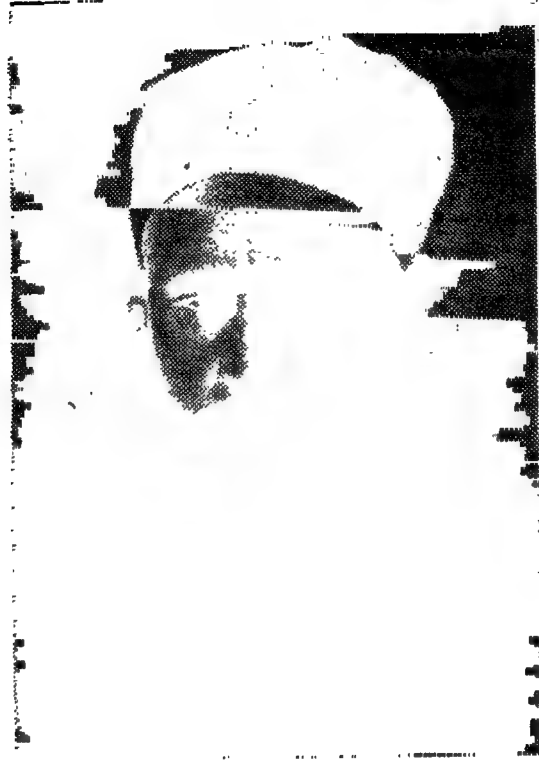


آراء و أنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنه ١٩٥٥ برياسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين . وقد صدرت ستة مراسيم بإقرار انتخابهم وتعيينهم . وهذه أسماؤهم وأسماء أقطارهم مع تاريخ مراسيمهم وتعيين أرقامها :

الاسم	القطر	تاريخ المرسوم	رقمه
الأستاذ عبد الله كنون	مراكش	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٠
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤١
الأستاذ س . ديدرنغ	السويد	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٢
الدكتور بيارد ضودج	الولايات المتحدة الأميركية	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٣
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	تونس	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٤
الأستاذ علال الفاسي	مراكش	٢٩ شباط سنة ١٩٥٦	١٠٤٥



وفاة الشيخ سعيد العرفي

(١٨٩٦ ـ ١٩٥٦)

فقد المجمع العلمي العربي عزيزاً من أعضائه المراسلين هو الشيخ سعيد العرفي مفتي الفرات .

ولد الفقيد في مدينة دير الزور سنة ١٨٩٦ وطلب العلم بها وبعد الانتهاء من الدراسة الرشدية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة العلمية وأخذ الإجازة بالعلوم النقلية والعقلية سنة ١٩١٦ من رئيس المدرسين بها الشيخ حسين الأزهري مفتي الفرات السابق .

وحضر على مشايخ من أنحاء شتى وأخذ إجازتهم منهم الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق وشيخ الشافعية في مصر والشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر . وكان مع ثقافته العربية يعرف اللغة التركية .

عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في دير الزور سنة ١٩١٨ ومحامياً للخزينة سنة ١٩٢١ والمدرس الأول وفي سنة ١٩٣٣ عين رئيس لجنة أوقاف الفرات والجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ انتخب نائباً عن دير الزور في المجلس النيابي . وفي سنة ١٩٣٩ انتخب مفتياً لمحافظة الفرات . وفي سنة ١٩٤٣ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي . كما انتخب رئيساً لمجلس الأوقاف الأعلى في إحدى دوراته سنة ١٩٥٠ .

وله عدة مؤلفات منها سيرة خالد بن الوليد ، واللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية . ومما لم يطبع من مؤلفاته تفسير القرآن ، ورسالة في الدفاع عن الفلاسفة وغيرها . وتوفي في ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ .

عُرف الفقيد بالعلم والإخلاص والجرأة . ومواقفه الوطنية وما لقي في سبيلها من الاضطهاد في أيام الانتداب معروف .

رحمه الله رحمة واسعة .



رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين

في العدد السابق من هـذه المجلة الشطر الثاني من تعليقات واستدراكات الدكتور عبد الوهاب عزام على شرح لزوم ما لا يلزم الذي ألفه الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبياري وقد جاء في العدد المذكور ص ١٤٨ ما يلي :

اللزومية السادسة والخمسون

أقروا بالإله وأثبتوه　　وقالوا لا نبيٌّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حل مباح　　رويدكم فقد بطل العتابُ

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها . والوطء النكاح ، ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

ويعلق على ذلك الدكتور عزام بما يلي :

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه ، ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

هذا ما علقه الدكتور عبد الوهاب عزام .

* * *

وقد تراءى لي معنى غير ما تقدم أحببت عرضه على القراء :

فالشطر الأول من اللزومية (أقروا بالإله وأثبتوه) . فالذين يثبتون الإله ويقرون به يبعد جداً أن لا يقروا بالأنبياء والكتب المنزلة ، ولذلك أرى أن يقدر الخبر في الشطر الثاني هكذا : (وقالوا لا نبيٌّ) بعد نبينا (ولا كتابٌ)

مع قرآننا أو نحو ذلك . والمعري يريد بذلك التعريض بجماعة من الفقهاء يقرون بالاله ويقولون لا نبيّ بعد نبينا ولا كتاب مع قرآننا ثم يأتون بعد ذلك بما يخالف قولهم وعقيدتهم فيقعون في التناقض ويجحدون بما آمنوا به ، ولذلك يقول في آخر اللزومية (رويدكم فقد بطل العتاب) فلا كلام مع هذه الجماعة .

أما حل وطء البنت فالقرآن الكريم يقول (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم) إلى آخر الآية .

ولكن بعض الفقهاء بحثوا في البنت التي تولد من سفاح هل هي بنت شرعية أم لا ؟ فقد نفوا ذلك وجعلوها غريبة عن أبيها ، وبنوا على ذلك جواز نكاح الأب لها وتزوجه بها ، وقد أثار ذلك نقداً لاذعاً من الفقهاء الآخرين ممن لا يقولون بهذا القول .

والمعري كان من هؤلاء الناقدين في هذه اللزومية . ولكنه سلك مسلك الابهام في نقده خوفاً من قيام الفقهاء عليه .

وقد أشار لهذا النقد الزمخشري في قصيدته التي يقول فيها :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلمُ
فإن حنفياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرمُ
وإن مالكياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب ، وهم همُ
وإن شافعياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرمُ

الى أن يقول :

تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلم

وبعد فإني أرى أن المعري المتوفى سنة (٤٤٩) يشير في هذه اللزومية الى هذه المسألة الفقهية التي كانت مثار بحث ونقد حتى زمن الزمخشري الذي كانت ولادته بعد وفاة المعري بثماني عشرة سنة .

محمد أحمد دهمان

ترجح - وتأرجح

إننا من زمان ، نسير مع العلامة الأستاذ المغربي نتابع الفصول التي يكتبها في تصويب ألفاظ فشا خطأ استعمالها في منشورات بعض المنشئين والكاتبين . وقد رأينا ، وما نزال نرى في تلك الفصول دروساً كبيرة الفائدة لكل من يتصدّى للكلام وللكتابة ، ويتوخى معرفة الأصول اللغوية وحقائق أحوالها .

وقد طالعنا كلمته المنشورة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ونرى أن تكون لنا مع الأستاذ وقفة يسيرة حول إحدى التصويبات .

أخذ - حفظه الله - على نشرة مصرية استعمالها « التأخلق » في قولها : « الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية . » ورأى في تصويبها أن يقال « التخلّق » ثم استطرد فقال : وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم : تأرجح الأمر بين كذا وكذا . ورأى في تصويبه أن يقال : ترجح .

هنا نود أن نقف مع الأستاذ ، وأن ندلي برأينا في ناحية من نواحي هذا الفعل .

إن مادة الكلمة « رجح » . ثم أدخلت عليها الهمزة والتاء ، فالفعل ثلاثي مزيد بحرفين ملحق بالرباعي المزيد بحرف .

والإلحاق باب جائز وقد نص عليه ، بأن يزاد على أصول بناء حرف أو حرفان ليصير البناء على مثال كلمة أخرى في أنواع تصريفها . مثل تجلبب مادتها « ج ل ب » ، ثم زيدت باء ثانية في آخرها وتاء في أولها لتصير على مثال تدحرج في تصاريفها .

على أن بالمعاجم من هذه المادة ، « مرجوحة وأرجوحة » ، فما المانع أن

يصاغ من هذين الاسمين فعلان على وزن تفعلل ، فنقول : تمرجح وتأرجح ؟
ان الصوغ من الأسماء الجامدة وارد ، فقد قالوا : تمسكن ، وتمندل ، وتمدرع ، من المسكين والمنديل والمدرعة .

وقالوا : رَأَسَهُ ، وعضده ، وصدره ، وظهره ، إذا ضرب رأسه وعضده وصدره وظهره . وقالوا : سافَهُ ورَمَحَهُ وعَصاهُ إذا ضربه بسيف ورمح وعصا .
وقالوا: أرض مأسدة ومسبعة ، من الأسد والسبع .

هذا وان مجمع اللغة العربية بمصر قد أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة فقال : « ومع كثرة الاشتقاق من أسماء الأعيان لم يصرح المتقدمون فيه بالقياسية ، وحملهم على ذلك أمران : الأول قلة ما ورد من مشتقات الأعيان بالنسبة الى ما ورد من مشتقات المعاني . والثاني أن المشتق يحمل دائماً الحدث إما مع الذات أو الزمان أو المكان ؛ والذي يقيد الحدث وحده حتى يكون مناطاً للاشتقاق انما هو المصدر ، لكن لما كانت كثرة المشتقات من الأعيان في ذاتها مُطَمْئنة وحاجة العلم لا الأدب ماسة الى الاشتقاق من أسماء الأعيان رأى المجمع اللغوي اعتباره قياساً . »

وبعد فان اشتقاق « تأرجح » من الأرجوحة يختلف قليلاً عن اشتقاق « تأخلق » من الأخلاق . ذلك لأن الهمزة موجودة في الشكل الافرادي للأرجوحة وليست موجودة في الشكل الإفرادي للأخلاق ؛ أي في الخلق . والاشتقاق من المفرد جائز دون الاشتقاق من الجمع . فهناك كثيرون قد اشتقوا أفعالاً من أسماء مفردة واستعملوها في كتاباتهم فقالوا : تَمَدْيَن ، وتأقلم ، وتمذهب ، وتمنطق .. من المدينة والاقليم والمذهب والمنطقة . فهل هناك من اشتق أفعالاً من أسماء مجموعة ؟

ونزيد فنقول : إن الفعل « ترجح » في المفهوم العام يعني أن يغلب جانب

على جانب ويرجح عليه ، أكثر مما يعني التذبذب والتردد بين الجانبين بخلاف الفعل « تأرجح » الذي لا دلالة له إلاّ على ما يظهر من حركة الأرجوحة ، وهي التردد بين الجانبين والجهتين جيئةً وذهابا .

وليس من الصواب استعمال اللفظ الدال على الأعمّ في حين إرادة الأخصّ . وعلى هذا يكون فعل « تأرجح » أوفى بالمراد وأوضح دلالة على المعنى الموضوع له .

وبعد فاننا نرى اشتقاق تأرجح من الأرجوحة وتمرجح من المرجوحة ولا نرى ما يمنعها .

ولست أقف عند هذا الحد فيما نحن بصدده بل أرى أن أقيس على « تأرجح » فأتناول من هنا وهناك معاني لا أراها تؤدَّى بسوى أفعال مشتقة على نحو ما اشتق فعل تأرجح . أرى أن أشتق من الأجنبي والاقطاعي ، فأقول في المُواطن الذي يفعل فعل الأجنبي والاقطاعي : « تأجنب » و « تأقطع » كما يقال : تفرْنس وتأمْرك .

ولست أرى فعلَيْ « تجنّب وتقطّع » يغنيان شيئاً في الدلالة على المعنى المطلوب لذلك .

وما أذهب فيما كتبت إلى أني أخذت على الأستاذ المغربي في اللغة مأخذاً ، أو اني استدركت عليه أمراً نَدَّ عنه ، ولكني أرى في هذا وأمثاله موضع نظر ومجال بحث ، فعسى أن يطالعنا الأستاذ من ذلك بما يجلو الغمّة وينقع الغلّة .

عارف ابوشقرا

منتخبات من معجم الكواكبي

— ١ —

المقدمة

دفعني الى القيام بهذا العمل الشاق ، ما كنت أجده من الصعوبة في مراجعة كثير من المصادر العلمية والفنية واللغوية للوقوف على معنى لاصطلاح كيمياوي أو شرح لكلمة فيزيائية أو صيغة لمادة دوائية مبعثرة هنا وهناك لم أكن لأتعرض لمثلها لو كان في خزانة الكتب العربية الفنية معجم يعنى بتفسير لجميع المصطلحات الكيمياوية وما يحتاج اليه الكيمياوي والفيزيائي والصيدلي والطبيب وطالب هذه الفروع . فشعرت بلزوم التشمير عن ساعد الجد والعمل لملء الفراغ في هذه الخزانة تلافياً لما قصر عنه السلف .

فبدأت متكلاً على الله مستمداً منه المعونة ، بجمع هذه الشوارد المتبعثرة في بطون الكتب والمجلات والمحاضرات وبعض المعاجم شارحاً بايجاز فيه الكفاية ، وجعلتها في كتاب أسميته (معجم الكواكبي في الكيمياء وما اليها) يكون مرجعاً بين أيدي المشتغلين بالتأليف والترجمة وطلاب الطب والصيدلة وفروعها يغنيهم عن الاستعانة بكثير من الكتب والمجلات والمؤلفات والمعاجم العربية والافرنجية للوصول الى ما يبغون من معنى لكلمة ، أو مدلول لمصطلح لا يعثرون عليه إلا بشق النفس وإلا اذا وجدت لديهم مكتبة غنية بالكتب الفنية على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ولغاتها مما لا يتيسر إلا للقليل الغني الشغف بالمطالعة والدرس والتأليف .

وها أنا ذاكر على صفحات مجلتنا هذه منتخبات من هذا المعجم مما هو من وضعي مع اشتقاقه العربي (وأحياناً اشتقاقه الغربي) ثم شرحه الفني . وأرحب

بكل نقد وتشريح إظهاراً للحقيقة التي ينشدها الجميع حتى إذا ما وجدت الحق بجانب الناقد النزيه لكلمة (أو مصطلح) بحثت عن غيرها ناظراً بعين الاعتبار الى ما أبداه من نقد أو ملاحظة شاكراً له اهتمامه في تحري الصواب . والله سبحانه أسأله التوفيق في الحال والمآل .

ملاحظة :

وزن (فَعَل) يدل على عاهة أو حالة غير اعتيادية من علة أو فساد .

وزن (فُعالَة) يدل على بقية شيء أو رديئه أو بيان حالته .

وزن (فَعُول) يدل على القابلية .

وزن (فَعُولِيَّة) للاسم أو الحالة من (فَعُول) .

وزن (فُعال) أكثر ما ورد في ألم أو مرض أو عرض .

وزن (مَفْعَلَة) يدل على (الذي يفعل) عدا عما ورد كاسم آلة وفيه معنى الذي (يعمل ويفعل) مثال : مِحْشَرَة للآلة التي تحشر ـ مِخْلَصَة ، التي تخلص ـ مِخْلَجَة ، التي تخلج الخ .

وزن (فَعَلان) يدل على الاضطراب والحركة .

بعض الإشارات الاختزالية الخاصة بهذا المعجم :

= للمعاني المترادفة .

|| للمعاني المختلفة .

ث للثقل النوعي .

صه للانصهار .

غل للغليان .

ف لتعريف النور .

: للمثال أو الشرح .

— بدلاً من الكلمة الأصلية .

● إشارة للكلمة التي هي من وضعنا .

غ غرام .

سغ سنتغرام .

ملغ ملغرام .

ملم ملمتر .

* * *

١) Å أ

رمز وحدة الأطوال الصغرى . اختصاراً من اسم (آنغيستروم) الفيزيائي السويدي المشهور بتجاربه وأبحاثه على الطيف الشمسي ، تخليداً له . هذه الوحدة تساوي 10^{-10} من المتر أو 10^{-7} من الملم .

٢) Abat نُفَاشة .

لغةً : من (نَفَشَ الوطبُ أُخرج ما فيه من الريح) . فناً : الجلد الذي أخذ انتفاخه بالزوال ، من مصطلحات فن الدباغة .

٣) (— Abats (suif d' شَحْم السُّلابة ●

(من اللاتينية à battuere : الضرب ، الضغط ، الذبح) . لغة : (وزان فُمالة ، اشتقاقاً ، من (السَّلَب وهو من الذبيحة إهابها وأكرعها وبطنها الخ) . فنا : الشحم يتكون بغلي معدة البقر ورؤوسها .

٤) (— Abeilles (cire d' شَمَع ، مُوم .

(من اللاتينية cera : الشمع) . لغةً : الشمع ، محركة وتسكين الميم ، مولّد ، هذا الذي يستصبح به أو موم العسل) . (شَمَعَ شُمُوعاً شَمْعاً مَشْمَعَةً ، لَعِبَ ومَزَجَ . || والشيء شموعا تفرّق . || مسك مشموع بالعنبر ، مخلوط به . || أشمع السراجُ سطع نوره . || شَمَّعه تشميعاً ألعبه . والثوبَ غمسه في الشمع المذاب) .

(الموم : بالضم ، الشمع . || أداة للحائك يضع فيها الغَزْل وينسج به «مكوك») .

فنّاً : الشمع أو الموم : مادة لينة ضاربة للصفرة يصنع منها النحل خلاياه . = مادة مماثلة تنفرز من كثير من النباتات . || مزيج صمغ اللك والتربنتين يستعمل لإرشام الرسائل و (الطرود) البريدية ونحوهما .

الشمع الذي يصنعه النحل الأهلي : يتركب من حمض شمع العسل (سه روتيك) وحمض شمع النحل (ميريسيك) وغول (السّروتي) و (الميريسي) و أستراتها . ث ٩٦٦و٠ صه ٦٢ ـ ٦٣٠ يضرب الى الصفرة ، ويُقصر بتعريضه للشمس والندى .

من أنواعه الشمع البكر (vierge —) صه ٦٢ . والشمع المبيّض (blanchie —) وهو المضاف اليه ٢ — ٥٪ من الشحم ، صه ٦٧ .

استعماله : للتلميع . ويمزج بأقلام الطبع على الحجر ، وبشمع الإرشام (الأختام) . ولصنع شموع الإضاءة .

الشمع النباتي : ما يفرزه كثير من النباتات (بعض أنواع النخيل الشمعية ciriers) . يستعمل في دور الصناعة لعمل الشموع والصابون .

(يتبع) الكواكبي

تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢١	الصفدي	الكتبي
٢١٠	٢	الملتس	المتلمّس
٢٢٥	١٨	جاب قضاه ..	جابي قضاه ..

صفحة فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعر الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٥ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي } بتحقيق الأ[illegible]
٣٦ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي } [illegible]
٣٧ — [illegible]

الجزء الأول
المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م
٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ ھ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين ، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طغتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) فقال : « كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها ، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوياً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر » والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ يدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام .

وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكأن المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود ، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

وكتاب الجمهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وقد جعله ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر ، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر ، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر . وفي آخر كل كتاب قصيدة للمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود . ولم يختر في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الإسلام .

من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧ . وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامةً في غيرها من المظان ؛ من ذلك قصيدة منصور النمري التي أولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ

وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها :

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

وقد حققنا هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣

والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم .

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن إسحق الكندي ، وابن قتيبة ، ومحمد بن زكريا الرازي ، وأبي العلاء المعري ، والشريف الرضي وغيرهم . وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب :

الكتاب الأول في المدح ، الكتاب الثاني في الغزل ، الكتاب الثالث في الافتخار ، الكتاب الرابع في الرثاء ، الكتاب الخامس في الهجاء ، الكتاب السادس في الزهد ، الكتاب السابع في العتاب ، الكتاب الثامن في المجون ،

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهاني ، الكتاب الثاني عشر في المثلث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في المخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب .

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة الأعشى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهّدا

الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر لمن اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله .

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الأفرنج بأسطول الملك العادل سنة ٥٨٨ .

الباب الخامس : قصيدة الحصكفي في أهل البيت وأولها :

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجَلَدُ ربعانِ كلٌّ بعد سكنى فدفدُ

الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في مجلس معاوية على سبيل الاجابة .

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أقفرتْ بعد عبد شمسٍ كَدَاءُ فَكُدَيٌّ فالركن فالبطحاء

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس .

الباب التاسع : قصيدة منصور النمري في هرون الرشيد وأولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ

وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملةً إلاّ في هذه المجموعة .

الباب العاشر : أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه ٠

الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ٠

الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة المخزومي التي أولها :

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ مبكّرُ غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

الباب الثاني : خبر الفتى العذري وعمر بن أبي ربيعة المخزومي ٠

الباب الثالث : قصيدة العكوك الكندي التي أولها :

هل بالطلول لسائلٍ رَدُّ أم لها بتكلمٍ عهدُ

الباب الرابع : يوم في دير مران لأبي الفرج الببغاء ٠

الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبته مي وأولها :

الا أيهذا المنزل الدارس أسلمِ وأسقيتَ صوب الباكر المتغيمِ

وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :

ألاربع ظلّتْ عينك الماء تهملُ رشاشاً كما استن الجمان المفصّلُ

الباب السادس : حديث وسنى بنت أبي سلمة المهلبية والفتى القرشي ٠

الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) التي أولها :

وساحرة العينين لا تعرف السحرا تواصلني سراً وتقتلني جهرا

الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل ٠

الباب التاسع : قصيدة لديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :

سهام لحاظٍ من قسي الحواجبِ نظمن الأسى في القلب من كل جانبِ

الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكثم ٠

الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ٠

الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها يدعي أن بني أيوب أمويون والقصيدة طويلة يذكر فيها مناقب بني أيوب وبني أمية ٠

الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية ·

الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين ·

الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء [1] ·

الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

الباب السادس : رسالة بفتح طبرية ·

الباب السابع : قصيدة لعلوي البصرة صاحب الزنج أولها :

رأيت المقام على الاقتصادِ قنوعاً به ذلةً في العبادِ

الباب الثامن : حديث علوي البصرة ·

الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة ·

الباب العاشر : سجل عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان ·

الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفر العرصاتِ

الباب الثاني : جواب تعزية بأسد الدين شيركوه ·

الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علوي البصرة صاحب الزنج أولها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنامِ شغلها عنه بالدموع السجامِ

الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي الى أبي القاسم سليمان بن أحمد ·

الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه سعيد وأولها :

---

(١) المذكور في كتب التراجم ابن للشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشيء له خطب ورسائل جيدة وله القلم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) .

فما أم مقبرٍ أودعتــه قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي يعزي أبا الفتح بن العميد عن أبيه أبي الفضل ٠

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خبا ضياء النادي

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقد مات غريقاً ٠

الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرحنْ بعيشة متنعمُ كل السرور بأهله يتصرمُ

الباب العاشر : جواب تعزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب ٠

الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ٠

الباب الأول : قصيدة لجرير يهجو الفرزدق أولها :

لا خير في مستعجلات الملاومِ ولا في خليلٍ وصله غير دائمِ

الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد اللواتي ٠

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :

عرفت بأعلى رائس الفأو بعدما مضتْ سنةٌ أيامها وشهورُها

الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب ٠

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :

أوضح الحق منهج البرهانِ ومحا السر شائع الإعلانِ

الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير ٠

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :

ويلك يا وجه الخشبْ يا جرذاً بلا ذَنَبْ

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء ٠

الباب التاسع : قصيدة لابن منير الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بحلب وهو مريض في حماة وقد اتصل به أنه نعي بحلب ودخلت الحشرية داره وأثبتوا ما فيها وختموا عليها ، ويعرّض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي يده صر   فٌ به أستكفُّ صرف الزمانِ

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجهري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي مطلع الأولى :

أستغفر الله من تركي وإخلالي   وهفوةٍ خطوتْ مني على بالي

ومطلع الثانية :

إستغفر الله العظيم وعُذْ بهِ   من شر غاوٍ في الخصام منافسِ

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمورِ   طوبى لمعتبر ذكورِ

ومطلع الثانية :

خليليّ إن الهمّ قد يتفرجُ   ومن كان يبغي الحق فالحق أبلجُ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بينا الفتى في الأرض فوق الثرى   أصبح في الملحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :

شبابٌ كلامع برقٍ رَحَلْ وشيب كمثل غريمٍ نَزَلْ

الباب الثامن : الخطبة الرملية للمؤلف .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :

شكر الإله مزيدةٌ لك فاشكرِ وانظر إلى ألطافه وتدبَّرِ

الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد .

الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري يعاتب خاله علي بن محمد بن سبيكة أولها :

تفديك النفوس ولا تفادا فأدنِ الوصل أو أطل البعادا

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء في العتاب .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهلِ وأرتاد جود الحب في منبت البخل

الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير يعاتب خاله .

الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلمِ وما سراه على خفٍ ولا قَدَمِ

الباب السادس : رسالة للصابي يعاتب علي ابن الأنباري .

الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة (الأندلسي) في العتاب أولها :

ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ لما بكى للغيث فيها مدمعُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب .

الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي .

الباب العاشر : رسالة للصابي يعاتب الخالديَّين .

الكتاب الثامن في المجون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ٠

الباب الأول : قصيدة للصنوبري أولها :

شربنا في بعاذين[1] على تلك الميادين

الباب الثاني : رسالة تهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المجون ٠

الباب الثالث : قصيدة في المجون لمحمد بن المجلي بن الصائغ الطبيب يذكر فيها أحوال الشبيبة والشيخوخة أولها :

ألمّ المشيب فأجلى أماما وأضحت حبال هواها رماما

الباب الرابع : رسالة في المجون والدعابة للقاضي الفاضل ٠

الباب الخامس : أرجوزة في المجون لأبي محمد الحسن بن وكيع التنيسي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعتَ في ذاك على الخبير

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الحمير وأخبار حسان :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الغضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم ٠

الباب التاسع : قصيدتان في المجون لأبي الرقعمق مطلع الأولى :

عاذلَ كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني

ومطلع الثانيــة :

عَدِّ عن قال وقيل وصعود ونزول

الباب العاشر : رسالة كتبها العتبي إلى صديق له قام بكتبه وكان لها خطر فقمر ٠

(١) بعاذين قرية من قرى حلب ٠

الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب .

الباب الأول : أرجوزة في نظائر[1] القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج القارئ أولها :

الحمد لله على ما ألهما من حمده فما يزال منعما

الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة .

الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض .

الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي .

الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر سنة ٦٢٢ أولها :

الحمد لله القديم الأولِ بلا ابتداء والأخير الأزلي

الباب السادس : رسالة يعقوب بن اسحق الكندي الى بعض الخلفاء في جواهر السيوف .

الباب السابع : ملحة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النحو أولها :

أقول من بعد افتتاح القولِ بحمد ذي الطول الشديد الحولِ

الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي في خواص الحيوان والأشجار والأحجار والصموغ والعزائم .

الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج أولها :

قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ وعوَّر الرحمنُ مَنْ وَلّى العَوَرْ

الباب العاشر : كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي .

الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي الى ولده أولها :

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

ألوى بعزم تجلدي وتصبري   نأي الأحبة واعتياد تذكري

الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الديوان الإمامي الناصري .

الباب الثالث : قصيدة للسري الرفّاء كتبها الى أبي اسحق الصابي يشكو سرقة الخالديّين لشعره ويذكر إغارتهما عليه ويحذره منهما أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحـاقِ   غارة الشعر والمعـاني الدقاقِ

الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دفاتره .

الباب الخامس : قصيدة للسامي يشكو حاله وسقطةً في سكره أولها :

محاسن غضت ناظري من تعتّبا   وفضلٌ نهاني وصفه أن أشببا

الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .

الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانةً لحقته وزمانه وعجزه وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :

إذا ما تعدتْ بي وسارت محفةٌ   لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ

الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظّمه ....

الباب التاسع : قصيدة لعمارة اليمني في الشكوى كتبها الى صلاح الدين الأيوبي أولها :

أيا أذن الأيام إن قلتُ فاسمعي   لنفثـة مصدورٍ وأنة موجعِ

الباب العاشر : حديث مزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى الهادي وهرون الرشيد .

الكتاب الحادي عشر : في التهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة ويهنيه بمولود أولها :

سل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى

الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الإمام المستضيء يهنيه بفتح مصر .

الباب الثالث : قصيدة لأحمد بن محمد الخياط الدمشقي يمدح فخر الملك بن عمار يهنيه بالعيد أولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يختال في ثوبي هوى وصبا

الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشخباء الى أمير الجيوش يهنيه بكسر طرر بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ابرون بن مهرد ؟ العماني يمدح مؤيد سلطان بن مكرم ويهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :

حسامك ماضٍ والملوك تجانبه وجدك عالٍ والسعود تناسبه

الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن أزدشير يهنيه بعودة الوزارة إليه .

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هانئ (الأندلسي) المعروف بن المغربي يمدح بها جعفر بن علي ويهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :

بلى هذه تيماء والأبلق الفردُ فسل أجات الأُسد ما فعل الأُسدُ

الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عبّاد .

الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشخباء .

الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

(والمراد بالمثلث هنا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)

الباب الأول : قصيدة للبعيث يتغزل فيها ويفتخر ويهجو أولها :

أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بناصفة الجوين أو جانب المجلِ

الباب الثاني: رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء .

الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان) وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف العجلي أولها :

وليلة جمعٍ لم أبت ناسياً لهـا وحين أفاض الناس من عرفاتِ

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالزُ فذات الغضى فالمشرفات النواشزُ

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد وِردَ الغيِّ عن صدَره وارعوى واللهو من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الخصيب بن عبد الحميد ويصف الطريق أولها :

أجارة بيتينـا أبوك غيورُ وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

الباب الثاني : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير كتبها الى بعض الكتاب وكان قد أهدى إليه دواةً جعل داخلها قلماً وسكيناً ومقطاً .

الباب الثالث : قصيدة لخلف بن حيان المازني في وصف الفرس أولها :

نأتْ دارُ سلمى فشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

الباب الرابع : ولاية الحجاج على العراق •

الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :

قد وجدنا خطى الكلام فساحا وجعلنا النسيب منك امتداحا

الباب السادس : وصف الأسد لأبي زبيد الطائي •

الباب السابع : قصيدة لحيص بيص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرمى :

كأن مرماه مغناطيس أنصله ففيه قبل انتحاء القصد تسديدُ

الباب الثامن : في وصف العشق •

الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبحتري أولها :

أجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوبا

الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف •

الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر •

الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق ويعتذر إليه من هجو بلغه عنه أولها :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بعدي ومحّتْ كما محّتْ وشائع من بُرْدِ

الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرة كَسِرَها في بعض بلاد العجم •

الباب الثالث : قصيدة لصردر يعتذر عن تأخر الزيارة •

قد آن للماطل أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمرضا

الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحي أيام وزارته بحلب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليجعل له دار علم •

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالديّين أولها :

نيل المطالب بالهندية البترِ لا بالأمانيّ والتأميل والقدرِ

الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخباء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .

الباب السابع : قصيدة لأسامة بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما عرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

الباب الثامن : رسالة القاضي الفاضل الى عبد المؤمن صاحب المغرب .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان صبرك للوشاة معرّضا لم أغض من دمعي على جمر الغضا

الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .

الكتاب الخامس عشر في المخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لابن المباربة أولها :

حيّ على خير العملْ على الغزال والغزَلْ
على العذار والكفلْ على العناق والقبَلْ
على رياض قطربلْ

فإنها جنانُ ما مثلها مكانُ
الروحُ والريحانُ والحور والولدانُ
والوقت فيها معتدلْ

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء مبنية على حروف غير معجمة .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي خمّسها مؤيد الدولة (أسامة) بن منقذ أولها :

أسائقها للبين وهي عجولُ تأنَّ فما هذا المسير قفولُ

الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة .

الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :

ويلاه من روّاغ بجوره يقضي

الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرقية عن الملك العادل .

الباب السابع : تخميس قصيدة قيس بن ذريح التي أولها :

سقى طلل الدار التي أنتم بها حناتم وبل صيّف وربيع

الباب الثامن : فصول لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة مخمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :

عزّ الدواء وألحّ الداء أما لأحكام الهوى انتهاء

أصبحت فيما حكم القضاء قضيتي قضيةٌ عمياء

يا رب غفرانْ

الباب العاشر : فصول للشريف الرضي .

الكتاب السادس عشر في الخطاب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان .

الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها الى الصاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :

إلى الله أشكو ضنىً شفّني وكم قبله من ضنى قد شفاني

فكتب إليه الصاحب مجيباً بقصيدة أولها :

عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني

الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بها إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وجوابها :

الباب الثالث : قصيدة لابن الهبارية كتبها الى الرئيس البارع أبي عبد الله ابن الدباس أولها :

يابن ودي وأين مني ابن ودي أخلقتْ ظرفه الرياسة بعدي

فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصلتْ رقعة الشريف أبي يعـلى فقامت مقام لقياه عندي

الباب الرابع : رسالة للصابي كتبها عن الوزير محمد بن بقية إلى القاضي أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على سبيل الهزء ، وجواب القاضي ابن قريعة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجدهِ شوق يفوت الوصف أيسر حدهِ

فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسي فداؤك والورى من بعدهِ جردت سيف صبابتي من غمدهِ

الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير الى الصاحب بن عباد وجواب الصاحب ٠

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق في العـلم على زعمه شيوخ الزمانِ

فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

مَن عذيري من الغويّ المانيّ منكر الحق جاحد الفرقانِ

الباب الثامن : رسالة للصابي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي وقد توجه إلى عمان وجوابها ٠

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي الى الصاحب بن عباد أولها :

إذا الغيوم ارجحنّ باشقها وحفّ أرجاءها بوارقها

فأجابه الصاحب بقصيدة أولها :

بدت عذارى مدت سرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها

الباب العاشر : خطاب من داعي الدعاة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء المعري وجوابه .

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني ما نسخته :

«تم كتاب جمهرة الإسلام

ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه

تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري

وكان الفراغ من نسخه في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال

من شهور سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة الطاهرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق نصوصه الى جهد ودقة وروية .

خليل مردم بك



مصطلحات الاجتماعيّات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دلبس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده مَعْشَبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى اليّ رسالة بالفرنسية نُسخت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملةٍ من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفةٍ تعريفاً علمياً موجزاً ، ومرتبة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير لأهم ألفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes
de Sociologie Végétale
« Phytosociologie »

ويغلب على ظني أن المشار اليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيرا .

وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، وضمّنت الطبعة الثانية من «معجم الألفاظ الزراعية» عدداً منها (١) . وقد رأت لجنة مجلة مجمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتيذ النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

---

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه « جملة من المصطلحات النباتية » والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعة هي الراجحة في نظري ، ولكنها تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، فربما أدى فرط التقصي الى أن يُبدل ببعضها ما هو أصلح منه .

ولقد حاولت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلا . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبة لأنها وُضعت لأساتذة النبات لا لجمهرة القراء :

Abondance وَفرة . غَزَارة . — تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشتمل عليها مجموعة من النبات .

Acaule لاساقيّ . — نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكأن الأوراق قد وُلدت من الجذر .

« Accessoires « Plantes نباتات تابعة أو ثانوية . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

« Accidentelles « Plantes نباتات طارئة . — النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . — وَحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

« Anémophiles « Plantes نباتات رِيحِيّة التَّلْقِيح أو الإلقاح . — النباتات التي تنثر الريحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البُيَيضة « البُذَيرة » في مدقة الزهرة .

« Antarctique « Région منطقة جنوبية . — منطقة نباتية تقع جنوبيّ الدرجة السادسة والأربعين .

Anthèse تمام التزهير أو التنوير . — الوقت الذي تنمو وتتفتح فيه جميع أجزاء الزهرة .

« Anthropophiles « Plantes نباتات أليفة الإنسان . — الأنواع النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أوالف الإنسان في منطقة مّا هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .

« Aridité « indice d' دليل القحولة . — صيغة تستعمل في الجغرافية النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{١٠ \times ح}$$

ق = قحولة

م = المطر المتوسط السنوي

ح = الحرارة المتوسطة اليومية

Association مجموعة . — جماعة من النبات لها مفهوم نباتي معين ، وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .

« Basiphiles « Plantes نباتات أليفة القواعد . — تسمى أيضاً عدوة الكلس Calcifuges فراجعها .

« Biologique « Spectre طيف أحيائي أو بيولوجي . — تمثيل بياني للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في جماعة نباتية أو في منطقة معينة .

وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرّفه رُنكر Raunklaer سنة ١٩٠٥ تُصنف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanérophytes ،

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes، والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزرية Thérophytes (راجع هذه الكلمات) .

« Facteurs » Biotiques عوامل حَيَوِيّة أو أحيائية . — العوامل التي يتعرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالتكافل ، والتطفل ، والتنازع بين الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

« Plantes » Calcicoles نباتات أليفة الكلس . نباتات كلسية . — النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكلس فيها كبير .

« Plantes » Calcifuges نباتات عدوة الكلس . نباتات لا كلسية . — النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كلسها قليل .

« Plantes » Caractéristiques نباتات مُتَمَيِّزة . صيغة تستعمل في تعيين نوع الألفة « Fidélité » انظر هذه الكلمة » . والنباتات المتميزة ثلاثة أشكال : مانعة أو محصورة Exclusives ، ومُنْتَقِية Électives ، ومُرَجِّحة Préférantes « انظر الفرنسيات » .

« Plantes » Chamephytes نباتات لاطئة — . نباتات تكون براعمها الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

« Plantes » Cheiroptérophiles نباتات خُفّاشية التلقيح . — نباتات يزور الخفاش أزهارها فيسهل تلقيحها .

« Plantes » Chionohpiles نباتات ثلجية . — نباتات تحمل البرد وتستطيع النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكُوَر . كُوَرِيّات . — شعبة من علم الاجتماع النباتي تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمتعضيات، وبتجمعات هذه المتعضيات[1] .

(١) الكُوَر جمع كورة العربية أو قل المعربة قديماً . والفرنسية من اليونانية بمعنى علم الكور أو الأقطار أو الأصقاع .

Climax قِمَّة . أَوْج . — منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها المترقي . وهو التجمع الإقليمي النهائي .

وتُدْرَك القمة «أو الأَوْج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم .

Compagnes « Plantes » نباتات مرافقة . — درجة من درجات الأُلفة Fidélité فراجعها .

Constance إِطّراد . — وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في بيان مجموعة نباتية . وفي صيغة الاطراد هذه تصنَّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف : مُطَّرِدة Constantes ، وتابِعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles (انظر الكلمات الفرنسية) .

Constantes « Plantes » نباتات مُطَّرِدة . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة (انظر Constance) .

Cryptophytes « Plantes » نباتات خَفِيَّة . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية في التراب . وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ، ونباتات مَنْقَعِيَّة أي نباتات المناقع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes . (انظر الفرنسيات) .

Dispersion تَبَدُّد . تَبْدِيد . — صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل في بيان تَوَزُّع الأنواع النباتية . ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً أو قل كفائياً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتماليَّات ، ويكون التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم وبساتين الفواكه ، ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة .

Dominance غَلَبة . تَغَلُّب . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعاً .

Écologie علم البيئة . بيئيّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والإقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .

Ectodynamomorphes «Sols» تُرَب خارجية التكوُّن أو التَّشكّل . — الأتربة التي يكون تكوُّنها تابعاً على الأخص للإقليم وللنباتات المرتبطة به . وهي التُّرَب «الناضجة» التي تكون في مناطق النبات الإقليمية .

Édaphiques « Facteurs » عوامل تُرابيّة . — عوامل مؤثرة في كيان النباتات ، تُعزى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزياوية — الكيمياوية .

Électives « Plantes » نباتات مُنْتَقية . — نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصةً في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهَد أيضاً في جماعات أخرى .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité (راجع الفرنسية) .

Endémiques « Plantes » نباتات مُتَوَطّنة أو مُسْتَوْطِنة . — نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .

Endodynamomorphes «Sols» تُرَب داخلية التكوُّن أو التَّشكّل . — الأتربة التي تتكون من تفتت الصخرة الأم خاصةً . فالصحاري ، والتُّرَب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .

Entomophiles « Plantes » نباتات حَشَرِيَّة التلقيح . — النباتات التي يكون تلقيحها وقفاً على حشرات تحمل اللقاح الى سمات الزهر .

« Epiphytes « Plantes نباتات مُمَايِشة أو مُلازِمة . — النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة تُنشِبها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طَبَقات النبات . — مُسْتَطِيلات أو نُطُق من النبات من انواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .

« Étrangères « Plantes نباتات غريبة . — أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الأُلفة Fidélité فراجعها) .

« Exclusives « Plantes نباتات مانِعة أو مُنْحَصِرة . — الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الأُلفة Fidélité فراجعها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجعها .

Facies végétal هَيئة نباتية . — المنظر العام لنبات منطقة بعينها .

Fidélité أُلفة . — اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشوف » الاجتماعيات النباتية .

ويجعلون الأُلفة على خمس درجات : (١) النباتات المُنْحَصِرة أو المانِعة Plantes exclusives، (٢) والمُنْتَقِية Électives، (٣) والمُرَجِّحة Préférantes، (ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques) ، (٤) واللامُبالِيَة Indifférentes ، أو قل المرافقة Compagnes ، (٥) والطارئة Accidentelles، أو قل الأجنبية Étrangères (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تَواتُر . تَرَدُّد . — النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيات النباتية .

Géophytes « Plantes » نباتات أرضيّة . — نباتات خفيّة Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .

Halophiles « Plantes » نباتات ملحيّة أو أوالف الملح . — الأنواع التي تعيش في أتربة كثيرة الملح أي كلورور الصوديوم . وتكثر منابت النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .

Halophytes نباتات ملحيّة . — اسم يطلق على أوالف الملح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .

Hékistothermes « Végétaux » نباتات الصرود . — أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .

Héliophiles « Plantes » نباتات شمسيّة . — أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .

Hélophytes « Plantes » نباتات المناقع . — نباتات خفيّة Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حمأ المناقع .

Hémicryptophytes « Plantes » نباتات نصف خفيّة . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأعضاء مصونة بحراشف أو بحطام من الورق .

Holarctique « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . — أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شماليّ البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسية ما يقع في سيبرية وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندة .

Hydrophytes «Plantes» نباتات مائيّة . — النباتات الخفية Cryptophytes (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

Hygrophytes « Plantes » نباتات الرُّطوبة . نباتات البيئات الرطبة . — النباتات التي تكيفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة .

Indifférentes « Plantes » نباتات لامُبالية . — النباتات المرافقة Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية .

ويُستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة Fidélité أي فراجعها .

Landes نبات البَرَاح . — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُوِّرت لنفاد خصبها [١] .

Malacophiles « Plantes » رِخْوِيَّة التلقيح . — النباتات التي تقوم فيها بعمل التلقيح حيوانات من الرَّخويات المُعدِيات الأرجل .

Maquis غَيْطَلَة [٢] . — تطلق الفرنسية على الحرَجة المختلطة في التربة الرملية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالبهش أي بلوط الفلين مثلاً ، أنواعٌ مختلفة من الجنبة تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ما تكون ملتفة .

Mégathermes « Végétaux » نباتات الجُرُوم . نباتات الحرّ . — النباتات التي تحتاج دائماً الى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية .

Mésologie ميزُولُوجية . — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها [٣] .

Mésophytes « Plantes » نباتات الرطوبة المعتدلة . — نباتات لا تستطيع العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة . وهي فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ، ولا في جملة نباتات الصحراء .

---

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين، وعلى نباتاتها. والبراح اصطلاح من وضعي.

(٢) الغيطلة اصطلاح من وضعي .

(٣) كثيراً ما تستعمل الفرنسية مرادفة لعلم البيئة Écologie .

Mésothermes « Plantes » نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

Messicoles «Plantes ou Associations» نباتات أو مجموعات زَرْعِيَّة . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (وتسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببقعة أو بمنطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لحرجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لحرجة من البلوط .

Microflore نباتات دقيقة . — النباتات المكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

Microthermes « Végétaux » نباتات البَرْد أو القُرّ . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

Nitratophiles « Plantes » نباتات نِترَاتية أو أليفة النِّتْرات . — نباتات تعيش في الزبل المتخَرِّب وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوطاس ، ولذا سُميت أليفة النترات .

Ordre رُتبة . — وحدة عليا في الاجتماعيات النباتية . وهي جملة من الرابطات Alliances (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Ornithophiles « Plantes » نباتات طَيْرِيّة التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فتسهل تلقيحها .

Orophytes « Plantes » نباتات القِنان أو الضُّهور أو الأعْلام . — النباتات التي تنبت على قنة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .

Pédologie علم التراب . تُرابيّات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

(١) التربة في مكانها : الآفاق المتتابعة للتربة ، وبنيتها ولونها وشكلها ونباتها .

(٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزياوي والكيمياوي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوئي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .

Périodicité دَوْرِيّة . — مدة تَمَثُّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكننا من تقدير تزاحم الأنواع في دورة نباتية .

PH (ت ١٠٠) أو PH . — رمز تفاعل التربة (القلوية — الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات[1] H ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .

Phanérophytes « Plantes » نباتات بارِزة . — نباتات شجرية أو جَنْبِيّة[2] تكون أعضاؤها النابتة (أي براعمها) في رؤوس نوامٍ تعلو أكثر من ٢٥ سنتيمتراً فوق الأرض .

Phénologie « Phénoménologie » علم الظواهر . ظاهِرِيّات . — دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتّح البراعم ، الإيراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .

Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . — دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .

Phytogéographie جغرافية نباتية . — جغرافية النباتات ودراسة توزُّعها على سطح الكرة الأرضية .

Phytoplankton نباتات مَغْمُورة أو مُعَلَّقة . — جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقةً في المياه الحلوة أو المالحة[3] « لا طافية ولا راسبة » .

(١) اليونة تعريب ion ويسميها بعضهم الشاردة .
(٢) نسبة الى جَنْبة أي Arbuste .
(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية ٠

Phytosociologie علم الاجتماع النباتي ٠ اجتماعيّات نباتية ٠ — دراسة المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) ٠ والقوانين التي تنظِّم اجتماع الأنواع في مجموعات ٠

Planktoniques « Associations » مجموعات مُعَلَّقة ٠ — مجموعات النباتات المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة ٠

Pollinique « Analyse » تحليل لَقاحيّ ٠ — طريقة تُعَيَّن بها النسبة المئوية لحبات اللقاح ، في المستويات المختلفة من المَخَثّات (المَطْرَبات Tourbières) ٠ وهذا التحليل اللقاحي يسهل الكشف عن تأريخ النبت في العصور الجيولوجية الغابرة ٠

Pozdol بُزْدُول ٠ — (معربة) يطلق هذا الاسم على أتربة ضاربة الى بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية ٠ والبزدولات أو قل التُّرَب الرمادية مختصة بالأحراج ٠

Préférantes « Plantes » نباتات مُرَجِّحة ٠ — هي نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثرة كبيرة أو صغيرة في جملة مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة ٠ (اصطلاح يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) ٠

Profil جانِبيّة[1] ٠ — طريقة تصوير نَهجي لمقطع من الأرض ؛ وهو يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل في العامل السائد ٠

Progressives « Séries » مُتَسلسلات مُتَرَقِّية ٠ — متسلسلاتُ مجموعاتٍ نباتية تسير في اتجاه القمة « أي الأوج Climax » ٠

(١) الجانبية عن مجمع اللغة العربية ج ٤ ، وكذلك النهج بمعنى Schéma .

« Séries » Regressives متسلسلات متدنية . — متسلسلات مجموعات نباتية تبتعد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيانُ الاجتماع النباتي . بيانٌ « أو كشفٌ » اجتماعيٌ نباتي . — العمل الرامي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والتواتر والألفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

« Plantes » Rudérales نباتات الدِّمن . خَضْراء الدمن . — النباتات التي ترجح العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

« Plantes » Saprophytes نباتات رِمِّيَّة . — النباتات التي تعيش على المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخيوط من الأمشاج الفطرية غالبا .

Savane سَوَانة (١) . — يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي تتاخم منطقة الأحراج الاستوائية .

Savart ساوار (٢) . — أرضون لا تزرع تُتَّخذ مراعيَ . والنباتات المختصة بالساوارات تنبت غالباً في أتربة كلسية .

« Plantes » Saxicoles نباتات صَخْرِيَّة . نباتات الصخور . — النباتات التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

« Plantes » Sciaphiles نباتات ظِلِّيَّة نباتات الظل . — النباتات التي تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

« Plantes » Sclérophylles نباتات صُلْبة الوَرَق . — نباتات أوراقها غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتا .

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأنتيل وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من الاسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شمپانية من أعمال فرنسة على الأراضي الطباشيرية الفقيرة وقد عربناه .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعيّة . — الشكل الذي تتجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصَنَّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

(١) النباتات المنفردة	Plantes isolées
(٢) النباتات المجمعة فِرَقا	〃 en groupes
(٣) 〃 〃 قطعا	〃 en troupes
(٤) 〃 〃 مستعمرات صغيرة	〃 en petites colonies
(٥) 〃 〃 عمارات	〃 en peuplements

Stade de végétation طَوْرُ النبات . — كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سهْب . — اسم يطلق على المروج الواسعة في روسية الجنوبية . وتكون النجيليات أهم نباتات السهُوب .

Stratification تَطَبُّق . تَنَضُّد . — تصنيف بدائي للنباتات تُقسم فيه أقساماً أربعة :

الطبقة الشَّجَرية	Strate arborescente
〃 الجَنْبيّة [1]	〃 arbustive
〃 العشبية	〃 herbacée
〃 الطحلبية « الحزازية في مصر »	〃 muscinale

Succession تَعاقُب . — تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بزريّة . — نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة ببزورها .

(١) نسبةً الى الجَنْبة Arbuste .

Topographiques « Facteurs » عوامل طُبُغرافِيَّة . — الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الارض وميلها ومعرضها ومياهها) .

Toundras تَنْدَرة . — (معربة) اسم يطلق على مروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

Tropophiles « Forêts » أحراج المناطق المتدلة . — يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتتألف من أشجار أوراقها مُقْبِلة .

Tropophytes « Plantes » نباتات مُتَحَمِّلة . — أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . — لفظ يدل على درجة النمو والنضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فعندما تتوفر لأحد الأنواع أصلح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .

Xérophytes « Plantes » نباتات صَحْراوِيَّة . نباتات الصحراء . — النباتات التي ألفت الأقاليم اليابسة .

Xérothermiques « Associations » مجموعات صَحْراوِيَّة حَرارِيَّة . — جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation تَمَنْطُق[1] توزُّع مِنطَقِي . — توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

(١) ليس للتمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

ضوء جديد على دانتي والإسلام (١)

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرِض ، على الاكاديمية الاسبانية ، كتاب تقدم به عند انتمائه للاكاديمية (Discorso de recepcion) ، المستشرق المختص بالدراسات العربية المدعو « ميجويل آسين بلاسيوس » ، وكان في شرخ شبابه آنذاك . ولا أزال أذكر الى الآن الاثر الذي تركته في نفسي والدي قراءة الكتاب المذكور المسمى « فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية» -Escatologia musulmana en la Divina Comedia- وهو أثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة ، وكاد يبلغ حد الفزع بالرغم من أن والدي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا ؛ ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الأفق التي اتسم بها افتراض آسين ، والنتائج التي توصل اليها ، أحدثت وقعاً شديداً . ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الوضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المستشرق الشاب ، وفي نقد دانتي في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ بمرور ستمائة سنة على وفاة دانتي ، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين ، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتي ، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاستنكار ؛ هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق اليه أي سفر آخر طيلة مائة عام . ثم ما لبثت أن طفت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين ممن اعتمدوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر

(١) بحث للمستشرق الإيطالي « فرانسسكو غابريلي » ترجمه الأستاذ موسى الخوري .

ثم أخذ إيمانهم يضعف ويهن ، وكان في عدادهم والدي . وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها» ـ Historia y critica de una polemica ـ ببراهين حية مقنعة ، وشيجة الاتصال بموضوع الجدل . ثم ما عتمت حدة الجدل أن خفت وانتهى الأمر ، كعادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح .

إلا أن التحامل المبدئي على العالم « الإسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليده ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر . وكان آسين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الإيطاليين ـ وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً ـ لم يكن الباعث الوحيد على التبلد الذهني ، أو الفزع من رأي مستجد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكتشَف عنها لأول مرة ، وانما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه يد الانتقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليها شك أو نقد حتى ذلك الحين . وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيجة المستمرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتزاز الإيطاليين بالاصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتزاز نتيجةً لنظريته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الايطالي أكثر من أي دافع آخر سواه .

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الايطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول افتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الايطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوربة ، هي التي تأبى علينا ، نحن معاشر الايطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

لا تمت بصلة الى سمو فن دانتي وصفته الشعرية الفذة ، حتى لو كان دانتي مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الإيطاليين من عشاق الشعر أن يخطر ببالنا قط أنه قد ينشأ عن هذا أي انتقاص ، مهما ضؤل ، لعظمة دانتي في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، ألا وهي الناحية الشعرية . فدانتي الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تجريح ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ؛ والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدركوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجهت الى كتاب آسين كانت تتصل بمناح أخرى غير هذه التي ما كانت لتعتبر وجهة نظر شرعية محققة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان دانتي يعرف من اللغة العربيـة ما يؤهله الاطلاع على المواد التي استطاع آسين البحاثة العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الإسلامي ؟ وكيف تيسر له الاطلاع على انتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالغموض والإبهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكاتبين أو أي انتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند دانتي كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون دانتي قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حق العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الاسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحتمال لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون « أليغيري دانتي » قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بايطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتعمق لا مثيل لها ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وايطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفاً الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها . ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية) ، نشرا خلال هذه السنوات النصين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في ايطاليا في القرن الرابع عشر ؛ وهكذا تظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسميت هذا الكتاب الفذ كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقاً للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والايطالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقعاً بل محتوماً - في بلاط الفونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابرهيم الفقين ،

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزمن غير طويل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المعراج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابرهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا ڤنتورا من أهل سيينة نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة احداهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في ايطاليا ، وجوزيه مونوز سندينو في اسبانيا .

واذا استثنينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا ڤنتورا سيينة شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنحن نجد بين أيدينا في الحالتين ترجمة أمينة حرفية ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، لمؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلَّف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائعاً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشفوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آسين في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بتناسقه وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل يوقظ محمداً من نومه في مكة ، ويأمره بامتطاء البراق ، ذلك الجواد المجنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج [١] ويجتاز سبع سماوات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصحّ رواية ولا دراية . (لجنة المجلة)

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ، ثم يزور الفردوس ويرى ما فيه من مباهج الطبيعة والمحبة ، ويتسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم [1] ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهنم ، ويطوف بأطباقها ودركاتها السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعبثاً يحاول لدى عودته الى الأرض اقناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس [2] بناء على طلبه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي الكتاب فحسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسبيح والصلاة) ، بل لخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فاذا ما جرد النص من حلة اللغات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فاننا نجد فيه العقيدة الإسلامية الشعبية في الموضوع محفوظةً بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن نتتبع ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وايطاليا . وبناء على ما بيّنه شيرولي فان كتاب ابرهيم الفقين المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل الينا هو المصدر الذي أخذ عنه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

(١) إنما فُرض الصومُ في السنة الثانية من الهجرة ، فبينه وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة المجلة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمعراج) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة المجلة)

الضافيـة عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت في كتابه « Sobre La Seta Mahometana » الذي أشار اليه آسين وجعله مصدراً يحتمل أن يكون دانتي قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فان المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب بونا فينتورا ، وجميعها من مطالع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانية في شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينيـة المحفوظة بباريس) ، والى انكلترة (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروفنس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalæ) ما لبث أن شق طريقه الى ما وراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخلينا عن فكرة نقله على يد برونيتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فاننا نعثر على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما يثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذينك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسسكاني روبرتو كاراكشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كأس الايمان (Specchio della Fede) خلاصة لما وصفه هو « بالكتـاب الذي يدعوه المسلمون بالمعراج وبلغة العرب سلم محمد » . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وانه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر التوسكاني فازيو ديغلي أوبرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتي من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دتاموندو (Dittamondo) الفردوس كما تخيله المسلمون ، منوهاً بكتـاب المعراج في قوله :

« ولكنه في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي يدعى المعراج

يسرد ترتيب طعام الطوباويين

ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) ... »

ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من أبيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !

وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير أدق ايطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ، عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أيّ شاء أن يقرأها بالاسبانية أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية . وما من شك في أن « ڤازيو » قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي لا تعَدُّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ، يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن ڤازيو وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوحي به تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي ثبتت تأريخياً . إن التعصب القومي الثقافي ـ أو كما أوثر أن أفسر هذا التعصب بقولي التبلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دليل إيجابي ـ لم يعد يقوى على إنكار الافتراض الدال على الذكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن مجهولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسين (ما دام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة دانتي ؟ وأود أن أكرر قولي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعة فحسب بل ملائمة وواجبة . واذا كان البحث فيما اقتبسه دانتي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية للحكم على دانتي بصفة كونه شاعراً ، فانه عظيم الأهمية لايضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأساسي لروحه وطرائق انتقائه ودمجه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين «مضمون» ـ وهنا استعمل الكلمة بمعناها المألوف في فن الشعر ـ رؤيا دانتي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملهمة ؟ وهل يستطيع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي يكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الايطالي .

ان هذه الناحية لأكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة الى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لاتعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال يد التحسين والتجميل ، وأضفت عليه صفة البهاء الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

لا لبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم دانتي ، هما دليلان كافيان لأن يثبتا بصورة آلية الاعتماد المباشر للاّحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباهج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تبهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينقصها هو البرهان على وسيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الاسلامية ، مهما غمض الشبه بينه وبين رؤيا دانتي ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قُلْ رابطة بين السبب والأثر . وفي هذه الحال فالكوميديا الإلهية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كُيِّفت أعمدته الشرقية المراكشية بما يتلاءم هو ومذهب التثليث المسيحي .

أما شيرولي فانه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضمر أي تحيز قومي) ؛ وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، واحتمال اطلاع دانتي على هذه الكتب ، يكفيان في حد ذاتهما ليضعا بين أيدينا الدليل على شاعرية دانتي وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « دانتي والإسلام » بالذات إلاّ في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وكتّاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحلل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الإسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات يولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليمو دالقارينا الى جان دوڤيرتي وغوغليمو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس يورن الى روجر بيكن . وتبرز من هـذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوّره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر للمسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطربت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تجهله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الضبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هـذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسّر الكبير للعالم الإسلامى الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدال على القيمة الفريدة الفذة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتي والإسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلٰهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتي بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للأبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) والبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ؛ واذا وجدت هذه المقتبسات فانما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلا بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر الى أن دانتي كان العالم الكبير والمفكر المتسع الثقافة (Clerk, Scholar) فان بعض الفكر الإسلامية الفلسفية والأخلاقية ـ وخاصة المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية ـ قد تسربت الى شاعرنا بمعزل عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعابيره عن النور ، المشار اليها اشارة صريحة في كتاب (Convitio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد الى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحى عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً الى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

لقد أجاب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بمنتهى الحكمة وذلك مراعاة منه لا لمؤيدي دانتي بل للحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتي أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يُفترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقده الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة تسمو بصدق العقيدة والحذق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية ، على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المنقصة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملهمته بياتريس « ما لم يُقَل في أحد من قبل » . وفي نطاق هـذا التأثير العام نستطيع أن نعزو إلى السابقة الاسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم مفسِّر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتي وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون واللون المحلي الخاص لأقوال إله الجحيم بلوتوونمرود أو نمبروتي تلك الأقوال الغريبة التي تعيد إلى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السيل الدافق من المتشابهات بين دانتي وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هـذه المتشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متحد بالمصادر الأخرى العديدة للالهام التي كانت قريبة المنال لدانتي ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنهـا المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والإنجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووهم) ، تلك المصادر التي

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسَهُ الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صوّره دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية لملَك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عالياً حتى يداني عرش الإله وينشد مسبحاً بحمده ومجده[1] . وكذلك فمن الواضح أن السلّم الالهي الذي يستقدمه الاله (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحي في المقام الأول من سلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الالهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتـاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكمة على الجسر الدقيق المسمى بالسراط ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تنفغر فاها ، فهي تبدو في نظر شيرولي مماثلة للمحاكمة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الاسلامية لوصفه وصفاً أقرب الى الحس وأكثر إيحاءً ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الايحاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير اليها دانتي بقوله :

لعل الذين أطنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم
قيـام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده
إنما حلموا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر الى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعه الشعرية الثلاثية الخالدة النابة الالهية كثيفة ونابضة بالحياة ، ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أن ينكر

(٢) ليس في الإسلام نص في هذا . (لجنة الجلة)

إنكاراً تاماً ما حصل عليه شاعرنا من إلمام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباهج) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صبيانية ، ويفبوع مزدوج يتحول في قصيدة دانتي الى نهري « ليث » و « يونوي » ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشغف . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متحداً بمناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يمليه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطلب إلينا اعتباره مصدراً رئيسياً وموجهاً للالهام . وإننا لنتساءل : ترى هل كان على دانتي أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليحلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي بياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يمر شيرولي مراً سريعاً خفيفاً بهذا الخضم الواسع من المتشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاً منها ازاء مبدئه الأساسي ، وهو ما نردده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن دانتي وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن دانتي اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقي غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأساسية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين دانتي وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طليطلة (Callectio Toletana)] يجب أن

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أنَّ دوافع الالهام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، مختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . ويوضح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأساسي في الروح ، هـذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لبيضة كولمبس من طبيعة الوضوح الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجملها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للإيمان في عقيدة الخلاص الاسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والمحبة في العقيـدة المسيحية كنقيض لمشيئة الله التعسفية [1] التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الاسلام ، واختلاف قيمة الصلاة بين الطقوس الاسلامية الالزامية المضنية [2] من جهة وقوة المحبة الحية التي تفعل فعلها مع العدالة الالهية في الصلاة المسيحية . فليس باستطاعتنا اذن أن نتحدث عن انموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقـال المادي لصور وفكر معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الالهام الأساسي والموقف الأساسي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الايطالي لكتاب المعراج يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرّس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أنشئ هذا البناء الرائع في سبيله ، ولكن لكي نقدم مثالاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ الى ذلك العمود العربي الاسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

---

(١) ليس في الإسلام مشيئة تعسفية ، ولا إكراه ولا إلزام ، بل في القرآن الكريم « لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة المجلة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتمل أكثر من خمس دقائق ، وأما القداس الكنسي ففيه طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة المجلة)

ونعني به كاتدرائية بيزا ، حيث ما زال العمود المذكور يشهد بفن مجيدٍ آخر بعد أن أخذ عرضاً ونتيجةً لحادث معين خاص واستخدم في إعطاء شكل رسمي ظاهري لمثل أعلى يختلف عنه في الناحية الدينية ، والشكل الظاهري .

إن أحدث دراسة شاملة للمشكلة القديمة التي أثارها آسين لأول مرة وأعيدت دراستها الآن على ضوء أحدث اكتشاف في الموضوع يؤدي بنا الى النقطة التالية : وهي كما أسلفنا أن العالمين اللذين ترجما كتاب المعراج هما أبعد ما يكونان عن الاتفاق في النتائج التي توصلا إليها وفي أسلوب استخدامها لترجمتيهما . أما تقرير أي الاثنين يجب أن نتبع في موقفه واتجاهه (ويبدو من نافلة القول أن أذكر هنا أياً من المترجمين الاثنين يعتبره كاتب هذه الأسطر مصيبا) فهذا يتوقف على إدراك الناقد الفرد وحاسة الحكم الصحيح على الأمور عنـده ، معززين ، كما يجوز لنا أن نضيف ، بالاطلاع المباشر على انتاج دانتي وتفكيره وفنه ، وهو اطلاع كان آسين العظيم يتمتع به ولا ريب ، بخلاف بعض الذين رجعوا إلى كتابه . ولكننا نرى أنه ، حتى في نتائجها المتعارضة سار محررا المعراج الذي نقل إلى الغرب بفضل الملك الفونسو شوطاً كبيراً من الطريق مترافقَيْن ، والحقيقة هي أن هذا الجزء المشترك من الطريق الذي تكتنفه حقائق إيجابية لا يشوبها أي خلاف في التفسير ، هو الذي يدلنا على مدى النصر الذي أحرزه آسين بعد وفاته .

إن أستاذ مدريد الذي وقف وحده في وجه عدم مبالاة الذين يأبون التصديق وعدائهم ، أكّد أن المعتقدات الإسلامية المتعلقة بفلسفة الحشر والنشر والتي جمعها وحللها وانتقاها من أكثر مجالات الأدب العربي تباعداً ـ التقليدي منها واللاهوتي ، والصوفي والتهذيبي ، والعلمي والشعبي ـ لم تكن تلك المعتقدات تختفي وراء ستار حديدي قوامه اللغة والحضارة عن عالم الغرب اللاتيني وحبه للفضول والاستطلاع . وقد تتبع آسين الى أبعد الحدود المعروفة آنذاك وأقصاها

تسرّب هذا التراث الشرقي إلى العالم اللاتيني ، وبعد أن سدّ بدافع من الايمان الحدسي جميع الفجوات التي واجهته رأى هذا التراث يزدهر في كثير من الأحيان بمماثلات ومشابهات مدهشة في (ملحمة دانتي الملهمة) ، وهي أعظم ما وصل اليه الإنتاج الفني للعصور الوسطى المسيحية . وبدا هذا التسرب الذي تتبعه آسين مماثلاً لمجرى الفيوس الأسطوري ، اذ اختفى في أعماق أرض اسبانيا ليظهر مجدداً في إيطاليا بعد انقضاء فترة من الزمن وقد اكتسب شكلاً خالداً في شعر دانتي . وكان يكتنف مجرى هذا الجدول في باطنه غموض شديد زاد فيه أن المرء لم يكن ليعرف أي المصادر المتعددة التي استقصاها آسين هو الذي وصل بالطريق المجهولة الى الهدف غير المرتقب . أما الآن فقد اتضحت المشكلة وتبسطت في آن واحد . فتلك النصوص العميقة الغور وغير المترجمة من الأدب العربي العالي ، كمؤلفات أبي العلاء المعري وابن عربي وما ماثلهما لم تسترع انتباه دانتي بطريق مباشرة ؛ ولكنه من المحتمل أن يكون إنتاج من الأدب العربي الشعبي ، تلذ مطالعته وله طابع تهذيبي ، قد وصل إلى دانتي ووقع تحت بصره وعينيه ؛ ذلك لأنه من المؤكد أن ذلك الإنتاج (وهو كتاب المعراج) قد وصل الى البيئة التي كان يعيش فيها دانتي وانتشر في الجو الثقافي الذي كان يستنشق هواءه ، وهو أمر ثبت لدينا بعد نشر ترجمات الكتاب اللاتينية التي سبق لنا ذكرها ، والتي يرجع الفضل في وجودها الأول الى ما تحلى به ملك اسبانيا الفونسو من حب استطلاع مبدع خلاّق . وبهذه الوسائل ، وربما بها وحدها ، نستطيع أن نتحدث عن اتصال مباشر ، ، لولا ذلك ما كان ليخطر ببال ، بين ثقافة دانتي (وأعني بها ثقافة الشاعر وثقافة مجتمعه) وبين المجموعة العظيمة من الموادّ العربية التي جمعها آسين ، تلك المجموعة التي كان اتساعها وتنوعها عائقاً في طريق قبول نظريته . وخلاصة القول فقد ثبت الآن وجود هذا الاتصال غير المباشر بصورة واضحة المعالم . والى هذا الحدّ وبموجب هذه الشروط ،

يبدو حدس آسين لنا جميعاً في الوقت الحاضر ثابتاً ساطع النور . أما إذا تعدينا هذا الحد فسنجد آراء متعددة مختلفة فيما يتعلق بكيفية تفسير المختصين بدراسة دانتي للحقائق التي تم إثباتها ؛ وكما رأينا ، فهنالك من يرى أن الاتصال الذي تم ايضاح طريقه ، يثبت الدور الرئيسي الحاسم الذي يقول آسين إن فلسفة الحشر والنشر الإسلامية قد لعبته في خلق أعظم قصيدة مسيحية . ولكن هنالك من جهة أخرى أولئك الذين ، بنتيجة التمحيص والتدقيق والمقارنة الماهرة ، يعترفون بوجود اقتراحات وإيحاءات ، طابعها التعميم ، وصور ودوافع رافدة ، طابعها التخصيص ، دخلت جميعاً في روحانية وثقافة وخيال ، ليست سامية ومتفوقة فحسب ، بل ومختلفة عن تلك الاقتراحات والدوافع والصور اختلافاً تاماً جذرياً .

ومهما يكن من شيء فلنقبل الأمور التي نتفق حولها بدلاً من التشبث بالأمور التي نختلف عليها . ولنرحب باكتشاف هذه القطعة الجديدة من شبكة الثقافة الدولية للقرون الوسطى ، تلك الشبكة التي تميزت بالمتانة والصلابة والمرونة ولم تعرف الأستار الحديدية (وهذا القول يخجلنا ويبعث على الاضطراب عندنا نحن أبناء هذا العصر) ، بل اجتازت أبعد المسافات وأعظم الحواجز المادية والروحية (بفضل التعاون بين القوى الفكرية) مما تحسدها عليه منظمة اليونسكو في يومنا هذا ، وذلك بعد أن سلطت على القطعة المذكورة أنوار انبعثت عن مجهود قام به في آن واحد عالمان أحدهما اسباني والثاني ايطالي . ولنفكر مرة أخرى هنيهة من الزمن في هذه السلسلة السحرية : كتاب المعراج العربي ، ملك اسباني ، طبيب يهودي ، ومسجل عقود ايطالي ... ، وفي الصور الخيالية للآخرة التي ازدهرت بصورة غامضة في قلب شبه جزيرة العرب ، وقد أحاطت بالبحر الأبيض المتوسط ونفذت الى لغة تسكانية العذبة ووصلت أرض فلورنسة

فأسهمت في إخصاب التربة التي أنتجت زهرة الكوميديا الإلهية السامية ، هذه القصيدة المقدسة التي أحاطتها يد الأرض والسماء ، ونكرر القول هنا اننا نقصد أرض الحضارة المسيحية وسماءها ، ولكنها سماء لا تخلو من انعكاسات من السماء المرصّعة بالنجوم ، التي حلّق فيها البراق المجهول الغامض في ليلة الإسراء المقدسة عند المسلمين ، ومن أرض الإسلام وخاصةً أرض اسبانيا حيث التقت حضارتان وتمازجتا في اتحاد عجيب ، وحيث أدرك بالحدس القوي النفاذ ، عالم محب للعزلة ، قبل خمس وثلاثين سنة ، انتقالاً أدبياً رائعاً ، ثبت وجوده الآن بالوثائق المحسوسة القاطعة .

فرانسسكو غابريلي
ترجمة : موسى الخوري

العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية (١)

- ٢ -

مَن خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول

إنّ كل مَن أثبت ما أثبته الرسول ، ونفى ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح ، كما كان أولى بالمنقول الصحيح ، وإنّ من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف أيضاً صريح المعقول ، وكان أولى بمن قال الله فيه : «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» .

أنزل القرآن بلغة العرب لا بلسان الاصطلاح

(ص ٦٣) أرسل الله الرسول بلسان قومه - وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ، لم ينزل القرآن بلغة مَن قال الأجسام متماثلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ، هذا لو كان ما قالوه صحيحاً في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل ؟

(ص ١٩٤) والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول (ﷺ) ، فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والاستعارة ، ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو .

ما المراد بالعالم

(ص ٦٨) المراد بالعالَم في الاصطلاح هو كلّ ما سوى الله . فإنّ هذه العبارة لها معنى في الظاهر المعروف عند عامة الناس أهل الملل وغيرهم ، ولها معنى في عرف المتكلمين ، وقد أحدث الملاحدة لها معنى ثالثاً . (فالمعنى الأول)

---

(١) نشر القسم الأول في (المجلد ٣٢ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٤٩٢) .

انّ الله وحده القديم الأزلي ، وهذا المعنى هو المعروف عن الأنبياء وأتباع الأنبياء . (والمعنى الثاني) أن يقال لم يزل الله لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقتضي ذلك مثل أن يقال : ان كونه لم يزل متكلما بمشيئته أو فاعلا بمشيئته ، بل لم يزل قادراً (هو ممتنع) وانه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم ، وقد يحكونه عن أهل الملل ، وهو بهذا المعنى لا يوجد في القرآن ، ولا غيره من كتب الأنبياء . (والمعنى الثالث) الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا (٤٢٨ هـ) وأمثاله ، قالوا : نقول: العالم مُحدَث ، أي معلول لعلة قديمة أزلية ، أوجبته فلم يزل معها ، وسمّوا هذا : الحدوث الذاتي ، وغيره : الحدوث الزمني . والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم ، إلاّ من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى . والقول بأنّ العالم مُحدَث بهذا المعنى فقط ، ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ، ولا أمة من الأمم العظيمة ، ولا طائفة من الطوائف المشهورة .

(ص ٧١) وإن قال الملحد : بل هذا العالم المشهود قديم ، واجب بنفسه غنيّ عن الصانع ، فقد أثبت واجباً بنفسه قديماً أزليا هو جسم حامل الأعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله أبعاض وأجزاء ، فكان ما فرّ منه من إثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ، ولم يستفد بذلك الإنكار إلاّ جحد الخالق ، وتكذيب رسله ، ومخالفة صريح المعقول ، والضلال المبين .

حدوث العالم

(ص ٧٣) إن مسألة حدوث العالم اعترف بها أكابر النظّار من المسلمين وغير المسلمين ، حتى انّ موسى بن ميمون (أبو عمران) صاحب (دلالة الحائرين)

سنة ٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م) ـ وهو في اليهود كأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) في المسلمين ـ يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ، حتى الرازي (سنة ٦٠٦ هـ) وغيره من أعيان النظّار اعترفوا بأنّ العلم بحدوث العالم لا يتوقف على الأدلة العقلية ، بل يمكن معرفة صدق الرسول قبل العلم بهذه المسألة .

قيام الصفات بالموصوفات

(ص ١٧٨) المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والغزل ، وكذلك الاتصال والانفصال قائمان بمحل هو الجسم .

(ص ١٤) وليست الصفات خارجة عن مسمى الموصوف ، ولا زائدة على ذلك ، بل هي داخلة في مسمى اسمه . وكلام المتكلم ليس بائن عنه .

(ص ٢٠) وأمّا الصفات الملازمة للموصوف في الخارج فكلها لازمة له ، لا تقوم ذاته مع عدم شيء عنها .

(ص ١٧٨) والخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدّر انّ الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وان الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاصّ ، كما يتميز الإنسان بحيوانية تخصّه . كما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمّى اللون يتميز أحدهما بلونه الخاصّ عن الآخر .

الموجود بنفسه والموجود بغيره

(ص ١٩٦) فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ما سواه ، وأمّا الهيئة الاجتماعية إن قدّر لها وجود في الخارج فهي حاصلة به أيضاً سبحانه

وتعالى . وأما المجموع الذي كل منهم مفتقر إلى مَن يبدعه ، وليس فيه موجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون فاطهم واحداً منهم ، لأنه لا بدَّ له من فاعل ، ولو كان فاطهم لكان فاعل نفسه وغيره من الممكنات .

كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره ، والموجود بغيره لا يوجد إلاّ بالموجود بنفسه ، ثبت وجود الموجود بنفسه ، واذا سمّي هذا واجبا وهذا ممكنا ، كان ذلك أمراً لفظيا .

الذات مستلزمة للصفات

وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام ، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية . هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له . فاذا قال القائل : كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر الى مركّب ومؤلف ، يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلا . وانّ هنا ذاتاً موصوفة بصفات ، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى مَن يركّب صفاتها فيها . فقد علمتم أنه ليس المراد بالمركّب إلاّ اتصاف الذات بصفات لازمة لها ، أو وجود معان فيها ، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك ؛ ليس المراد أنّ هناك مركّبا ركبه غيره ، حتى يقال : إن المركّب يحتاج إلى مركّب ، بل إنّ الذات ، إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج ، فتلك مستلزمة لصفاتها ، يمتنع وجودها بدون تلك الصفات .

موافقة المعقولات للسمعيات

(ص ٢١٤) إنّ هذه المعقولات التي اضطرب فيها أكابر النظار وهي عندهم أصول العلم الإلهي ، إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها موافقة لما قاله أئمة السنة والحديث ، العارفون بما جاءت به الرسل ، وتبين أنّ خلاصة المعقول خادمة

وصحيحة وشاهدة لما جاء به الرسول (ﷺ) . ونحن ـ ولله الحمد ـ قد بينا الجواب عن جميع حجج الفلاسفة في غير هـذا الموضع ، وبسطنا الحجج في ذلك .

(ص ٢١٧) وهذا مما تبين به أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص الثابتة عن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم وهو المقصود ، والذين يعارضون الكتاب والسنة بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة ، إنما يعارضونه بمثل هذه الحجج الداحضة ، فكلّ مَن لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بواجب العلم والإيمان . وكلّ من جحد القضايا الضرورية المستقرة في عقول بني آدم التي لم ينقلها بعضهم عن بعض كان سوفسطائيا [1] .

المعقول ، مطابق لما جاء به الرسول

(ص ٢٣٢) وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنّة الذين ذمّهم السلف والأئمة ، لا قاموا بكمال الإيمان ، ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتمّ إلاّ بردّ بعض ما جاء به الرسول وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول ، فلا آمنوا بما جاء به الرسول حقّ الإيمان ، ولا جاهدوا الكفار حقّ الجهاد .

(ص ٢٣٢) وتبيّن أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه ولا يعارضه ، وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة ، وينقطع الكفار ، فتحصل مطابقة العقل للسمع ، وانتصار أهل العلم والإيمان ، على أهل الضلال والإلحاد .

وقد كنت قديماً ذكرت في بعض كلامي أني تدبرت عامة ما يحتج به النفاة

---

(١) السوفسطائية أنكروا كلاًّ من الحسيّات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كلّ منها . وسوفا معناه : العلم والحكمة ، و « اسطا » معناه المزخرف والغلط ، ومنه اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف : أي محب الحكمة .

من النصوص فوجدتها على نقيض قولهم أدلّ منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فبينت أنّ الادراك هو الاحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدلّ على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها .

إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله

وإذا تدبّر العاقل الفاضل تبيّن له أنّ إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات ، لا يمكن إلاّ بإثبات صفاته وأفعاله ، ولا تنقطع الدهرية[1] من الفلاسفة وغيرهم قطعاً باتاً عقلياً لا صلة فيه إلاّ على طريقة السلف أهل الاثبات ، للأسماء والأفعال والصفات . ففحول أهل الكلام كأبي علي (سنة ٣٠٣ هـ) وأبي هاشم (٣٢١ هـ) والقاضي عبد الجبار (سنة ٤١٥ هـ) وأبي الحسن الأشعري (سنة ٣٢٣ هـ) والقاضي أبي بكر (سنة ٤٠٣ هـ) وأبي الحسين البصري (سنة ٤٣٦ هـ) ومحمد بن الهيثم وأبي المعالي الجويني (سنة ٤٧٨ هـ) ، وأبي الوفاء بن عقيل (سنة ٥١٥ هـ) وأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التي بنوا عليها النفي ، منهم من يبطل أصولهم المنطقية ، وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضي وتقسيمهم العرضي إلى لازم للماهية وعارض لها ، ودعواهم أنّ الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضي خارج عن الماهية ، وبناءهم توحيد واجب الوجود الذي مضمونه نفي الصفات على هذه الأصول .

(ص ٢٥٩) وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بعلو الله ومباينته لخلقه بالأدلة العقلية ، وأظنه من أصحاب أبي الحسين ، وقد حكى ابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) ذلك عن أئمة الفلاسفة ، وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يختارون قيام الحوادث به كإرادات وعلوم متعاقبة ، وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه عن متقدمي الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم .

(١) الدهرية : هم المنكرون البعث والمعاد ، القائلون : « وما يهلكنا إلاّ الدهر » أي إلاّ مَرّ الليالي والأيام .

(ج ٣ ص ٦٨) إنّ الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع هي طريقة فطرية ضرورية ، وهي خيار ما عندهم ، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها ، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ، ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد ، الذين آتاهم الله الهدى والسداد .

تكليم الله تعالى لعباده

الناس متنازعون في تكليم الله لعباده ، هل هو مجرد إدراك لهم من غير تجدد تكليم من جهته ، أم لا بد من تجديد تكليم من جهته ؟ على قولين للمنتسبين إلى السنة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، فالأول قول الكُلاّبية [1] والسالمية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الأئمة القائلين بأنّ الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، بل هو بمنزلة الحياة . والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة ، من أصحاب هؤلاء الأئمة ، وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة [2] والكرّامية [3] والمعتزلة وغيرهم ، قالوا : ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذا القول ، ولهذا فرّق الله بين إيحائه وتكليمه كما ذكر في سورة النساء وسورة الشورى ، والأحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم .

الحوادث والمتجددات

(ج ٤ ص ١٧) ذكر (أي الآمدي) (سنة ٦٣١ هـ) أنّ لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم ، سواء أكان قائماً بنفسه كالجوهر ، أو صفة لغيره

(١) قال ابن كلاب ومن وافقه : كلامه تعالى صفة ذات ، لازم لذاته كلزوم الحياة ، ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته ، بل هو قديم كقدم الحياة .

(٢) لُقِّبوا بالمرجئة لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد ، أي يؤخّرون ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

(٣) تُنسب الفرقة الكرّامية إلى محمد بن كرّام (كجمّال) وقد نُسب إليه أنه كان يقول : إنّ الإيمان قول بلا عمل (مات سنة ٢٥٥ هـ) .

كالأعراض ، وسمي ما ليس بموجود كالأحوال والسلوب والاضافات (متجددات) وهذا الفرق أمر اصطلاحي ، وإلاّ فلا فرق بين معنى المتجدد ومعنى الحادث .

(ص ١٨) وأما المذاهب فيقال : لفظ الحوادث والمتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة ، وربما أفهم أو أوهم في العرف استحالات كالأمراض والغموم والأحزان ونحوها ، اذا قيل فلان حدث به حادث ، وكثير منهم يعبّر بالأحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك .

صدورها عمن لا فعل له ولا صفة محال

(ص ١٠) فقولكم - (أي الفلاسفة والدهرية) - بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عمن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً من قول من يقول : انه تارة تصدر منه الحوادث ، وتارة لا تصدر ، فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالا ، فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد استحالة .

نفاة الصفات لا مستند لهم

(ج ٤ ص ١٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلاً أن ينقل عن محمد (ﷺ) ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لا نصًّا ولا ظاهرا ، بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ، وتوافق قول أهل الاثبات ، وكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون لهم باحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهوره ، وشيوخ المسلمين المتقدمون ، لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات . فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر ، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة ، تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب

الجهمية نفاة الصفات ، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين ، ولم يكن قبل هذا يعرف من أهل الملة مَن يقول بنفي الصفات ، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى .

(ص ٦٥) وحقيقة هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، أنّ الربّ لم يزل معطَّلا ، لا يفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته . ثم انه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا ، بل إنما تحدُث صفاتٌ تقوم بها ، ويدّعون أنّ هذا قول أهل الملل الأنبياء وأتباعهم ! !

اضطرابهم في مسمّى واجب الوجود

(ص ١٨٧) واعلم أنّ هؤلاء غلطوا في مسمّى واجب الوجود ، وفيما يقتضيه الدليل من ذلك حتى صاروا في طرفي نقيض ، فتارة يثبتونه ويجردونه عن الصفات حتى يجعلوه وجوداً مطلقا ، ثم يقولون : هو الوجود الذي في الموجودات ، فيجعلون وجود كلّ ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفسه ، كما يفعل ذلك محقق صوفيتهم كابن عربي (سنة ٦٣٨ هـ) ، وابن سبعين (سنة ٦٦٨ هـ) ، والقونوي (سنة ٧٢٩ هـ) ، والتلمساني (سنة ٦٩٠ هـ) وأمثالهم ؛ وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ، ويقدرون أن يكون كل موجود ممكنا بنفسه ، لا فاعل له ، وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه ، بل هذا معلول مفعول ، وهذا معلول مفعول ، وليس في الوجود إلاّ ما هو معلول مفعول ، فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره ، فتارة يجعلون كل موجود واجباً بنفسه ، وتارة يجعلون كلّ موجود ممكنا بنفسه ، ومعلوم بضرورة العقل بطلان كلّ من القسمين ، وان من الموجودات ما هو حادث ، كان تارة موجوداً وتارة معدوما ، وهذا لا يكون واجباً بنفسه ، وهذا لا بدّ له من موجود واجب بنفسه . . . ولكن يكون ما دخل في مسمّى نفسه من صفاته لازماً له ، فاتصافه بصفاته سواء سمّي ذلك تركيبا أو لم يسمّ ، لا يمنعه أن يكون واجبا بنفسه لا يفتقر إلى

أمر خارج عنه ، ولهذا كانت صفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وإنْ لزم من ذلك تعدّد واجب الوجود بهذا المعنى ، بخلاف ما إذا عُني به أنه الموجود الفاعل للممكنات ، فإنّ هذا واحد سبحانه لا شريك له .

(ص ٢٤٨) والمسلمون متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته اللازمة لذاته ، لا يجوز عليها العدم .

(ص ١٩٤) وعامة ما يلبّس به هؤلاء النفاة ألفاظ مجملة متشابهة ، إذا فسرت معانيها ، وفُصِل بين ما هو حق منها ، وبين ما هو باطل ، زالت الشبهة وتبين أنّ الحق الذي لا محيد عنه ، هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات .

إنّ مَن شكّ في أوضح الأمرين وأبينهما في العقل ، وفي أمر لم يشكّ أحد من الأولين والآخرين فيه ، كان أولى بالجهل ممن قال ما قالت به الأنبياء والرسل وأتباعهم وسائر عقلاء بني آدم من الأولين والآخرين ، وعُلم ثبوته بالبراهين اليقينية ، وذلك أنه لم يجوز أحد من بني آدم ، وجود فاعل للعالم ، ولذلك الفاعل فاعل ، إلى ما لا نهاية له من غير أن يكون هناك فاعل موجود بنفسه ، فمن شك في جواز هذا ، أو عجز عن جواب شبهة مجوّزه ، كان جهله بينا ، وكان أجهلَ من أخش الناس ، قولاً بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم .

لا يؤخذ بلفظ مجمل مشتبه حتى يتبين معناه ، ويعلم المقصود منه

(ص ١٧٩) هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة ، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم ، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلا بنَوا بعضه على بعض وعظّموا قولهم وهوّلوه في نفوس مَن لم يفهمه ، ولا ريب أنّ فيه دقةً وغموضا لما فيه من الألفاظ المشتركة ، والمعاني المشتبهة . ولهذا يجب على مَن يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ، ويكون الكلام في المعاني العقلية المبيّنة ، لا في معانٍ مشتبهة ، بألفاظ مجملة .

(ص ١٨٠) وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك ، فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء ، لا في النفي ولا في الإثبات ، حتى يتبين له معناه .

فلسفة المعتزلة والجهمية في نفي الصفات والأفعال

(ص ١٨٧) إن المعتزلة والجهمية نفت أن يقوم بالله تعالى صفات وأفعال بناءاً على هذه الحجة ، قالوا لأن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ، وبذلك استدلوا على حدوث الجسم . . . فصاروا ينفون ما ينفونه من صفات الله تعالى لأن إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسما ، وذلك ممتنع ، لأن الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ، فلو كان جسماً لبطل دليل إثبات الصانع .

وقالت المعتزلة كأبي الحسين وغيره أيضاً : إن صدق الرسول معلوم بالمعجزة ، والمعجزة معلومة بكون الله تعالى لا يظهرها على يد كاذب . . . وغناه معلوم بكونه ليس بجسم ، وكونه ليس بجسم معلوم بنفي الصفات ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً ، ولو كان جسما لم يكن غنيا ، واذا لم يكن غنيا لم يمتنع عليه فعل القبيح ، فلا يؤمن أن يظهر المعجزة على يد كذاب ، فلا يبقى لنا طريق إلى العلم بصدق الرسول ، فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة .

(ص ١٨٩) وجمهور العقلاء ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول الى جسم آخر ، فلا يقولون إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة ، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذه القواطع العقلية ، هي التي يعارضون بها الكتب الإلهية ، والنصوص النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها . فيقال لهم : أنتم وكل مسلم عالم ، تعلمون بالاضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، لم يكن مبنيا على هذه الحجج المبنية على الجسم ، ولا أمر النبي أحداً أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ، ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئا من هذه الحجج المبنية على الجسم والعَرض ، وتركيب الجسم وحدوثه ، وما يتبع ذلك ، فمن قال : إنّ الايمان بالله ورسوله لا يحصل إلاّ بهذه الطريق ، كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل ، ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام ، لأنه باطل في نفسه لا يوصل الى حقٍ بل الى باطل . . . وان تقديم الشرع المعارض لها لا يكون قدحاً في العقليات التي هي أصل الشرع ، بل يكون قدحاً في أمور لا يفتقر الشرع اليها ولا يتوقف عليها وهو المطلوب .

أول من أظهر هذا النفي فى الإسلام

وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام الجَعد بن درهم معلم مروان بن محمد (سنه ١٣٢ هـ) ، قال الامام أحمد : وكان يقال انه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بحرّان هؤلاء النفاة الصابئة الفلاسفة أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب ، كما صنفه ثابت بن قرة (سنة ٢٨٨ هـ) وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حرّان ، وكما صنفه أبو معشر الفلكي (سنة ٢٧٢ هـ) وأمثاله ، وكان لهم بها هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل الفعّال ، وهيكل النفس الكلية ، وهيكل زحل ، وهيكل المشتري ، وهيكل المريخ ، وهيكل الشمس ، وهيكل الزهرة ، وهيكل عطارد ، وهيكل القمر .

فالعقول عندهم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك .

نفي الجبر وإثبات القدر

(ج ١ ص ٣٥) عن بقية بن الوليد (سنة ١٩٧ هـ) قال : سألت الزُبيدي (سنة ١٤٩ هـ) والأوزاعيّ (سنة ١٥٧ هـ) عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ويقدّر ، ويخلق ويجبل عبده على ما أحبّ ، وقال الأوزاعيّ : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فهذان الجوابان أحسن الأجوبة . أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري (سنة ١٢٤ هـ) فانه قال : أمر الله أعظم ، ويريدون بعضلها ـ أي النفس ـ منعها مما ترضاه . وأمّا الأوزاعيّ فانه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيُفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل .

(ص ٣٦) قال النبي (ﷺ) لأشج عبد القيس : إنّ فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة ، فقال : أخُلُقين تخلقتُ بهما أم خُلُقين جُبلت عليهما ؟ فقال : بل خُلُقين جبلتَ عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله « رواه مسلم » .

(ص ٣٩) وبذلك يتبين أن الشارع عليه السلام نصّ على كل ما يعصم من المهالك نصّاً قاطعا للعذر ، وقال تعالى : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » .

الإسلام يجمع الفِرَق ويعمُّها

(ص ٥٠) قال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضا ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أنّ الاسلام يجمعهم فيعمّهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر الأصحاب ،

وأما الفقهاء فقد نقل عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : لا أردُّ شهادة أهل الأهواء إلا الخطّابية (١) ، فانهم يعتقدون حلّ الكذب . وأما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة ... والذي نختاره أن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة .

(ج ٢ ص ٥٢) ثم إنه ما من هؤلاء إلا مَن له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الردّ على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على مَن عرَف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف .

وصف القرآن الكريم في الحديث النبوي

(ص ٢٩) رَوى الترمذي (سنة ٢٧٩ هـ) وغيره عن علي (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : إنها ستكون فِتَن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبلُ الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء .. مَن قال به صُدِّق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدَل ، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم » .

(١) الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه ، تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدّد القول في ذلك ، ... فلما اعتزل عنه ادّعى الأمر لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه (انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

الترجمة التفسيرية للقرآن

ولذلك يترجم القرآن لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة ، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ، ويترجم بالعربية ، كما أمر النبيُّ (ﷺ) زيدَ بن ثابت (سنة ٤٥ هـ) أن يتعلَّم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك ، حيث لم يأمن اليهود عليه .

إثبات الإرادة الأزلية والعلة الفاعلية والغائية

(ص ٢٠٣) الأشعرية أثبتوا السبب الفاعل لإرادة العبد ، وأثبتوا لله إرادة قديمة تتناول جميع الحوادث ، ولكن لم يثبتوا لها الحكمة المطلوبة والعاقبة المحمودة ، فكان هؤلاء بمنزلة من أثبت العلة الفاعلية دون الغائية ، وأولئك بمنزلة العلة الغائية دون الفاعلية . والمتفلسفة المشاؤون يدعون إثبات العلة الفاعلية والغائية ، ويعلّلون ما في العالم من الحوادث بأسباب وحكم ... وحقيقة قولهم : إن أفعال الرب تعالى ليس فيها حكمة ولا عاقبة محمودة ، لأنهم ينفون الإرادة ، ويقولون ليس فاعلاً مختاراً .

حدوث ما يُحدثه تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية

(ج ٢ ص ٣) حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث والله تعالى حيٌّ قيوم ، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعَّال لما يشاء ، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة ، وعلى هذا فيزول الإشكال ، ويكون إثبات خلق السموات إنما يتمّ بما جاء به الشرع ... وكل كمال وصف به المخلوق من غير استلزامه لنقص ، فالخالق أحقُّ به ، وكلُّ نقص نزّه عنه المخلوق فالخالق أحقّ أن ينزّه

عنه ، والفعل صفة كمال لا صفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدلّ العقل على صحة ما دلّ عليه الشرع وهو المطلوب .

ولمّا كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري (سنة ٢٥٦ هـ) وأبي زرعة (سنة ٢٦٤ هـ) وأبي حاتم (سنة ٢٧٧ هـ) ومحمد بن يحيى الذهلي (سنة ٢٥٨ هـ) وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحق (سنة ٣١٣ هـ) وابن خزيمة (سنة ٣١١ هـ) ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمته من أنّ الله تعالى ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، وانه يتكلم بالكلام الواحدِ مرةً بعد مرةٍ .

الكشف عن مذهب المعتزلة وبيان حقيقته

(ص ٦) كانت المعتزلة تقول : إنّ الله مُنزّه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفيُ الصفات ونفيُ الأفعال ، ونفيُ مباينته للخلق وعلوّه على العرش ، وكانوا يعبّرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب ، فانهم إذا قالوا إن الله مُنزّه عن الأعراض لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكَر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه مُنزّه عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا ريب أنّ الله مُنزّه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك ، من الصفات التي يسمّونها هم أعراضا . وكذلك إذا قالوا : إن الله مُنزّه عن الحدود والأحياز والجهات ، أوهموا الناس أنّ مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات ربّ ولا على العرش إله ، وأنّ محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب اليه شيء ولا يتقرب إلى شيء ولا ترفع اليه الأيدي في الدعاء ولا غيره ،

ـو ذلك من معاني الجهمية . وإذا قالوا إنه ليس بجسم أوهموا أنه ليس من
ـس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم
ـك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا تقوم به صفة ، ولا هو مباين للخلق
ـال ذلك . وإذا قالوا : لا تحله الحوادث أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون
ـاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين
ـهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل
ـباري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ،
ـه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان ، أو مجيء ، وأن المخلوقات التي
ـها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس
ـك فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين
ـل ونحو ذلك . وابن كلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات .

الإمام الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى

وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت
ـوّ ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويردّ على مَن تأوله
ـستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش – أي هو تعالى مستول على كل شيء
ـمخلوقاته لا على العرش وحده ، وهو العالي على كل شيء ، المحيط بكل شيء
ـجميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء .
ـان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون انهم يحتجون بالعقل لما عُرف ثبوته بالسمع ،
ـشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين ، والعقل عاضد له معاون .
ـكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يستدل
ـوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه
ـيجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة وإنْ وافق العقل فكيف إذا خالفه .
ـذه الطريقة هي التي سلكها من وافق المعتزلة في ذلك . وأما الأشعري وأئمة

أصحابه فإنهم مثبتون لها (أي الصفات الخبَرية) يردّون على مَن ينفيها أو يقف فيها فضلاً عمن يتأولها .

وأمّا مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإنّ ابن كُلاّب والأشعريّ وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوهم إلى البدعة . والصواب إنّ الله بجميع صفات ذاته واحد ، لم يزل ولا يزال ، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق .

التفاسير المأثورة مثبتة للصفات

والتفاسير المأثورة عن النبي صلوات الله عليه والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري (سنة ٣١٠ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدُحَيم (سنة ٢٤٥ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم (سنة ٣٢٧ هـ) ، وتفسير ابن المنذر (سنة ٣٠٩ هـ) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١ هـ) ، واسحق بن إبراهيم (سنة ٢٣٨ هـ) وبقي بن مخلد (سنة ٢٧٦ هـ) وغيرهم . ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق (سنة ٢١١ هـ) ، ووكيع بن الجرّاح (سنة ١٩٧) ، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى . وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبيّ (ﷺ) والصحابة والتابعين .

خلاصة ما تقدم

الردّ بعشرات الآيات على مَن يقول : إن الله تعالى لا يتكلّم إلا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلّم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل (٦٠ — ٦٣ ج ٢) وقد جاء في آخرها قوله : وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامّة ما أخبر الله به من أفعاله لا سيما

المرتبة كقوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى»، «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده»، «ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين» وآيات كثيرة كلها تدل على أفعال الله تعالى بالتعاقب والترتيب.

(ص ٦٠) وخلاصة هذا البحث الطويل الجليل هو في قوله: لكن المقصود هنا أن نبين أن القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يحصر، فمن له فهم في كتاب الله يستدل بما ذكر من النصوص على ما ترك، ومن عرف حقيقة قول النفاة علم أن القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها، وأن القرآن يثبت ما يقدر عليه ويشاؤه من أفعاله تعالى التي ليست هي نفس المخلوقات.

كلام هؤلاء الطوائف

من تدبر كلام هؤلاء الطوائف بعضهم مع بعض تبين له أنهم لا يعتصمون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلا بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض، وآخر منتهاهم حجة يحتجون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الأعراض، ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدث الذي ذمه السلف والأئمة، وقالوا إنه جهل، وان حكم أهله أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر؟ ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام؛ وكذا من عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلما ويقينا بما جاء به الرسول (ﷺ)، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنة من كلامهم الذي يسمونه عقليات، هي من هذا الجنس الذي لا يتفق إلا بما فيه من الألفاظ المجملة المشتبهة مع من قلت معرفته بما جاء به الرسول، وبطرق إثبات ذلك؛ ويتوهم أن بمثل هذا الكلام يثبت معرفة الله وصدق رسله، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمنا، فيتعجل رد كثير مما جاء به الرسول (ﷺ)، لظنه أنه بهذا الرد يصير مصدقا للرسول في الباقي.

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنّه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم . وجعل هؤلاء من المعقول أنّه يمتنع دوام كونه قادرا على الكلام والفعل بمشيئته .

(ص ١١١) فاذا خلق في الشجرة « إني أنا الله رب العالمين » ـ ولم يقم هو به كلام ـ كان ذلك كلاماً للشجرة ، فتكون هي القائلة !! والحوادث لا تحلّ به تعالى من غير مشيئة ولا قدرة ، بل يفعلها بمشيئته وقدرته ، واتصافه بها واجب لأنها صفات كمال . والذات الموصوفة بصفاتها ، القادرة على أفعالها ، مستلزمة لما يلزمها من الصفات ، قادرة على ما تشاؤه من الأفعال .

نفي القول بخلق القرآن

(ص ١٢٣) إنّ الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الحسن التميمي ، والقاضي أبي يعلى (سنة ٤٥٨ هـ) وابن عقيل (سنة ٥١٣ هـ) وأبي الحسن الزعفراني (سنة ٢٥٩ هـ) من أصحاب أحمد (سنة ٢٤١ هـ) . وكأبي المعالي (سنة ٤٧٨ هـ) وأمثاله وأبي القاسم الروامي ، وأبي سعيد المتولي (سنة ٤٧٨ هـ) وغيرهم من أصحاب الشافعي (سنة ٢٠٤ هـ) ؛ والقاضي أبي الوليد الباجي (سنة ٤٧٤ هـ) وأبي بكر الطرطوشي (سنة ٥٢٠ هـ) وأبي بكر بن العربي (سنة ٥٤٣ هـ) وغيرهم من أصحاب مالك (سنة ١٧٩) ، وكأبي منصور الماتريدي (سنة ٣٣٣ هـ) وميمون النسفي (سنة ٥٠٨ هـ) وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة

(سنة ١٥٠ هـ) ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقا لزم أن يخلقه إما في ذاته أو في محل غيره ، أو قائما بنفسه ، لا في ذاته ولا في محل آخر ، و(الأول) يستلزم أن يكون محلاً للحوادث ، و (الثاني) يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك . (والثالث) يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا ممتنع . فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن ؛ وقد سبقهم عبد العزيز المكي (سنة ٢٤٠ هـ) صاحب المحاورة المشهورة إلى هذا التقسيم ، وقد يظن الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وانه كان يقول بقولهم ان الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وان قوله من جنس قول ابن كلاب ؛ وليس الأمر على ذلك ، فان عبد العزيز هذا ، له في الرد على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث . وذكر طرفاً من هذه المناظرة التي جرت بحضور الخليفة المأمون بين عبد العزيز الكناني المكي وبشر المريسي (سنة ٢١٨ هـ) إلى أن قال عبد العزيز : وما كان قبل الخلق متقدما ، فليس هو من الخلق في شيء ثم قال : فقد كسرتُ قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية ، والنظر والمعقول . ثم قال ابن تيمية ـ معلقا على كلام عبد العزيز وبشر ـ : والمقصود هنا أن ما قام بذاته ، لا يسميه أحد منهم مخلوقا ، سواء كان حادثا أو قديما ، وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ، فإن بشراً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده : لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما ثمّ عنده إلا الذات المجردة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها كما تقول بذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، فاحتج عليه عبد العزيز بحجتين عقليتين ، (إحداهما) أنه إذا كان كلام الله مخلوقا ، ولم يخلقه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه ، لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل ، و (الثانية) أن

المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات ، إمّا القدرة كما أقرّ به بشر ، وإما فعله وأمره وإرادته كما قاله عبد العزيز ، وعلى التقديرين ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق فبطل أصل قول بشر والجهمية أنه ليس لله صفة ، وأنّ كل ما سوى الذات المجرّدة فهو مخلوق ، وتبيّن أنّ الذات يقوم بها معان ليست مخلوقة ، وهذا حجة مثبتة الصفات للقائلين بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق على مَن نَفَى الصفات ، وقال بخلق القرآن .

قصور كثير من المصنفين في المقالات والمذاهب عن بلوغ الغاية

(ص ١٥٨) يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون ـ في أصل عظيم من أصول الإسلام ـ الأقوال التي يعرفونها ؛ وأمّا القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول ، فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنّف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله . والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر ، وأبو المعالي ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزعفراني ، وأبو الحسين البصري ، ومحمد بن الهيضم ، ونحو هؤلاء ، من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأئمة ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أنّ عامة المنتسبين الى السنة من جميع الطوائف يقولون انهم متبعون للأئمة كمالك والشافعي وأحمد وابن المبارك (سنة ١٨١ ﻫ) وحمّاد بن زيد (سنة ١٧٩ ﻫ) وغيرهم لا سيما الإمام أحمد فانه بسبب المحنة المشهورة من الجهمية له ولغيره أظهرَ من السنة وردّ من البدعة ما صار به إماماً لما بعده ، وقوله هو قول سائر الأئمة ، فعامّة المنتسبين الى السنة يدّعون متابعته والاقتداء به ، سواء كانوا موافقين له في الفروع أو لا ، فان أصول الأئمة في أصول الدين متفقة ، ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد

أشد ، ولما كان الأشعري ونحوه أقرب الى السنّة من طوائف من أهل الكلام ، كان انتسابه إلى أحمد أكثر من غيره كما هو معروف في كتبه . . . . والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ليست ثابتة لطائفة بعينها .

قول الحشوية المنتمين إلى الظاهر

(ص ١٥٩) ذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أنّ كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأنّ المسموع من أصوات القرّاء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ؛ وأطلق الرعاع منهم القول بأنّ المسموع صوت الله تعالى عن قولهم . . . . ومعلوم أنّ هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا في كتاب أحد أنّ المداد الحادث انقلب قديما ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامّة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجلّ من أن يتعمّدوا الكذب ؛ لكن القول المحكيّ قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين .

ما جاءت به الكتب والرسل هو الحق

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة ، توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يدخل التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم .

(ج ٣ ص ٨١) فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك (أي من صفات

الكمال) وكذلك الإنجيل ، وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ، ونبوة اشعياء وأرميا ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين ، وأهلُ الحديث متواتر عنهم ذلك .

علم مما تقدم أن الله تعالى كامل الصفات ، له الأسماء الحسنى ، ولا يكون عن الكامل في ذاته وصفاته إلا الفعل المحكم ، لكن تلك الفِرَق جعلت قواعدها وأصولها محكمة ، وما أخبر به الرسول متشابها ، ثم أصّلوا أصلاً في ردّ هذا المتشابه إلى المحكم ، وما أصّلوه مخالف لصريح العقل وسليم الفطرة ، كما هو مخالف لما جاءت به الرسل عن الله .

قال الإمام ابن القيم : وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المقصد في عامة كتبه ، لا سيما كتابه الذي وسمه « ببيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح » فمزّق فيه شملهم كلّ ممزّق ، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء . وقال أيضاً :

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، ويعرِف حالَه الناقدُ البصير من الناس ، وقليل ما هم اهـ .

أقول وخاتمة القول في هذا الباب أنّ كلام الله ورسوله ، وكلام أئمة السنة والعلم ، هو أوضح تبياناً ، وأرسخ إيماناً ، وأوفى ميزاناً ، يتآخى فيه العقل والنقل ، والطبع والشرع ، والفطرة والدين ، وأنه هو الأسلم ، والأعلم والأحكم ، وأنّ نفاة الأفعال والصفات ، يشبهونه سبحانه بالجمادات « سبحان ربّك رب العزة عما يصفون » .

محمد بهجة البيطار

ما سمعت وما رأيت
في بلاد السوفيت[1]
— ٤ —

المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طليعة المعارض الزراعية العالمية سعةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاوة لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل في إخراجه الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين المعماريين والرسّامين والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة ذات فوّارة عالية ، يحيط بها أحواض ملأى بأنواع الأزهار الجميلة التنسيق والترتيب ، فضلاً عن التماثيل الرخامية العديدة ، والفوّارات الجانبية الكثيرة تتلوّن بالمصابيح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلوى المنشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشنفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات (الميكانيكا) الذي تعلو سقفه قبة شاهقة ويحوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طناً ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنوياً ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهراً .

وانتقلنا بالطواف الى جناح بوزبكستان فشاهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . ويعد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية الهامة وقدّر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبرتقال والمندرين (اليوسفي) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذه الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعاً مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أثناء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الغزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجية المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شبهاً كلياً ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص بالدعاوة لكثرة ما شاهدنا على جدرانه من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لاقتضى لها عدة أيام .

متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى (١٩٠٥ — ١٩٠٧) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية (١٩١٤ — ١٩١٧) وفي القاعات التالية ما تم في البلاد من أحداث بعد ذلك .

وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها ستالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا (Presidium) لمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني .

وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مراسلي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد نضدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من مآكل وأشربة مختلفة ، ابتدأ بالكلام أمين السر العام (السيد طوبجيف) بالروسية سارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

تترجم تباعاً الى الفرنسية من قبل ترجمانتنا الموافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل الأمير جعفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكراً لمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق ، والحفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمة ألقاها بالفرنسية مطرياً الجهد الذي يبذله مجمعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالثناء زميلنا الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين .

فمما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الروسي قد تأسس من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد سلخ من العمر حتى عام زيارتنا ٢٣٠ سنة وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم لينغراد الآن) وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جلى ولا سيما في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonossov) بكثرة العلماء الذين تم توجيهم وتخريجهم باشرافه .

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف المجمع الرئيسية الإفادة الرتيبة مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديد الأواصر .

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠ ومجموع العاملين فيه ٣٠٠٠٠ .

ومما قاله أمين السر العام إن لينين عني بالعلم واقتفى ستالين أثره مما أدى الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه بهمة لا تعرف الكلل وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم . وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي : العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء (Biology) والتكنيكا (Technic) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقاً لها مقرها في نواحي البلاد النائية ، كما أنه يشرف على ٣ مراصد جوية و ١٧ مختبراً .

ولمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، يجتمع سنوياً في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والعظيمة . وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفاً عما كان عليه قبل الثورة وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفاً .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن (١٩٥٤) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة والطب وللفنون الجميلة . والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا المشرفة على إدارة البلاد (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) .

ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٢٠٠٠٠٠ روبل [1] في الدرجة الأولى و ١٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

وللمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات التي تم طبعها في هذه السنة ٢٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا لمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طبيبين أحدهما يرأس شعبة بحوث الجملة العصبية (وقد زرته في اليوم السابق) والثاني أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

---

(١) يساوي الدولار الأميركي ٤ روبلات في ذاك الحين ، وقد هبطت هذه القيمة عن ذي قبل الآن .

معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة يقيها البلى والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق ·

دار كتب لينين :

يعنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بنشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عامرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناء ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة (Palais de Culture) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل ويتيح له أن ينمي معلوماته ويستزيد علماً مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملاعب للرياضة ·

ولقد ترامى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ الف (سنة ١٩٥٤) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها · ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكو لم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ الف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً ·

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرتها في عواصم بلاد الغرب المختلفة · زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى الينا بالمعلومات التالية :

يعود تأريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٣ ولم يكن عدد ما تشتمل عليه من كتب ليتجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٧ ، أضيف اليها ١٤ قاعة ، وسرعان ما ارتفع عدد

الكتب الى مليونين وأصبح الآن (سنة ١٩٥٤) ٧٢ مليون و ٢٠٠ ألف [١] وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأساتذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشتمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان ممنوعاً اقتناؤه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحفظ المكتبة باحترام كلي الطبعات الأولى لماركس (Marx) وأنجل (Engels) كما انها قد جمع فيها الطبعات الأولى لمؤلفات لينين (V. Lenine) وستالين (J. Staline) .

وليست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيها كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكتبات العالم وترد اليها مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالمجان ، تقتني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن نقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

---

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفيتيين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري (Mycology) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وان المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و٣٢ في فرنسة . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية .

وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لها ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالطه .

هذا ويلاحظ الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يخيمان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استقدام الكتب في منتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالحافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

العرض العسكري :

وهو العرض العسكري الذكرى ٣٧ لثورة ١٥ تشرين الأول يقام في صباح السابع من تشرين الثاني الآن (بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

نبئنا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت الينا لشهود العرض العسكري ولم تسلم الينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلمنا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب الى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة

المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق صحبة الترجمانة فألفينا الأسواق التي مررنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شراذم من الجند ترابط بها عند كل مفترق الطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا اليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الأيام الأخرى .

وكنا نُسأل عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نحملها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فتشت فيها تلك البطاقات فبلغت الثمانية ، ولكم لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين الينا المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجماتنا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين ليس لهم إلا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بمآت الألوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء المجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدأ العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، راكباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية للجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقة من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الغفيرة المجتمعة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكلما مرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكلمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عزفت جوقة الموسيقى (وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠) النشيد الوطني ، وسرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولغانين كلمة لم يتجاوز إلقاؤها ١٠ دقائق عدّد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إنماء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصراً على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجمانتنا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هـذه الخطبة المقتضبة ابتدأ العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع [١] وترتيب فائق يخيل الى الرائي كأن صفوف الجند (وعددها ٣٢) تتحرك حركة مواقتة كشخص واحد . فتلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور واناث بأعلامها وشاراتها المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل يهزج الأهازيج الحماسية .

والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تتسنّ لنا هذه إلا بشق الأنفس مجتنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن تخترقها .

---

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بنت يومها دون استعداد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب آناء النهار ، ترتيبات عسكرية وتمارين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المرور من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

متحف تريتيا كوف (Tretyacov) :

وهو متحف اللوحات الزيتية التي تمثل الفن الروسي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين . يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب . أتيح لي أن أزوره مرتين الأولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كلتيهما بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زيتية رسمها وصوّرها نوابغ الفن الروسي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مثيلات تزين جدران أبهاء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها .

يعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الروسي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقيين والرسامين والنحاتين الذين يمثلون مايدعونه بالفن الديموقراطي الواقعي (Democratic and realist art) . لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعثي اليقظة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتتجاوب مع ما يكمن في قرارة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطية وطغيانها الغاشم .

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتيا كوف يفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما يأتلف والفكرة السالفة ولكن خامرنا الشك في بعض ما ذهب اليه إذ لا يعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفننين على احترام نار الثورة وأن تخلو تلك اللوحات مما يمجد العهد السالف متغاضية عن بعض محاسنه (وإن قلّت) وأن لا يرى أي أثر لمأثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنها حيناً من الدهر . فكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

متى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القياصرة وإلا فهي تقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم .

ويعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف (Perov) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة الثاكل تقود الحفة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هزيل على أرض كساها الثلج وبنياها يمسكان بجانبي النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمان .

وللرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه (الهواية) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصغي اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبيه يبتسم لتلك الأقاصيص وينم على شكه بصحتها ومبالغة الراوي لها حكه بيده خلف أذنه .

ومن اللوحات التي تندد بالعهود السالفة لوحة نافرف (Nevrev) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسناء بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلوها واقفون مشدوهون منتظرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بوركيروف (Purkirov) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريعان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من سيماه ثراؤه وانتماؤه الى الطبقة الارستوقراطية .

وإن اللوحات التي تندد بويلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التتر والأتراك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشتشاغين (V. V. Vercshahagin) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب (Apotheosis of war)

عاها مجد تيمورلنك(Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ ،
. فيها هرماً من الجماجم يرتفع فوق صحراء تلفحها الشمس ووراءه خرائب
ة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضفي على لوحته الزيتية معنى سياسياً
مها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن
بدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار
ب فقد أشاد بطولة الجندي الرومي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات
تمثل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الرومي والأتراك (١٨٧٣)
يف كان جواب الجيش الرومي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان
Go to the devi) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش
رمي قبل المعركة مع الأتراك وبعدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض .
، اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد يبع
ليق وباب تيمورلنك (١٨٧٢) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في
را . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها متحف التاريخ في
سكو كنابوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الرومي في الحرب الوطنية
١٨١٢) . لذا يعد الناس لوحات هذا الرسام مصداقاً على كرهه حرب العدوان
ليلاً على وطنيته الملتهبة .

والرسام فازنتزوف (V. Vasentsov) لوحة رائعة (١٨٨٠) عنوانها بعد
ركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الرومي والمغيرين من رجال
بائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد
سماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا
كأنها يتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الأجنحة بعضها في بعض مما يضفي
، اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحاً شاعرية سامية .

ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواسل (Warriors) الثلاثة من اللوحات

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللفائف قد اتخذتها شارة لمصنوعاتها ·

وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكرى التحاق أوكرانيا بروسيا ومرور ٣٠٠ سنة عليه ·

جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، ويعد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت · وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف (Lomonosov) الذي رأينا في لنينغراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسماً ·

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ (وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والكليات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة · وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار ·

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراءه عدة مبان · فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٢ طبقة وارتفاعة ٧٨٧ قدماً (ويعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان Manhattan) أما جناحا المبنى المذكور فيشتمل كل منهما على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للكليات والمختبرات ومرصد الجو ·

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٩٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأمكنة فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزيد الدليل على ذلك ان ما تحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أتيح للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العلمية ، وتحوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد سترنبرغ (Sternbug) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب [١] يدرسون على أيدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٣٠ أعضاء في المجامع العلمية .

وتعنى الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تخترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقى بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٩٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جميل صليبا أن هذا الرقم قد أصبح ٢٣٠٠٠ في هذه السنة (١٩٥٧) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٢ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناء ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology) وتضم عدة مبان أخرى للبحوث وإنماء النبات والاقليم الاصطناعي .

وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠ ، وزين سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء ممن ينتمون بصلة الى الاتحاد . وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً (بوفيه) وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢و٥ روبل و ٥ روبلات . والكتب المدرسية تعطى الى الطلاب بالمجان .

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي . ولا يطلب من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين والفقراء من الدفع .

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في الشهر يرفع العون الى المتفوقين ٣٥ ٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح العون المادي المذكور ٧٨٠ — ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة . وقد قيل لنا ان الطلاب الذين يدرسون في الجامعة ينتمون الى ٥٩ قومية [١] . والانتساب الى الجامعة تابع الى مسابقة تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً .

(للبحث صلة) —— الدكتور حسني سبح

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي ان التعليم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعليم بالروسية إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع ان لغة التعليم الابتدائي باللغة المحليـة فان كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

– ١ –

١ — المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجّة [1] (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ . ش/١١٣٨ م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشرّاح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا [2] ، وأنه سابقٌ لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحّد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحّد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجّة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزانتي اكسفورد

---

(١) لترجمة ابن باجّة راجع بروكلمن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the Hystory of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ والمقّري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ – ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمرة ٢٠٦ پوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه (Gauthier) ص ١٢٠ .

وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بوذليانا (اكسفورد) على أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالى (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعسّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلاّ مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عزمت على التحقيق لم أجد بدّاً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٣٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتمّ ابن باجّة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام[1] . وإنما وصلتْ كُتُب ابن باجّة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجّة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه[2] ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة ١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » .

ابن باجّة ومصنف قصة حيّ بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : [١]
« وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة » .

كتاب النفس – تأليف مستقل :

يذكر ابن باجّة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بألفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها شروح لكتب أرسطاطاليس [٢] . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتابَ النفس لأرسطاطاليس ، لا سيما الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضامين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليفٌ لخصه ابن باجّة من الكتاب المشار اليه آنفا ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجّه في كتابه :

عُرف ابن باجّة في عصره بفصاحته في شعره وكماله في الغناء والموسيقى [٣] ، غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تلميذه ونديمه ابن الإمام يرى رأيا مختلفا ، فقد نطق بفضله وبراعته في الإفهام والتفهيم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس [٤] . وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذ الكتاب .

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ – ١٣ .
(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبناه في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف : « كتبناها في شرح الرابعة من الآثار » .
(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، لنشر بولاق ، ص ٥١٩ ؛ المقري : نفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ – ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .
(٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجّة ، يعدّ عبارته كلما يتشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجّة ايضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت [1] . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وُلّيَ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط [2] . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجّة الأصغر ، حيث يقول [3] : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيّناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجّة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، ص ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان متنغص بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بيّنا الا بعد عسر واستكراه شديد .... وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها » .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبقت بأجمعها ، سوى (كتاب الحس والمحسوس) ،
بحيدر اباد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة
التي جمعها ابن الامام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر
محمد بن باجة الاندلسي » محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في
الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد
مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقرّ ابن رشد نفسه في كتابه ـ تلخيص كتاب النفس [1] ـ بأوضح
عباراته ـ أنّ كلّ ما بيّنه في بحث العقل هو رأي ابن باجّة . ولكنه أحياناً ينتقد
على ابن باجّة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما [2] .
والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نصّ الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن
قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجّة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ،
فإنه يطلعنا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعها ، وأيضاً يملأ الفراغ
بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع
الميلادي [3] بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة
باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعدّ الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب
(الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه [4] ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الاهواني ، ص ٩٠ ، وهذه العبارة غير موجودة في نسخة حيدراباد المطبوعة .

(٢) انظر رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .

(٣) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (Flügel) ، ليبسك ج ١ ص ٢٥١
تاريخ الحكماء القفطي ، نشر ليبرت (Lippert) ص ٤١ .

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحاً لثامسطيوس ، وسمبلقيوس ماعدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية [١] . والذي يتراءى أن ابن البطريق أول من كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت ثاوفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) [٢] ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلرطرخس (٢٥٤) [٣] ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطّلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر انه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كُتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرتُ على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا [٤] ، والمتحف البريطاني ، ونشرتُ مقالة ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن [٥] .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت اليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجة له مزية أخرى من ناحية التقدم ، فإنه أول نص يلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لأرسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .
(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .
(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .
(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous 95) ورقة ٤٩ ب – ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة : « تمام شد مقالهٔ سوم وبتامی آن کتاب نفس منسوب بارسطاطاليس دروقت غروب خورشيد روزيكشنبه . . . . ورقم بتاريخ شهر جمادى الثاني سنة ١٠٣٩ – ١٦٦٩ » . والحمد لله رب العالمين . . . . . »
(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936.

والعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافروديسي ، وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ما سرده ابن الامام ، تلميذه الرشيد ، تقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس وكانوا معترفين بفضله ، حيث يقول[١] (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليها بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودوّنا فيها ، بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يمتاز به أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعرّف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرّفها أرسطاطاليس ، بأنها استكمال أوّلي لجسم طبيعي آليّ ، ويفصّل القوى الثلاث للنفس ـ الغاذية والحسّاسة والمتخيلة ـ ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك . والنفس عنده من المتفقة أقوالها ، فلهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة . وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وانما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ، بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عُرفت بأنها استكمال أوّلي للجسم الآليّ المغتذي ، وتساعدها قوتان ـ النامية والمولّدة .

---

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن ابي اصيبعة في طبقاته : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالغاذية تعد من الغذاء في المغتذي ما يستعمل لحفظ البدن ونموه وآخر التناسل . وكما أن الغاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المغتذي ، تصنع المولدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولده .

ولما كان محرك المولدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن «محركات أُخَرَ مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها» .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أولي لجسم آلي حاس ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلهذا يقول ابن باجة انها النفس [١] . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوة المحركة التي أشار اليها [٢] ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجة في رسالة مستقلة ، وقد بين فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرك الى المكان والأشخاص والالف والعشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الانسان فقط [٣] .

(١) راجع النص : واللمس التي هي الحواس بيّن من امرها انها أنفس .

(٢) ايضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودلياة ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما ان تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك الى اشخاص المكان والالف والعشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها تشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هـــذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعلم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له[1] ، وعلى غير منوال ابن سينا[2] ، ابن باجة لا يصف الحواس قط بأنهما « ظاهرة » أو « باطنة » ، ولا يذكر « المصورة » وإن نسب « الحفظ » للحس المشترك[3] .

وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس؟ فانه بيّن ، تباعا لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة مخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة ههنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة المتخيلة :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم متخيل آلي ، والتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تخدمها بتقديم المواد إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام .

والقوة المتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .

والحاصل أن النفس ، كما بينها ابن باجة نفسه[4] ، هي القوة الفاعلة ، لها

---

(١) رسالة الفصوص ، لشرها ديتريصي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical Abhandlungen, 73, 74 . وقد اثبت خليل الجر (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 — 46, 31 — 39 أن نسبة الرسالة الى الفارابي خطأ ، وانما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ، وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology .

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعلة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أضحت اثنينية « المادة والصورة » و « المحرك والمتحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » ـ وهي مزية معروفة لفلسفة أرسطاطاليس ـ أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي سردها ابن باجّة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجّة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلٰهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس » [1] ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال » [2] .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس النزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بيّن أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى .

فأخذ ابن باجّة بوضع علم النفس على منهج أرسطاطاليس وانتهى أخيراً إلى مسئلة النبوة كما وصل اليها ابن سينا ، وكما فصّلها الإمام الغزالي في رسالته

---

(١) ايضا ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المعقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويبصر بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه الخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متفاوت بحسب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة . . . . .

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون . . . . . . كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بهذه الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام[١] .

والتزمتُ في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة ارسطاطاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالإغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسطاليس التي نُشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ا . ر . جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريچرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علقت عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الثناء .

* * *

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق الصوفية المستمدين القبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة اولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم . ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع نظرك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ابي حامد تجد الكل من نمط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق . . . . .
ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فانه يعتقد ان الأول فطـّر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان ينفعلوا ، وانظر إلى قول ابي نصر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة . . . . .

٢ — المخطوطة

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم پوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها « مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه »، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة « ٣ ٣/٤" × ٧ ١/٢" » ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ ٠ ش ٠ (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الإمام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ ٠ ش ٠ (١١٣٥ م)[1] ـ أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين ٠ فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣ هـ ٠ ش/١١٣٨ م ، أي بعد

---

(٢) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت بجميع ما في هذا الجزء جميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير ابي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام السرقسطي وهو يتظر في اصله المحبوه به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك في زمانه ابي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشبيلية والعزيز المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأد لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً نافعاً في الدنيا والآخرة إنه على مايشاء قدير . »

٥٣٠ هـ ش ٠/ ١١٣٥ م، لا في سنة ٥٢٥ هـ ش/ ١١٣٠ م كما زعمه بعضهم [1] .

وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى توثق التاريخ الأول وتدل على أن الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع الأول سنة ٥٤٧ هـ ٠ ش / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحد الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام وكمل بقوص في سلخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلورت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ، تاريخ كتابتها الجمادى (الأولى) سنة ٦٧٠ هـ ٠ ش ٠ / ١٢٧١ م ٠ هذه النسخة تمتاز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجّة في الطب والأدوية والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون التي خليت منها نسخة بودليانا ٠ وفي تحقيق أهلورت (Ahlwardt) هذه النسخة مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات في المنطق ٠ وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن ٠

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة من ورقة ٠ (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، اشر Wüstenfeld ج ١ — ٧ ، نمبره ٦٨١ (1835) .

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيّرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان [1] .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين [2]) بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فُقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخرى [3] .

على أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور [4] ،

---

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الاندلس ، ميدرد Al-Andalus 1940, 42, 43 .

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة المتمنية » في موضع « القوة المنمية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ ايضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان النبات ذكر وانثى فانا يجب ان يكون ذلك في المتميزة فقط فأما ما ليس بتميز . . . » وقراءتي « المثمرة » و « بثمر » في الموضعين ، في نسخة اكسفرد ؛ « المتميزة » و « بثمر » .

وقد ترك أيضاً بعض من الألفاظ سهواً [١] . وأما (تدبير المتوحد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الوُرَيقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) فانه مثلاً، قرأ «التشكيك» «تشكيلاً» ، و «المشككة» «مشكّلة» . وهكذا قرأ «المهين» موضع «المهن» ، و «رؤف» موضع «ردف» ، و «لهذين» موضع «لهذين» ، و «لذلك لا يرد ، والجمهور» موضع «ولذلك لا يردف الجمهور» ، و «الأمور الحربية» موضع «الأمور الجزئية» [٢] .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلاط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان بخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلاط في النص وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < . . . . > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سد هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغماً عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرّقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأسرها ، فالعبارة

---

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ص ١٢ : السطر الأخير : «فاذا يكون حينئذ انساناً بالقوة» ، في نسخة اكسفرد «بالقوة الفكرية» (ورقة ٢١٦ ب) ؛ ١٩٤٣ ص ٣٧ : «وذلك في اليسار فيكون كالحاكم» وفي المخطوطة : «. . . فيكون كذلك كالحاكم» ؛ ص ٤٠ : «إذ هو متقسم» ، في المخطوطة : «إذ هو جسم منقسم» .

(٢) انظر J. R A. S. 1945. p. 64

بقيت ناقصة لا يتضح معناها . لقد أثبتُّ هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة بعبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة ووضعتها بين قوسين شكلها هكذا : [. . . . .] .

ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى ما نشره الأستاذ المرحوم آسين پلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب النبات) ، (رسالة الوداع) ، (ورسالة اتصال العقل بالانسان) ، وأما ما كتبه أوكلي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجّة حققه ونشره الأستاذ ادورد پوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة [١] ، إذ لم ينشر الأستاذ پوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن يقظان اللاطينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين) ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Autodidactus [٢] ، وما ادّعى قطّ أنه فعل هـذا .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

جامعة داكة ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

---

(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٠٥ ، ص ٨ في أسفل الصفحة .

(٢) اكسفرد ، ١٦٧١ ، ص A 2 .

التعريف والنقد

المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر في أكثر من (٥٥٠) صفحة بالفهارس

كنت قبل هذا بمدة ، كتبت تقريظاً نقدياً للجزء الأول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الأستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف ، ونوهت بعمله العظيم ، وأشرت الى بعض المآخذ ، وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأيه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها ، من غير أن أغفل مطلقاً عن الاعتراف بجهوده الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشيبة من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني ، وكنت متشوقاً لظهوره ، ولكني لم أستطع قراءته متملياً مستفيدا ، لما كنت منهمكاً فيه من الأعمال والتبعات حتى أمكنتني الفرصة الآن ، وقد تخففت من تلك الأعباء الثقال ، فكان من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القارئ أنني زدت إعجاباً وتقديراً لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقاً منه في الجزء الأول أم أن تجربة ثلاث سنين [1] وخبرة هما اللتان جعلتاني أقدر أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل وعلى هذا السنن العلمي اللاحب ، أردت أن أتمم ذلك التقريظ ـ ولا خ

(١) نشر تقريظ الجزء الأول في ج ٤ من مج ٢٩ من هذه المجلة الصادر اكتوبر ١٩٥٤ (ص ٥٨٠ – ٥٩٣) .

في تقريظ لا يكتب بروح نقدية ـ بالتنبيه على بعض الهنوات ولا أقول الهفوات ، فانني أؤكد أن بعض الكلمات التي ينتبه اليها القارئ هي في الغالب مما يغفل عنه الكاتب ، فلا يكون إهمالها من باب الخطأ الذي يلزم المؤلف . وهي لذلك عندي من الهنوات التي لا مصدر لها ، لا من الهفوات التي تؤخذ على الكاتب . .

ومن الطبيعي أن أغض الطرف عن بعض الشكلات التي تزحلقت عن محلها ، أو وضعها الطابع غلطاً على غير وجهها ، فان من سبق له أن نشر كتاباً أو مقالاً أو قصيدة فيها بعض الشكل لا بد أن يكون قد صُدم ببعض هذا التغيير . وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون به المؤلف ، ولكنهم أحرياء أن يعرفوا من سياق العمل أن مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجهل أن الفاعل مرفوع وأن مضارع الثلاثي غير مضموم الأول الخ ، وهكذا نحن لم نتتبع شيئاً من الهوس الذي يتورط فيه بعضُ الكُتّاب .

ولا أحتاج أن أقول . . انني بهذا التنبيه إنما أتعاون مع حضرة الناشر على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به في الجزء الأول من التقريظ والنقد ، عناية بهذا الأثر النفيس الذي كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه . ولذلك أزف من جديد عرائس التهاني للدكتور شوقي ضيف على توفيقه وتبريزه في خدمة الأدب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه الله وأدام النفع به . وهذه هي تلك الهنوات المشار اليها . .

وقع في ص ٨ ضبط كلمة موسطة بفتح الميم والسين . ونص العبارة التي جاء فيها « وهي في الاقليم الخامس موسطة » ، والضمير يرجع الى مدينــة طليطلة . وأظن أن هذه الكلمة وقعت في الجزء الأول بهذا الضبط أيضاً . وكنت توقفت فيها . ولما كنت بعيداً عن منزلي ومكتبتي لم يمكني تحقيقها . وبمقتضى ما ذكره اللغويون من أن فعل وسط هو من باب وعد يظهر لي أن حقها أن تكون

بكسر السين .. على أن صاحب القاموس ذكر أن موسط البيت بوزن مكرم و ما كان في وسطه خاصة فليحرر .

وفي ص ١٦ عن أبي الخطاب الشاعر : « وكان في صلة الفضلاء الذين وفدوا لى المتوكل بن الأفطس » . ولعل الصواب : وكان في جملة الفضلاء ...

وفي ص ٢٣ :

أعلل نفسي بالمواعد والمنى　　وما العيش واللذات إلا محمدُ
بذاك صبا عقلي وهاج لي الجوى　　ولم يسبه حورٌ أوانسُ نُهد

أظن أن صواب كلمة بذاك .. فذاك بالفاء .

وفي ص ٥٢ : « وكان (ابن همشك) يُردي أهل الجنايات من حافّة عظيمة » ضبط الحافة هنا بتشديد الفاء ، والصواب تخفيفها فان الحافة جانب الوادي مخففة . ولعل الضبط خطأ مطبعي .

وفي ص ٦٧ ما نصه : « لا يعدم مال الكريم غارة من الأفضال (تسن) ، وعادة من الاحسان تسن » ويجب إعجام السين من (تسن) في الفقرة الأولى . وهو تطبيع .

وفي ص ١٠٣ : « ونهرها الكبير (يعني غرناطة) يقال له شَنَّيل » بفتح الشين والنون مع تشديدها ، وتكرر هذا الضبط في شعر ورد في نفس الصفحة . وعلى ما يظهر لي ، يجب أن يكون كل من الشين والنون في هذا الاسم مكسوراً ؛ أما الشين فلأنهم قد يكتبون هذا الاسم بزيادة ياء بعده هكذا : شينيل ، ومعلوم أن اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك في إحدى قصائده التي يصف بها بعض مصانع غرناطة كما في نفح الطيب :

يا قصر شينيلٍ وربعك آهل　　والروض منك على الجمال قد اقتصر

وأما النون فلأنهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل النكتة الأدبية ، أن نهرها شنيل يعدل بألف من نيل مصر لأن عدد الشين في حساب الجُمَّل ألف . فاذا قلنا شنيل فكأنما قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى . ويسمي الاسبان نهر شنيل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في

بعض الأسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة على الشين والنون معاً .

وفي ص ١٠٤ من موشح :

ورسولي قـد تعرّف منـه بما أدري فخرّف

ولإقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي ص ١١٧ :

لا تلمني بأن طربت لشدوٍ يبعث الأنس فالكريم طروبُ

ليس شق الجيوب حق علينـا إنما الحق أن تشق القلوب

وقد ضبط اللام في لا تلمني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ مطبعي وأن حقه الضم .
أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب حقاً علينا . ولا يحسن نصب شق ورفع حق لأن الأول هو المحكوم عليه .
وبعد كتابة ما ذكر رأيته كما ذكرتُ في نفح الطيب .

وفي ص ١١٩ في التعليق : «وذكر ابن ذاكور في شرحه على القلائد»
والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظنني نبهت على هذا في الجزء الأول .

وفي ص ١٤٤ :

أنت الهوى لكنْ سلواي الهوى قصد ابن معن والحديث شجونُ

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما يدل عليه ما بعده ، والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص ١٥٦ :

عليك لنا فضلٌ ومنٌّ وأنعم ونحن علينا كل مدح مُحَبَّر

وأعرف أنها يُحَبَّرُ ، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي يناسبها بغير تكلف .

وفي ص ٢٢٥ : «ولهم فيه ظل عظيمة» بضم الغين ، والصواب كسرها .
وفيها عن الكاتب ابن طاهر : «أخبرني والدي أنه لم يزل مع الملك المذكور عثمان بن عبد المؤمن في عز ونعمة ، إلى أن وقع له على رسالة بعثها الى أخيه أبي جعفر بن عبد المؤمن ملك اشبيلية فنار وسمّه فمات» الخ . . وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع ، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف من الوقوع بمعنى العثور ، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي يخاطب بها أخ مخدومه ، يريد أن يلتحق به ، فغار مخدومه وقتله .

وفي ص ٢٣١ :

وان أحمدَ في الدنيا وان عظمت لواحد مفرد في عالم أمم

بفتح همزة أمم وأظن أن الصواب ضمها ، ولعله تطبيع .

وفي ص ٢٥٣ :

اربأ بنفسك أن تكون متابِعا ما الحر إلا أن يُؤمّ فيُتَّبَعُ

ببناء يؤم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لي أنه ربما كان يؤم على صيغة المبني للفاعل من الإمامة وتأتي كلمة يتبع بعده أكثر تمكنا وأقرب مناسبة .

وفي ص ٢٥٥ :

الزُّزُ بزّ القفـا وخلعتُـه فاخلع علينا من ذلك البزّ

وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على أنها فعل ماض ، والصواب رفعها على أنها اسم بدليل عطف وخلعته عليها ، ولا معنى لفعل بزّ هنا ، وربما (ورب للتكثير) كان ذلك الضبط تطبيعا .

وفيها ضبطت كلمة (وتهت) بضم التاء وهي من تاه يتيه ، فحقها الكسر ، ولا يبعد أن يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفي ص ٢٦٧ :

ثماني خصال في الفقيـه وعرسه وثنتان والتحقيق في الا (مرشيق)

وهذا من شعر البكّي الشاعر الهجّاء المشهور . ووضعُ الناشر الفاضل للحروف الأخيرة في البيت بين عقفتين يدل على أنها لم تثبت بالأصل وأنه هو الذي تمم البيت بها . وقد جاء البيت تاما بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان ابن ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثماني خصال في الفقيه وعرسه وثنتان والتحقيق بالمرء أليقُ

ومن أبيات القطعة في المغرب :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويرشى و (يحمق)

هكذا بتتميم الناشر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويزني ويسرقُ

وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الأبيات الأخر ، ونظن أنه من خطأ الطبع .

وفي ص ٢٦٩ :

وصارم أبصرت ذي فلّةٍ فقلت يا صارم من فلَّكا

فقال لي لحظ غلامٍ رنا ونهد عذراء كما فلَّكا

وقد ضبطت فلكا الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها للفاعل ، يقال فلك ثدي الجارية وتفلك . وما نظن الشاعر أتى بالبيت الأول إلا لاصطياد هذا الجناس الكامل ، فلا يصرف عن قصده .

وفي ص ٢٧٧ : ذكر ابن سعيد في ترجمة أبي الحسن جعفر بن الحاج أنه هو والد أبي محمد عبد الحق الذي ارتضاه أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض .. وفي الصفحة قبلها ذكر في ترجمة أبي محمد هذا أن اسمه عبد الله .. ولم يحقق الناشر الفاضل في ذلك ، مع أنه أحال على مصادر كثيرة لترجمة أبي الحسن بن الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما أن الخطية التي أحال عليها ليست بيدنا فاننا أيضاً لم نستطع أن نقول كلمة فاصلة في الموضوع ، لا سيما والضبي في البغية وابن الابار في المعجم يسميان هذا الولد اسماً ثالثاً هو عبد الرحمن .

وفي ص ٢٧٩ ورد هذا البيت :

رويداً فلي قلب على الخطب جامد ولكن على عتب الأحبة دائبُ

بالدال المهملة في دائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام هذه الدال ، فكلمة ذائب هنا واقعة في مقابلة جامد من عروض البيت ، ولا معنى للدؤوب على معاتبة

الأحباب بل المقصود ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي ص ٢٨٧ جاء هذا البيت :

وما هو غير أن أدعى وحسبي　　حيا الإخوان أو موتُ الأعادي

بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده إلا ما ذكر . وفيها أيضاً هذا البيت :

أنكرت ان راع الزمانَ أدبي　　وهــل رأيت ذا نهى مُؤمَّنا

بنصب الزمان ، والصواب رفعه لأنه هو الفاعل الرائع .

وفي ص ٢٩٨ هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويديمي بها　　فُرَيخاً وآوتني قرارتُها وَكْرا

وفيه تصغيرٌ قادمة على قويديمة بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحواً ولا عروضا .

وفي ص ٣٠٢ وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمراً كأنها　　صدورٌ حسانٌ مسَّهنَّ عبيرُ

وقد نونت فيه صدور وحسان على وصف للصدور ، وأملح من ذلك أن تضاف صدور الى حسان لتفيد أن هذه الصدور لغوان حسان لا مطلق صدور حسان قد تكون على حسنها لرجال خشان .

وفي ص ٣٠٦ جاءت هذه العبارة : « إنه ما اختلف الليل والنهار إلا بنقص وامرار » هكذا بالصاد في نقص وأظنه بالضاد .

وفي ص ٣١٠ أبيات في النوار المعروف بالخيري ويقولـــ له العامة عندنا الخيلي ، منهـــا :

لك الخير أتحفني بخيريّ روضةٍ　　لأنفاسه عند الهجوع هبوبُ

أليس أديبُ النور يجعل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيب

والمقصود قوله أديب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ، لا بالرفع كما ضبط في الكتاب ، والشاعر يشير بذلك الى قولهم الليل نهار الأديب .

وفي ص ٣١١ من قصيدة في وصف بحيرة بلنسية :

اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيعِ كل حسن من الزهر

هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن ، وبيان ذلك بقوله من الزهر ، ويظهر لي أن صواب هذا البيت هو كما يلي :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيعٍ كلَّ حين من الدهر

والضمير في بها يعود للبحيرة ، فهي ، كما قال المؤلف وردد ذلك الشاعر في أبيات أخرى ، تكسب بلنسية جمالاً طبيعياً وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائماً في فصل الربيع . وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نعاماها فيغغم أنفنـا بأنفاسنا الملذوذة البردُ في الحرّ

وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على أنه نائبه ، ثم ضبط البرد بعلامة الرفع أيضاً . ولا شك أنه بعد أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد بالإضافة الى ما قبله إضافة لفظية . فإن أردنا أن نرفعه فعلينا أن نبنيَ فعل يفغم للمعلوم وننصب أنفنا على أنه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلاً مرفوعا .

وفي ص ٣١٢ يقول الشاعر في صفة مذانب ماء ، من أبيات :

كالنصـل إلا أنه لايُنتَقى كالظل إلا أنه لا يُرهَبُ

ولا شك أن الظل هنا محرفة عن الصل بالصاد وهو الحيـة الخبيثة بدليل قوله لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم .

وفي ص ٣١٤ حكاية عن ابن عائشة الشاعر أنه كان يوماً مع ابن خفاجة وجـماعة من الأدباء تحت خوخة منشورة فهبت ريح صرصر ، أسقطت عليهم زهرها . . الخ . ، وظاهر أنها خوخة مُنوِّرة لا منشورة .

في ص ٣١٦ وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ، وهو منسوب إلى
الكلاع بفتح الكاف من أذواء اليمن ، فضمّ الكاف كما في الكتاب خطأ .
ت له المؤلف أبياتاً في مشط فضة ، منها هذا البيت :

مُشط الحسان بمعظم ظلم لعمري عظيمُ

ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ، والمراد هنا الفعل
ل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .
وفي ص ٣١٩ هذا البيت :

فبتُّ لا حالهُ كحالي ضجيعُ بدرٍ صريعُ سكرِ

، اللام من حاله ، وصوابه لا حالة .
وفي ص ٣٣٩ هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفاً أزرى بحسن الذي آمن في الجب وقوع الهلك
قطعت أيـدي نساء له فكم قلوب قطّع الناس لك

هر لي أن آمن صوابها أمن ، وأن البيت الثاني سقط من أوله حرف الشرط
ندير إن قطعت ، وذلك ليتزن ولتكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .
وفي ص ٣٤١ بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبارِ

، ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين النون والقاف معاً ،
ن أن الصواب تشديد اللام مع الضم وتسكين النون ورفع القاف ، أولاً —
ه بتسكين القاف يختل وزن البيت . وثانياً — لأن اللنق لقب هذا الموصوف
يعرف ، فحقه أن يكون تابعاً في الإعراب لمحمد . وإنما قلنا إن اللنق لقب ،
ن هناك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن اللنق الذي
، بصدده هو تعريب له . وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة
Long الفرنسية بمعنى الطويل ؟ .

وفي ص ٣٦٨ ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضةً والبرق يرقَى والغمامة تنفثُ

وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرُّقِيّ وهو بالكسر من الرُّقْيَة كما لا يخفى بدليل ما بعده .

وفي ص ٣٧٤ هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت إلا بقلبي ظعينةٌ ولا حملت إلا ضلوعي هودجا

والظعينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه وهي الفاعل برحلت ، فحقها الرفع لا النصب كما ثبت في الطبع .

وفي ص ٣٧٦ جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد : « وكانت عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد » وقد توقفنا في مناهل هذه ، لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح المعنى أيضاً معها . ورجعنا الى القلائد فاذا بها : مشاهد .

وفي ص ٣٨٦ في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض الأعيان وهب له نصيبه من السقيا في يوم ما ، فسقى جنته ، وجاء في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه يستسقيه خمراً هذين البيتين :

سقيت أرضـي بفيض ماء فاسق ِ ضلوعي بفيض راح

واترك جفاي يذهب جفاءً واخفض جناحاً على جناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله : « هكذا الشطر في الأصل » . وأظن أن هذا الشطر واضح لا غبار عليه ، فان الشاعر أحسّ بقلة الذوق في كثرة السؤال فاعتبر ذلك جفاءً وعدمَ بِر ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك جفاي يذهب جفاءً » أي غثاء كغثاء السيل مما لا يعتد به ، قال تعالى : «فأما الزبد فيذهب جفاءً » فجَفاي بفتح الجيم وجُفاء بضمها ، وهما كذلك عند الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفاء جاءت في الكتاب مضمومة ، وهو خطأ.

مطبعي لا شك فيه ، فظهر أن الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه ، نعم في قوله جفاي زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند الشاعر .

وفي ص ٤٢٩ هذا البيت من قطعة :

سروا كاقتداء الطير لا الصبر بعدهم جميل ولا طول الندامة ينفعُ

ولم أفهم لاقتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (قلائد العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة ، وقد وقع في وهمي أنها ربما تكون محرفة من اغتداء بالغين ، والمعنى أنهم سروا بكرة كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » فهذا هو اغتداء الطير . وفي شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بَلْدة ونكرتها خرجتُ مع البازي، عليَّ سوارُ

وفي ص ٤٤٥ ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أزكى شهابه

بالزاي في أزكى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكون بزاي أزكى ، والذال المعجمة كثيراً ما ترد في مطبوعات الشرق زاياً ، لأن بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالزاي تماماً .

وفي ص ٤٥٠ ورد هذا البيت :

ثمرات الأنس ترتاد عنـدي وهي من روضك تُجنى وتُجبى

بكسر همزة الأنس وحقها الضم ، وبفتح تاء ترتاد وحقها الضم أيضاً . وفي الصفحة التي بعدها هذان البيتان :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا بلاحظني بمقلة ساخرِ

إن التواضع للذي يعتـدّه ضعة لجهـل ماله من عاذر

وترعه لا شك أنه تصحيف صوابه برعه ليبقى الكلام كله على الغيبة في غاية الانسجام .

وفي ص ٤٦٢ وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعـد ولله دره وقد حيل بين العير والنزوان

وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لأنه من البَعَد بفتحتين بمعنى الهلاك ، لا من البُعد بالضم ضد القرب ، وبعض اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .

وفي ص ٤٥٤ ورد هذا المقطع من موشح :

بي جوى مضمـر ليت جهـدي وقفه

كلما يذكي فـؤادي أفقـه

ذلك المنظـر لا يـداوى عشقه

وصواب يذكى كما لا يخفى يذكر وهو خطأ مطبعي ، وذكر المحقق الفاضل أن هذه اللفظة وقعت في رواية دار الطراز يظهر و يا ما أحسنها هنا ...

وفي ص ٤٦٢ من قطعة في عدم الاعتداد بالأحساب والأنساب إذا لم يكن صاحبها ذا مال :

فحـرام المجـد والعلم إذا لم يكن عندك شيء من ذهب

وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها في الأصل حرام .. ولا شك أن الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن . ولكن صواب الكلمة هو ما كان في الأصل ، على أن تقرأ : حِرُ أمِّ المجد والعلم ... بكسر الحاء وضم الراء من حر مع إضافتها للفظ أمّ ، وغير خفي ما يقصد بذلك من الفحش والإزراء .

وفي ص ٤٧٠ من بيتين في وصف الخيل :

هي الجحور ولكن في كواثبهـا عند الكريهة منجاة من الغرق

والمراد بكواثبها أعاليها لا أسافلها كما فسرت في التعليق على أن المراد بذلك أرجلها .. وفي الحديث يضعون رماحهم على كواثب خيلهم ، قالوا هي من الفرس مجمع كتفيه قدام السرج . ويرشح هذا المعنى أن الشاعر جعلها منجاة من الغرق ، شأن من يجتنب الغرق أن يطلب العلو لا السفل .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو أن لا نكون أوغلنا فيها حتى سففنا وسفلنا ، على أننا قد تركنا بعض الكلمات لم يخامرنا شك في أن خطأها ن باب التطبيع . . وأما قبل وبعد فإن قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ، ولو بجزء من ألف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل ، فليقبل نا جنابه هذا التطفل على عمله العظيم مع أصدق التحيات وأخلص التقدير .

عبد الله كنون

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف العماد الأصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

– ١ –

لا يزال المجمع العلمي العربي بدمشق دائباً على إخراج التراث العربيّ القديم الزاهر بنشره رسائله ومخطوطاته ، في اللغة والنحو والأدب وتاريخ الأدب ، ومن مآثره في هذا المجال إخراجه الجزء الأول من القسم الثاني لشعراء « خريدة القصر وجريدة العصر » للأديب الطائر الصيت قديماً وحديثاً « عماد الدين الاصفهاني الكاتب » ، وقد أسندَ تحقيقه إلى الدكتور الأديب المحقق « شكري فيصَل » وهو أهل لثقة المجمع العلميّ العربيّ في ذلك وأمثاله ، فحقّقه بطريقة دلت على سلامة بحثه وبراعته فيه ، وطول باعه في معالجة هذا الكتاب العسير النشر والتحقيق ، وهو لا يزال في عنفوان شبابه ، وقد طالعت هذا الجزء مستفيداً مستجيداً ، ولم يستوقفني فيه استيقاف الرايث ، عن المسير في الدمائث ، إلا أشياء يسيرة أنا ذاكرها على الترتيب فأقول :

١ – جاء في ص « ٢٠ » قول الشاعر الغزّي :

مثقّف الأسَل الظمآن تُرْجِمُهُ   درعُ الكميّ حطيماً دونَ مُرتشفِهْ

بجعل « ترجمه » رباعياً ، والفصيح الذي هو لُغة القرآن « تَرْجِمُهُ » بفتح التاء ، قال الجوهري في الصحاح : « رجع [1] بنفسه رجوعاً فرَجَعَهُ غيره ، وهُذَيل تقول أرجَعَهُ . وقوله عزّ وجلّ : (يَرجعُ بعضُهم إلى بعضٍ القولَ) أي يتلاوَمُون » . وقال الفيومي في المصباح المنير : « رَجَع من سفره وعن الأمر يرجع رجعاً ورجوعاً ورُجعى ومَرجعاً . قال ابن السكيت : هو نقيض الذهاب ، ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال : رجَعْتُهُ عن الشيء وإليه ، ورَجَعْتُ الكلامَ وغيره أي رددته ، وبها جاء القرآن قال تعالى : فإن رَجَعَكَ الله . وهذيل تُعدّيه بالألف » .

فالفصيح هو الثلاثي ولم يكن الغزي الشاعر هُذلياً فيصحّ أن تنسب اليه لغة هذيل .

٢ – وورد في « ص ٢٤ » قول الشاعر الغزي أيضاً :

ولو حصل الإنجازُ لم يبق مطمع   وَجودُ اشتعال النار داعي خُمودها

بفتح « الواو » من « وجود » واعتدادِها واوَ ابتداء ، والصواب عندي أنها أصلية من كلمة « وُجُود » مصدر الفعل « وَجَد يجد ووُجدَ يُوجَد » ، ولغة الشاعر متأثرة بلغة المتكلمين ، ومنها كلمة « الوُجود » . ألا تراه يقول بعد ذلك « ص ٢٥ »:

وهل سالب العُريان إلا مُنَبّه   على عدم الأشياء قبل وُجُودها ؟!

فمراد الشاعر إذنْ هو أن الاشتعال إذا كان في النار سبَّب خمودها لأن

(١) وجاء في مختار الصحاح « رجع الشيء بنفسه من باب جلس ، ورجعه غيره من باب قطع ، وهذيل تقول ارجعه غيره بالألف » . وقوله « من باب قطع » خطأ لا أعلم أحداً قاله غير المختصر للصحاح هذا ، على أن مصدره وحده يشبه مصدر « قطع » .

الخمود نتيجة الاشتعال ، فهو قد أراد مطلق الاشتعال والاتقاد ، ولم يشترط الكرم ولا الجودة .

٣ — وجاء في « ص ٢٥ » قول الغزي المقدم ذكره :

يقولون ما سِرْتَ ما يُتَّقى به مغانيك غاباتٌ خلَتْ من أسودها

ببناء « يُتَّقى » للمجهول الغائب ، ولا يتجه عندي له وجهٌ ، والراجح عندي « ما تُتَّقى به » للمجهول ، وباسناده الى المخاطب ، يعني : ما أطلقْتَ أو قدّمت ما يخشاك به الناس ، ويتحامون جانبك ، فحالُك كغابةٍ لا أسَد فيها ، يَجُوسُ خلالَها الشجاع والجبان وبنات آوى والثعلبان .

٤ — وجاء فيها قولُهُ :

فما يقتضي جَدْواكَ مُوردُ مِدْحةٍ لأسلافِك الأثمانَ قبل ورودها

بفتح الهمزة من « أسلافك » ولا وجه له عندي وإنما هو « إسلافِك » بكسر الهمزة مصدر « أسلَفَه الشيءَ » أي أقرضَه إياه بلا منفعة ، ومُراد الشاعر بالبيت هو أنّ ممدوحه لا يجعل جَدْواه مكافأة للشاعر المادح له ، بل يحسن إليه ابتداءً قبل أن يعلم ما لديه ، وهذا تأويل البيت الذي جاء قبله :

وجُدتَ ارتجالاً والغمامةُ طالما تكرّر يحدوها ضجيج رُعُودها

فالشاعر إذن لا يُسلِفُ الممدوحَ أثمان مَدْحِه قبل ورود الجدوى عليه .

٥ — وجاء في « ص ٣٧ » قول الشاعر المذكور :

فَمَهِّدْ عُذرَ مَن أمسى نَزيفاً بتركِ الكأسِ في كفِّ المُدِير

فقال الدكتور المحقق في الحاشية « النزيف : السكران » ولا أرى له موضعاً ، وإنما المُراد به العطشان ، الشديد العطش ، كقول الشاعر :

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها شرب النَّزيف ببرد ماء الحشرجِ

ثم إن الشطر الثاني لا ينصر معنى « السكران » ها هنا ، لأنّ الكأس تُركت في كفّ المُدير ، وتركها كذلك مَعْطَشَةٌ لمُسْتقي ، كما هو معلوم .

٦ — وجاء في «ص ٣١» قوله :

فلم يبقَ دينار سوى الشمس لم يَنَلْ ... ولم يَبْقَ غيرُ البدر في الناس درهمُ

وفي «ص ١١٧» قول القيسَراني :

قضيـة جائرة مالَهـا ... غيرُ مجير الدينِ مُستأصِلُ

والصواب في كلا البيتين «غيرَ» بالنصب لأنه مستثنى مقدّم ، وهو كثير في الشعر ولا يصلح للنثر المرسل .

٧ — وورد في «ص ٤٣» قول الغزّي في وصف القلم :

وأنّ الذي يَسقيه حِينَ يَمُجهُ ... لِجانٍ وعافٍ منه حتفٌ ونائِلُ

والصواب «تَسقيه» والذي تسقيه إياه هو الحبر ، فحين يُلقيه من فيه يكونُ حتوفاً للجناة ونوائل للعفاة . فلا وجه لِـ «يَسقيه» لأن الذي يسقيه هو الإنسان فكيف يمجُّه من فيه ؟

٨ — وورد في ص ٥٩ قوله :

وما مشيبُ المرء إلا غُبرَةٌ ... تعلّقتْ من ركض عُمرٍ قد غَبَر

بفتح الباء من «غَبَر» بمعنى «بقي» على الوجه الفصيح ، ولا وجه له ، والصواب «غبِرَ» بكسر الباء من باب «فرِحَ» أي أصابه الغبار ، فالعمرُ لما أصابه الغبار وهو سائر بقي من أثر ركضه الشيبُ الذي هو شعر أغْبَر ، والشيء يشبه أصلَه وهو معنى شعري مليح .

٩ — وجاء في «ص ٦٤» قوله :

ويَعجُمُ الطَلُّ ما يَخُطُّ على ... صفحتِه مَرُّ شمألٍ وصَبـا[1]

بجعل «يَعجُم» ثلاثياً من باب نصرَ ، ولا وجه له عندي ، لأن مُراد الشاعر أن

---

(١) أخذه منه بهاء الدين علي بن الساعاتي وزاد عليه فزاده جمالاً بقوله من مقطوعة طائية :

والطلّ في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير تقرأ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمامة تنقط

الريح بمرورها على الغدير تترك ما يُشبه الخط على مائه فينزل الطَّلُّ وهو المطر الضعيف فينقط ذلك الخطّ ، فالصواب إذن « يُعْجِمُ » الرباعي من « أَعجَمَ الخطّ » أي أزال إعجامَه بالنقط ومنه الحروف المعجمة كالباء والتاء .

١٠ — وورد في « ص ٦٩ » قوله :

ولما دخلتُ الريّ قلت لرفقتي خُذوا حِذركم من داغرٍ وخَؤُونِ

« داغر » بالغين المعجمة ، والصواب « داعر » بالعين المهملة وهو الخبيث والشاطر وهو من الدعارة أي الخبث والفسق ، والدُّعّار هم الشطار .

١١ — وورد في « ص ٨٨ » قول ابن منير الطرابلسي :

وكم له في كبِدي لسعةٌ يَرودها الدرياقُ من فيهِ

برفع « لسعة » والصواب نصبُها ، قال أبو البقاء الحسيني في كلّياته ـ ص ٢٩٩ ـ « واذا فُصل بين كم الخبرية ومميِّزها نصب مميِّزها نحو : كم في الدار رجلاً » والشاعر قد فصل بين كم ومميّزها . وقد كرّر الدكتور الفاضل هذا الضبط « ص ٥٣٠ » في قول الشاعر « هذا وكم للدهر عندي نكبةٌ » والصوا « نكبةً » .

١٢ — وجاء في « ص ٩٤ » قول ابن منير الطرابلسي نثراً : « يد يجريَ القدر باذهاب الجفا ، وتقذيذ ما في العين من قذى » .

ولا وجه لقوله « تقذيذ » عندي وإنما هو « التقذية » يُقال « قذّى ال تقذية أي أخرج منها القذى » كما في الصحاح ومختارهِ وغيرهما ، فهو من الأفعال الرباعية الثلاثية الأصل ، التي ضُعّفت عينُها للسَّلْب ، مثـ مرّضه تمريضاً وعلّله تعليلاً وقرّده تقريداً » .

١٣ — وورد في « ص ١٠٣ » قول العماد الاصبهاني : « وقد أثبتُّ م ما عقدتُ عليه خنصر الاختيار ، وثنيتُ إليه عنان الانتقاد » . وأسلوب ا المسجّع يستوجب « الانتقار » بالراء دون « الانتقاد » بالدال ، وإنْ كان ما

له في المعنى ، والانتقار يشاكل الاختيار ، قال الفيومي في « جفل » من المصباح المنير : والجَفَلى على فَعَلى ، (بفتح الكل من ذلك) وهي أن تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص ، قال طرفة :

نحن في المَشْتاة ندعو الجَفَلى لا ترى الآدبَ فينا ينتقِرْ

يُقال : دعا فلان الجَفَلَى لا النَقَرَى ، والنَقَرَى : الدعوة الخاصة ببعض الناس . فالانتقار الوارد في قول العماد الاصبهاني هو مصدر الفعل « ينتقر » الوارد في بيت طرفة آنفاً .

١٤ — وجاء في « ص ١٠٩ » قول القيسراني :

فلا تَحْفَلَنْ بصَول الذئابِ وقد زأر الأسَدُ الباسِلُ

بفتح الفاء من « تحفلنْ » والصواب كسرها ، قال الرازي في مختار الصحاح : « حَفَلَ القوم من باب ضَرَبَ » ، وقال الفيومي في المصباح : « حَفَلَ القومُ في المجلس حَفْلا من باب ضرب : اجتمعُوا » . ذكرنا ذلك للبرهنة على كسر الفاء من مضارع « حَفَل » لأنّ معنى « لا تحفِلنّ بكذا » : لا تهتم به ولا تُبالِه .

١٥ — وجاء في « ص ١١٠ » قوله :

أرى القَسّ يأمُلُ فوت الرماح ولا بُدَّ أن يضربَ السابلُ

وأرى صواب القَسّ « القُمُّس » أو « القُمُّص » كما جاء في « ص ١٥٨ » وهو قوله :

كما أهدَتِ الأقدار للقُمّص أسرَهُ وأسعَدُ قِرن من حَواه لك الأسرُ

قال الدكتور المحقق في الحاشية : ولعله يريد القمص صاحب طرابلس وكان ممّن أسره نور الدين ، انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩ » . قلت : هذا هو الصواب الذي بحثنا على المشاكلة بين اللقبين وتخطئة الرسم الأول .

١٦ — وجاء في « ص ١٢٤ » قوله :

إذا جاذبتهُنّ البوادي مَزِيّةً من الُحسن شبّهن البراقع بالنُقْبِ

بفتح النون وتسكين القاف من «النقب»، والصوابُ ضمّ النون وهو جمع «النِّقاب» بكسر النون . وهو القناع تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ، فالبراقع للبَدَويّات «والنُّقُب» للحضريّات ، وتسكين القاف من «النُّقْب» جمع النقاب جائز في النثر فضلاً عن الشعر .

١٧ — وجاء في «ص ١٣٧» قول القيسراني أيضاً :

بما بعطفيكِ من تيهٍ ومن صَلَفٍ مَنْ دَلَّ ذلك يا هذا على تَلَفي ؟

ولا نرى لاسم الإشارة «ذلك» موضعاً ها هنا ، والصوابُ «مَنْ دَلَّ دَلَّكَ» وهو من قولهم «دَلَّت المرأة دَلاً ودلالاً تغنّجت» . وكان القيسراني مغرماً بالجناس ، ولا يخفى ما بين الفعل «دلّ» و «الدلّ» المصدر من التجانس اللفظي .

١٨ — وورد في «ص ١٤٤» قوله :

ذاكَ على سفكِ دمي مُحبَبٌ أنا القتيـل مُغرَمٌ بِمَنْ قَتَلْ

برفع «مُغرَم» ، والوجه نصبُه لأنه حال من «القتيل» ، يعني أن حبيبه قتله وهو مغرم بذلك الحبيب . فان كانت النسخة الأصل قد جاءت بهذا الرفع فهـذا خطأ قديم .

١٩ — وجاء في «ص ٢٠١» قول العماد في ترجمة عرقلة الكلبيّ : «وله من قطعة كتبها الى ابن السّديد وقد سافر الى بغداد يطلب منه شُقَّة» بضم الشين وكسرها من «شقّة» ، والصحيح كسرها لأنها في الأصل مصدر ثلاثي للهيأة مثل «القِطْعة من كل شيء والرِّزمة من الثياب والخِرْقة من خرق الثوب ، والصِّبْغة من الصَّبْغ والطِّيلة من الطول» . والشِّقّة هي قطعة من النسيج طويلة ، أحسبها تسمّى اليوم ببغداد «طاقة» .

٢٠ — وجاء في «ص ٢١٧» قول عرقلة المقـدّم ذكره «ومن الشقيق جهنّمٌ لا تَحرِقُ» بكسر الراء من «تحرق» ، وورد في «ص ٣١١» قول المهذب الدمشقي «تُردِي شياطين الرجوم وتَحرُق» بضمّ الراء ، والصواب الثاني

دون الأول لأنه بمعنى «يُحرِق» الرباعي ، ولا يجوز كسر الراء إلا إذا كان «حرَق» بمعنى «حكّ» كحرَق نابَه على فلان : كناية عن شدة غيظه ولا محلّ له في البيت المذكور .

٢١ — وجاء في «ص ٢٣١» قول نصر الهيتيّ من هيت حوران «تُطوى وتُنشر والأدناسُ تَشمُلها» بضم الميم وكسرها كأنه من «شمَل العَنزَ يشمِلُها» أي غطّى ضرعَها بشيء يشبه المِخلاة ، ولا وجهَ لهُ هاهنا بعد قوله «وتُنشر» ، فالصواب «تشمَلها» بضم الميم وفتحها من «شمِلهم الأمر: كفرِح ونصَرَ أي عمّهم» كما جاء في قاموس الفيروزآبادي وغيره من معاجم اللغة .

٢٢ — وورد في «ص ٢٤٥» قولُ وُحَيش الأسَديّ «قوموا انظُروا حسنهُ أكبرُ» فقال الدكتور المحقق في الحاشية : «كذا في الأصلين ولعلها : فحُسنه ، ليستقيم الوزن» . قلت : ولا يسلم البيت مع ذلك من الزحاف ، والذي أراه أنّ ضميراً أسقطه الناسخ من الشطر وأن الأصل «قوموا انظروه حسنهُ أكبرُ» .

٢٣ — وجاء في «ص ٢٥٢» قول فتيان الشاغوريّ «ولا غروَ إنْ جادتْ جُفوني بمائها» بكسر همزة «إنْ» . والغَرْوُ : العجبُ فينبغي أنْ يأتي معه متعجَّبٌ منه مجرور بمِن ، وقد تُحذف للتخفيف والتلطيف ، فالصواب «ولا غروَ أنْ جادتْ ...» بفتح همزة «ان» لأنّ «أنْ» والفعل الذي يليها جاءا في تأويل مصدر مجرور في الأصل بمِنْ ثم حُذفت «مِن» للتخفيف ، والتقدير «فلا غروَ مِن أن جادَت» .

٢٤ — وجاء في «ص ٢٦٧» قول المنتهى الدمشقي :

يا أهل تنّيسٍ وتُونة قايسُوا ‏ ‏ ‏ كم بين طَرْزِكُمُ وطرْزِ الباري

وقال الناشر المحقق في الحاشية «في نسخة ح : طُرُزكم» . وأرى أن يضاف إلى قوله جملةُ «وهو الصواب» ، لأنه أراد جمع «طِراز الثوب» وهو عَلَمُه ،

ويجوز على بُعدٍ إرادته المواضع التي تنسج فيها ثياب تُونة وتنّيس على سبيل المجاز لأنها مصدر ذلك النسيج ، وضَبْط الناشر « الطرز » بفتح الطاء دون كسرها ترجيح بلا مُرجح ، وأحسب الفيومي صاحب المصباح التزم وحده الفتح .

٢٥ — وجاء في « ص ٣٢٢ » قول ابن الزغليّة :

فمَن يُنلوئك في هذا الأنام وفي   يمينك الماضيان السيف والقلمُ

بجزم « ينلوئك » بغير جازم ، وتلك ضرورة شعرية لا داعيَ لها ، فالشاعر فيما أرى ، سهَّل همزة « يناوئ » فصار « يناوِي » فالأصل « فمَنْ يناويكَ ... » ولا ضرورة معَهُ .

٢٦ — وجاء في « ص ٣٤٦ » قول المهذّب الدمشقي : « يُناغي النسائم بنغمة مزماره ، ورنة أوتاره ، ودساتين حناجر كالخناجر ، وألحانٍ أعذبَ من نقرات المزاهر » . فقال الناشر الفاضل : « الدستان في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من العُود أو ما يقابله في سائر الآلات » . ولم يُحِلْ في نقل هذا الشرح على كتاب لغةٍ حتى يسلم من تبعة النقل والعُهدة ، وأراه قد نقله من « المُنجِد » للناقل الأب لويس معلوف اليسوعي . وهو خطأ لا شك فيه ، والصحيح أنّ « الدساتين هي ما عليه أطراف أوتار العود من مقدّمه وهي كلمة فارسية » . وقيل إنّ عربيّها « العَتَب »[1] . وفي القاموس : « العَتَب ... والعِيدان المعروضة على وجه العود منها تُمدُّ الأوتار الى طرف العود » . وكلام المهذب بعينه ينفي أن تكون « الدساتين » أوتاراً ، ألا تراه يقول « ورنة أوتاره ودساتين حناجر كالخناجر » عَطف الدساتين على الأوتار وشبَّهها بالخناجر ، والأوتار لا تشبه الخناجر .

٢٧ — وجاء في « ص ٣٦٢ » قول الأمير يغمر بن عيسى : « وتَتَقضّى

---

(١) راجع الأغاني « ٥ : ٢٨١ » طبعة دار الكتب المصرية وفيه « ويده تصعد وتنحدر على الدساتين » .

أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار » فقال الدكتور المحقق في التعليق على الفرار : « كذا في الأصل ولعلها : الغِرار : القليل من النوم » . وأرى أنه « القَرار » (١) وهو ضد الحركة والانزعاج ، ومقتضى الحال لا يتحمل القليل من النوم ، كما دل عليه سياق الخبر ، وقد يكون غير « القرار » الذي ذكرناه ، إلا أنه لا يكون « الغِرار » الذي اقترحه الناشر الفاضل .

٢٨ — وورد في « ص ٣٦٥ » قول الأمير المقدم ذكره : « ومن حصان كحِصن ، أو بَرْق في مُزْن ، ومن حَجْر ذات حَجر . . . » . فقال الناشر في الحاشية « الحَجْر : الأنثى من الخيل » وفَتَحَ الحاء أيضاً ، والصواب كسر الحاء أي « الحِجْر » ، قال الفيومي في المصباح : « والحِجْر بالكسر أيضاً : الفرس الأنثى وجمعها حجور وأحجار ، وقيل الأحجار جمع الإناث من الخيل ولا واحد لها من لفظها . وهذا ضعيف لثبوت المفرد » . وجاء في القاموس بعد ذكره « الحجر » : « وبالكسر : العقل . . . والأنثى من الخيل وبالهاء لحن جمعه حجور وحُجورة وأحجار » .

٢٩ — وورد في « ص ٣٦٨ » قوله « والحجَلُ قد فارق نَبَجه ، وضيّع مدخله ومخرجه » والصواب « نَبَجه » كما ورد في « ص ٣٨١ » وهو في قوله « وعاين الدُرّاج مَدرجا ، ورأى نَبَجاً ، وعزم على النزول به » قال الناشر الفاضل : « وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لزّها الباز أصابت نَبَجا أو سَقَطَت لم تلقَ إلا مَدْرَجا »

نقل ذلك لشرح كلمة « النَبَج » وهو الصواب ، فيجب أن تضبط الكلمة الأولى كالثانيـة .

---

(١) ويؤيد هذا الرأي قوله بعد ذلك « فحينئذ قَرّ لنا القرار واطمأنّت بنا الدار » ، ففي الأول لاحت دلائل القرار » ثم حَقّ القرار .

٣٠ — وجاء في « ص ٤١٣ » قول سَعادة[1] الأعمى :

وحولهم عُزَّلٌ لو أنهم قصدُوا أضحى القنا وهو في لبّاتهم قَصَدُ

وجاء في « ص ٤٢١ » قوله أيضاً :

وينثني ولها في كفّه قَصَدٌ يثني عليه ثناءً غيرَ منفصلِ

بفتح القاف من « قصد » في البيتين ، وهو خطأ والصواب كسر القاف اسم جمع « القِصْدَة » وهي كِسْرة الرمح المكسَّر ، قال الفيروزآبادي في القاموس « والقِصْدة بالكسر : القطعة مما يُكسَّر جمعه (قِصَد) كعِنَب ورمح قَصِد وقَصيد وأقصاد متكسّر[2] » .

٣١ — وجاء في « ص ٤١٩ » قول سَعادة أيضاً :

ملوك جُور الأريحيّات مُذ نشَوا مُهودهمُ والمكرماتُ لهم قِمْطُ

بكسر القاف من « قِمْط » والصواب ضمّها لأنه جمع « قِماط » وهو خرقة عريضة تلف على الطفل إذا كان في المهد ، وسُكِّنَت ميم « القمط » جوازاً من أجل وزن الشعر ، ولا وجه للقِمط الذي تُشد به قوائم الشاة للذبح كما هو ظاهر للناظر .

٣٢ — وورد في « ص ٤٥٤ » قول ابن قسيم الحموي :

فأثار ذلك من زنادقة حَسَداً فسمّوا حُبّهم رِفْضا

بكسر الراء من « رفضا » والصواب فتحها ، لأنه مصدر « رفض » الثلاثيّ ولم يسمع فيه وجه كسر الراء ، وقد أطلق اصطلاحاً على طائفة معلومة وهم « الرافضة » .

(يتبع) مصطفى جواد

(١) ترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كما أشار اليه الشارح الناشر ، ولم يشر الى أنه ترجمه باسم « سعيد بن عبد الله الحمصي » في كتابه نكت الهميان في نكت العميان « ص ١٥٧ » . ونقل من الخريدة أيضاً .

(٢) كذا ورد قول الفيروزآبادي والصواب « مُكسَّر » لأن المتكسّر ما يتكسر بنفسه .

مقدمة ابن خلدون (*)

- ٢ -

ونترك الآن الكلام على ماشُبّه علينا من الكلمات والتعبيرات في هذه (المقدمة) على أن نعود إليها بعد أن نشير إلى بعض ما جاء من الأعلام مهملاً بلا ضبط ، ومضبوطاً على غير وجهه الصحيح . جمعناها الى بعضها ، وذكرنا صفحاتها في الطبعة القديمة ، وفي الطبعة الحديثة ، تسهيلاً المراجعة :

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور	
مُيورقة	: ٤٦	مُيورقة	: ٧٥	مَيُورقة (١)	بفتح وضم وسكون الواو والراء (فيلتقي فيها ساكنان)
مايرقه	: ٦٥	مايرقه	: ١٠٩		
مَنَرقه	: ٦٥	منرقة	: ١٠٩	مَنُورقه (١)	بفتح فضم فسكون ...
سِردَنية	: ٦٥	سِردَنية	: ١١٢	سَرْدَنية (٢)	بفتح .
هِرقلة	: ٦٥	هريقيلة	: ١١٢	هِرقلة (٣)	على ما في الطبعة القديمة
جَدّة	: ٤٧	جدّة	: ٧٦	جُدّة (٤)	بضم
سُفالة	: ٤٦	سفالة	: ٧٦	سُفالة (٥)	على ما في الصفحة الـ ٤٦ من القديمة .
سَفالة	: ٥٧				
مِدين	: ٥٧	مدين	: ٧٦	مَدين (٦)	بفتحه بعدها ساكن .

(*) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧٢ — ٦٨٠) .

(١) مَنُورقة ومَيُورقة : أولاها بالنون والأخرى بالياء : جزيرتان شرقي الأندلس .

(٢) سَرْدانية : جزيرة في بحر المغرب . وقال بعضهم : انها مدينة في صقلية .

(٣) مدينة ببلاد الروم .

(٤) جُدّة : فرضة مكة .

(٥) آخر مدينة تعرف بأرض الزنج .

(٦) مدينة بين المدينة والشام .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
شحر	٥٧ :	الشّحر	٧٧ :	الشّحر [١] على ما في القديمة
ظفّار	٥٧ :	ظفّار	٩٥ :	ظَفارِ [٢] بفتح وفاء مخففة
ودّان	٥٨ :	ودان	٩٦ :	ودّان [٣] بالدال المهملة المشددة
سُراه	٦٢ :	السُراة	١٠٣ :	السَراة [٤] بالفتح
لطة	٥٧ :	لطة	٩٦ :	لَمْطة [٥] بفتح فسكون
صمّان	٦٢ :	الضمّان	١٠٤ :	الضِمار؟ [٦] بكسر أوله
قفص	٦٣ :	القفص	١٠٥ :	القُفْص [٧] بضم فسكون
كُرمان	٦٣ :	كُرمان	١٠٥ :	كَرْمان [٨] بفتح فسكون. وربما كسرت كاف
ختل	٦٣ :	الختل	١٠٧ :	الخُتَّل [٩] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة
تبت	٦٤ :	التبت	١٠٧ :	التُبَّت [١٠] بضم اوله بعدها باء مشددة مفتوحة
بتر	٦٤ :	البتر	١٠٧ :	البُتَّر [١١] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة

١) صُقع علي ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .
٢) ظفارِ بمنزلة قَطَام وحذارِ : مدينة باليمن .
٣) ودّان هذه : مدينة بافريقية افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦ .
٤) السَّراة : جبل مشرف على عرفة .
٥) لَمْطة : أرض بأقصى المغرب سُمّيت باسم قبيلة من البربر .
٦) لم أجد الضمّان الواردة في الطبعة الجديدة ، وأما الصمان في الطبعة القديمة : فوضع من نواحي الشام بظاهر البلقاء . وما أحسب ابن خلدون أراده ، وهو يقول : . . . والاحساء ، وفي غربها الخطب والصمّان (على ما في الطبعة القديمة) والضمّان (على ما في الطبعة الجديدة) والأقرب أن يكون الضمار وهو موضع بين نجد واليمامة ولا سيما ان ابن خلدون يتابع كلامه هنا فيقول : وبقية أرض اليمامة .
٧) القُفْص : وردت في مادة (بلوص) من معجم البلدان ، مضبوطة بالحركات لا بالحروف : بضم القاف وسكون الفاء والقُفص : جيل كالأكراد وجبال القفص تعرف بهم .
٨) ولاية من بلاد فارس .
٩) كورة مما وراء النهر على تخوم السند .
١٠) بلد بأرض الترك .
١١) حصن ببلاد فرغانة .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور	
الصَغْد	٦٤ :	الصَغْد	١٠٧ :	الصُغْد[١]	بالضم
اسروشْنه	٦٤ :	امروشْنَة	١٠٧ :	امروشْنَة[٢]	بنون مخففة
فِرغانة	٦٤ :	فِرغانة	١٠٧ :	فَرغانة[٣]	بالفتح
مالِقة	٦٦ :	مالِقة	١١٠ :	مالَقة[٤]	بلام مفتوحة وقاف مخففة
المَنقَب	٦٦ :	المنكب	١١٠ :	المُنكّب[٤]	بضم اوله وكاف مشددة
المِرية	٦٦ :	المِرَية	١١٠ :	المَرِّية[٤]	بفتح وراء مشددة مكسورة
إشبيليّة	٦٦ :	أشبيليّة	١١٠ :	إشبيلِيَة[٤]	بكسر أوله وياء مخففة
غِرناطة	٦٦ :	غِرناطة	١١٠ :	غَرناطة[٤]	بالفتح
واداياش	٦٦ :	واداياش	١١٠ :	وادي آش[٤]	
سِرقَسْطة	٦٦ :	سِرقَسطة	١١١ :	سَرقُسْطة[٥]	بفتح اوله وضم ثالثه
جبْلة	٦٨ :	جَبْلة	١١٣ :	جَبَلة[٦]	بالتحريك
مصيات	٦٨ :	مصيات	١١٣ :	مِصياف[٧]	آخره فاء أو باء مصياب
عين زُربة	٦٨ :	عين زُربه	١١٣ :	عين زَربة[٨]	بفتح أوله
المَصيصة	٦٨ :	المصيصة	١١٤ :	المصّيصة[٩]	بتشديد الأولى

(١) الصُغد وقد تكتب بالسين . وهما صُغدان : صُغد سمرقند ، وصغد بخارى .

(٢) امروشنة أو اشروسنة كلاهما بالنون المخففة : بلدة كبيرة بما وراء النهر .

(٣) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تُركستان .

(٤) من مدن الأندلس .

(٥) مدينة بجزيرة صقلية .

(٦) مدينة بساحل الشام .

(٧) مدينة من أعمال اللاذقية بالساحل الشامي . وكانت حصناً للاسماعيلية .

(٨) عين زَربة أو زَربى : ثغر قرب المصيصة .

(٩) المصّيصة : وفي رواية مرجوحة بتخفيف الصادين : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
حُرّان	: ٦٨	حُرّان	: ١١٤	حَرّان [1] بالفتح وتشديد الراء
اللُّكام	: ٦٨	اللكام	: ١١٤	اللُّكّام [2] بالضم وتشديد الكاف
سَميساط	: ٦٨	سَميساط	: ١١٤	سُميساط [3] بضم أوله
هَيْت	: ٦٩	هَيْت	: ١١٥	هِيت [4] بالكسر
صَيْمَرة	: ٦٩	صَيره	: ١١٦	صَيْمَرة [5] بفتح أوله وياء ساكنة ثم ميم مفتوحة
خَوَنْجان	: ٦٩	خَونْجان	: ١١٦	خُونَجان [6] بالضم وفتح النون
البَنْدَقان	: ٧٠	البدقان	: ١١٦	بُنْدُكان [7] بضم أوله وثالثه
طَبَرْستان	: ٧٠	طَبَرْستان	: ١١٧	طَبَرِستان [8] بكسر الراء
مَهْرَجان	: ٧٠	مهرجان	: ١١٨	مِهرِجان [9] بكسر أوله وثالثه . وبكسر أوله وفتح ثالثه .
خوارَزم	: ٧١	خوارَزم	: ١١٨	خوارِزم [10] بكسر الراء
خَجَنْده	: ٧١	خَجَنْده	: ١١٨	خُجَنْدَة [10] بضم أوله وفتح ثانيه
هِرمِز	: ٦٣	هِرمِز	: ١٠٥	هُرمُز [10] بضم أوله وثالثه

* * *

(١) قصبة ديار مضر بين الرها والرّقة .

(٢) اللكام : الجبل المشرف على انطاكية . وهو مخفف الكاف في شعر المتنبي :

بها الجبلان من صخر وفخر أنافا ذا المغيث وذا اللكام

(٣) مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٥) موضع بالبصرة على فم نهر مَعقل .

(٦) قرية باصبهان .

(٧) من قرى مرو .

(٨) من بلاد فارس .

(٩) مِهرِجان : بكسر أوله وثالثه : كورة . وبكسر أوله وفتح ثالثه قرية في بلاد فارس .

(١٠) مواضع مشهورة .

وقعت الطبعة الجديدة في خطأين :

١ — أهملت ضبط أعلام كان من الواجب ضبطها .

٢ — سايرت الطبعة القديمة مسايرةً مطلقــة في ضبط الأعلام الأخرى . فأخطأت الجديدة في ما أخطأت فيه القديمة . وضبط هذه الأعلام ضبطاً تاماً صحيحاً ، كان ممكناً ، وإن كان متعباً ، وذلك بالرجوع الى دواوين اللغة ، ومعاجم الأعلام ، وكتب السير . وهو ما نرجو أن يكون في طبعــة مقبلة إن شاء الله .

عارف النكدي

ثلاثة أزهار في معرفة البحار

لأحمــد بن ماجد ، الملاّح العربي

توافرت الأبحاث الحديثة عن الرُّبَّان العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، فزاحت الستر عن آثاره المغمورة و وأظهرت ما له من فضل على حركة الاستكشاف في القرن الخامس عشر . وقد سبق لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن عرّفت بابن ماجد ، ونوّهت برسائله العديدة في الملاحة ، ولا سيما « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » . وكان المستشرق الافرنسي فرّان (G. Ferrand) قد نشر الكثير عن « أسد البحر المائج » ، وأوضح انتفاع البرتغاليين به في رحلاتهم ، وعرض للمصطلحات الملاحية العربية ، ورجع بها الى أصولهـا . وأخرج الأستاذ محمد ياسين الحموي عام ١٩٤٧ بدمشق دراسة مستوفاة احتوت جملة ما بلغه الاستقصاء عن هذا النوتي العظيم .

وتتوثّق معرفتنا بابن ماجد بهذا الكتاب الجديد الذي نشره في مطلع عام ١٩٥٧ معهد الاستشراق في المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي . وعنوان الكتاب المثبت على الغلاف هو : « ثلاثة أزهار في معرفة البحار » . أما العنوان المطبوع على الصفحة الأولى فهو :

«ثلاث راهمانجات المجهولة»

وقد جاء تحت هذا العنوان :

لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دي جاما

وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة

التي توجد في مكتبة معهد الاستشراق

عني بنشرها وتحقيقها وترجمتها

الى اللغة الروسية ووضع الفهارس

ثيودور شوموفسكي

ويبدو لي أن العنوان الثاني من وضع الأستاذ الناشر . ولعلّ الصواب فيه :

« ثلاثة راهنامجات مجهولة »

وفي القاموس المحيط : الراهنامج كتاب الطريق ، وهو الكتاب يسلك به الربابنة البحر ، ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها . وهو يقابل كلمة (Itinéraire) بالفرنسية .

والقسم الأوّل من الكتاب يتضمّن تصويراً فوطوغرافياً لهذه الراهنامجات ، وهي ثلاث رسائل مخطوطة منظومة شعراً . وأحسب أن القارئ العربي يود لو كانت هذه الرسائل قد نُشرت بالحرف الطباعي ، مع الاجتهاد باتمام نقصها ، واصلاح خطأ النسّاخين فيها ، وتذييلها بهوامش موضّحة تلقي الضوء على ما فيها من مصطلحات بحرية وفلكية ، وتضبط أسماء الأماكن وتحدّد مواقعها ، وتشير الى ما يقابلها في هذا العصر .

وقد ألحق الأستاذ المحقق بهذا القسم مصوّراً ملوّناً لمراحل الرحلات التي تضمنتها الرسائل ، كتب عليها : « صورة بحر الهند ولها البنادر التي ندخها أحمد بن ماجد » . وفي القاموس نَدَخَ : صدم ، يقول راكب البحر : ندختنا ساحل كذا ، وأندختنا المركب الساحل ..

ويطيب لي أن أطري الجهد الفذّ الذي اضطلع به الأستاذ الناشر في عمل هذا المصوّر ، ووضع الأسماء عليه في مواضعها المحققة أو الموهومة ، معتمداً في ذلك على بعض الباحثين أحياناً ، وعلى التحرّي الذاتي أحياناً أخرى . ويزيد من فضله أن المعاجم الجغرافية المتوفرة لا تذكر إلا القليل من هذه الأسماء . ومعجم البلدان لياقوت يرجع الى أوائل القرن الثالث عشر ، ولا نجد فيه سوى النزر من الأماكن الواردة في رسائل ابن ماجد .

ويخيّل إليّ ان الكسب العلمي من هذا المصوّر يزدوج لو أن واضعه الفاضل أرفق بكل اسم قديم مقابله في عرف الجغرافيين المحدثين ، إذن لكنا عرفنا مثلاً أن جزيرة الغور هي فورموزة ، وان الفالات ليست سوى جزر لاكديف ، وديبجات هي جزر مالديف (وكان ابن بطوطة يسميها جزائر ذيبة المهل) ، وان جزيرة القُمر هي مدغسكر[1] .

وليغفر لي الأستاذ الناشر أن أخالفه في تحقيق بعض المواقع ، كما أثبتها على المصوّر ، اجتهاداً منه أو اقتباساً . فقد جاء بين يدي رسالة ابن ماجد الأولى ذكر ساحل الهند الغربي ، وما عليه من الكُوَر والفُرَض ، بدءاً من جنوبه حتى شماله ؛ وقد عدّ عليه من الأسماء بالترتيب : مليبار (مالابار) وكبلن ، وجوزرات والسند ؛ ورُسمت كبلن مهملة الباء ، فأثبتها الناشر كَبَلَن ووضعها في جزيرة جاوة ، على آلاف الكيلومترات من الهند . والذي يتراءى لي أنها كَلْيَن ، ورسمها بالفرنجية Kalyan ، وهي الى اليوم قائمة شمال ساحل الملابار قرب بومباي . وغير بعيد عنها في الشمال تقع كورة الكُجَرات (Gujarat) ، ولا مجال للشك في أنها هي الجوزُرات ، وتليها بلاد السند .

(١) يذكر ياقوت في معجمه (المجلد السابع ، ص ١٠٩) أن القُمر جزيرة في وسط بحر الزنج ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها . ولا يزال اسم القُمر يطلق على مجموعة جزر صغيرة قائمة في شمال مدغسكر (Comores) .

ويبدو لي أيضاً أن مرفأ حَمِضَة وجزر الفُصَيليّات في البحر الأحمر قد رُفعت على المصوّر الى أواسط الحجاز ، وهي من ساحل اليمن الشمالي أو العسير . فالفصيليات تقع إزاء مرفأ شُقيق ، وتعرف الآن بالوَصَليّات . وأما حمضة فيذكرها ياقوت في أكثر من موضع ، ويقول انها في أرض اليمن من جهة قبلتها (١) ، وقد وضعها الأستاذ الناشر محل فرضة اللِيث جنوبي جُدّة . وهي الى ذلك مشكولة في فهرس الأماكن حَمَضَة ، وعند ياقوت بكسر الميم . وأرى من ناحية أخرى أن الالف واللام يجب إسقاطهما من كلمة القُلزُم في جملة « بحر القلزم العرب » المطبوعة على المصور فوق البحر الأحمر .

ويزدان القسم الأوّل من الكتاب أيضاً بدائرة الجهات الأصلية والفرعية بالنسبة الى مواقع النجوم ، استنتاجاً من رسائل ابن ماجد . وهي الجهات التي تدلّ عليها الابرة المغناطيسية أو الحُكّ (٢) . وقد ذيّل الناشر هذه الصورة بجملة لا تسلم من لبس ، فكتب : « ٣٢ خنّاً من الجدول أو دائرة الأرياح العربية » . والخنّ هنا هو الخانة أو الموقع ، ويستعملها ابن ماجد مجموعةً على أخنان ، وليس له بهذا المعنى أصل في العربية . والأرياح هي كالرياح جمع للريح . والقصد منها هنا مهابّها بالنسبة الى منازل النجوم والقمر . واصطلاح « دائرة الرياح » أو « وردة الرياح » مألوف عند المحدثين بمعنى دائرة الجهات (Rose des vents) ، وتنقسم الى ٣٢ قسماً .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على ترجمة رسائل ابن ماجد الى الروسية ، وعلى عرض لتصانيفه ؛ وينتهي بفهارس للمصطلحات الملاحية والأسماء الجغرافية والفلكية الواردة في الرسائل ، وجدول بالقوافي والأوزان الشعرية ، وثبت بالمصادر التي رجع اليها الناشر واعتمد عليها . وفائدة هذا القسم مقصورة على من يعرفون اللغة الروسية . وليس بوسعنا أن نعلّق عليه بشيء .

(١) المجلد ٣ ، ص ٣٤٢ ، المجلد ١٠ ، ص ٥٢٣ .
(٢) في القاموس المحيط الحُكّ : إبرة الملاحين .

أما الرسائل المصوّرة فلا يعسر على القاري الجزم بأنها متفاوتة الخطوط ، ومجانفة في أكثر أبياتها لأبسط قواعد اللغة وموازين العروض . وسيتحقق القاريْ بنفسه أن الخطأ فيها لا يقع وزره على النسّاخين - في الغالب - ، بل على صاحب الرسائل . وهي - إن صحّت نسبتها اليه - لا تشهد بأنه « شاعر القبيلتين » كما كان يجب أن يلقب نفسه . .

ولا ندري ما قصد اليه المؤلّف في نعته نفسه برابع الثلاثة ورابع الليوث في المقدمات التي استهلّ بها رسائله . ولعله أراد من سَبقه من البحارة المعاصرين ، أو أنه عَنى أجداده ، وكلهم ملاّح بارع .

واسم الرسالة الأولى « الأرجوزة السُفالية » نسبةً الى سُفالَة (Sofala) ؛ وهي الى اليوم مدينة على شفير افريقية الشرقية البرتغالية (موزامبيق) ، قبالة جزيرة مدغسكر . ويقول عنها ياقوت انها آخر مدينة تُعرف بأرض الزنج (ج ٥ ، ص ٨٨) .

وتستهدف هذه الأرجوزة هداية الربابنة عبر المحيط الهندي ، بين ساحل الهند وسواحل افريقية الشرقية ، وتبيان ما يقتضي ذلك من معرفة الاتجاهات (الأخنان) والقياسات والمراحل (المجاري) والطرق (الدير) . وهي تشتمل على ٨٠٥ أبيات من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله الذي أنشا الملا من عدم جلّ تعالى وعلا

ويضيق بنا المجال عن تسقّط زَلاّت المؤلّف في هذه الرسالة ، وتتبّع ما خالف به أقيسة اللغة وأبحر النظم ، حتى ليتردّى أحياناً كثيرة الى مستوى الشعر العامي الفج ، بالاضافة الى ما مسخه الناسخون وما استعمله الناظم نفسه من كلمات عامية أو أجنبية .

والحدس بأن المؤلف توخّى عن قصد فائدة جمهرة الملاحين ، فكتب لهم بلغتهم ، وخاطبهم وفق مداركهم ، وانه لم يرد أن يُخرج للمثقفين تحفة فنية

أو أدبية ، وان تسكين أواخر الكلم لبس إلا من دواعي هذه المحاولة في التبسيط ، أقول إن هذا الحدس يضعفه حنات أصيلة في النص ما كان تقويمها يحول دون الغاية المرجوة . ولعل ابن ماجد كان في الواقع خرّيت بحار ، لا صانع أشعار ، وإن رُويت له أبيات قليلة تسمو إلى مرتبة الشعر الجيّد .

وهذه بعض الأمثلة من أوائل الأرجوزة :

الى السواحلْ ونواحي القُمرِ — الى سُفالةْ استمع واخبرِ (ب٦)
مجراك في الجوزا معًا والنيرِ — على قَدَرْ ريحك في المسير (٨)
أو زَحْنٍ أو طوفان أو أمطارْ — فذاك بالتدبير بالأسفارْ (١٣)
واجرِ على السِماك ثم الكاثرْ — حتى يزيد الجاه اصبعْ وافرْ (٢٢)
موسمه السبعين في خروجهْ — وفي الثمانين يكون ولوجهْ (٢٥)
ولم يلج من سار في التسعين — إلا أن يكونْ في نادر السنين (٢٦)
تلقا به السُهيل والظليمْ — ستةْ ونصف كن به عليمْ (٢٩)
أربعْ أصابعْ في قياسِ واحدْ — وثلثْ أيضًا فوقهم زوايدْ (٣٢)
ورتّب المجرا مع القياسِ — في تتخة[1] البر فكن ذوا باسِ (٣٣)
ربان لا ينقصْ ولا يزيدْ — وردّ في الاكليل بالتوكيدْ (٤٢)
يزيد في المِرزَم في التريفا — اصبعُ إلا ربعُ يا حريفا (٦٦)
وقس على المعقل والمربّعِ — فهن معلوماتْ معكم ومعي (٦٩)
يكونْ ستةْ ثم الأربعْ اصبعِ — مثل قياس الأصل قسه واسمعِ (٧٩)
ان قياس النجوم الطالعةْ — والغاربات فيهم المنازعةْ (٨٠)
ذكرتهم لتعرف الأفلاك ! — وسيرذي الكواكب الزواكي (٨٣)

والقصيدة الثانية هي المَلَقية ، وذلك نسبة الى مَلَقَة (ملقة) ، أي شبه جزيرة مالاقا ، ويستعمل ابن ماجد هذه التسمية أيضًا . وهو يعدّد المراحل

---

(١) يستعمل ابن ماجد تَتَخَ بمعنى تَدَخَ أي رسا .

اليها من الهند ، فيقول في مقدمتها : من بر الهند الى بر سيلان ، وناك باري (وقد رسمها الناشر على المصوّر نال باري ، والأصل أصح ، وهي تُعرف الى اليوم بجزر نيكوبار) ، وشُمطرة ، وبر السيام ، وملمقة ، وجاوه ، وما كان في طريقهم من الجزر والشعبان ومناخهن وصفتهن والبلد فيهن ، وقفاصي (مضيق مالاقا) وغيرها ، وجميع ما يتعلق به المشارق والجنوب والفور والصين ، الى حدود الحرات الشارفة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف (امريكا ؟) .

وأبيات القصيدة ٢٧٣ ، وهي من الرجز أيضاً ، ومطلعها :

عزمت والعزم حميد في السفر لا سيما من بلدة فيها ضرر

وهي كأختها الأولى أشبه بزجل العوام ، وتماثلها في ضعف السبك وعوج اللغة وتعثر النظم ، وتتزيد عليها في إقحام ياخي (يا أخي) وياخواني (يا إخواني) في عشرات المواضع .. وحسب القارئ هذه الأمثلة :

إن كان في هذا النجوم نفسا شرّق وأشمِل لاتكونْ أخرسا (١٤)
وان تكن ياخي بعيد عنها (١٨)
وفيهم الضيق فكن بالعالمِ حتى تكون للطريق لازمي (٣١)
أرمي بها إن شيت أخذَ الماء والما تحت القطعة الكبرا (٩٩)
وفوقهن جبلاً معروفا له سنام وبه موصوفا (١٥٠)
والماء يسقي داخلْ كن عارفْ عندكْ وإلا اطرحْ ولا تخالفْ (١٩٠)

الخ ...

وآخر الرسائل وأقصرها هي الثانية ، وتصف طريق الملاحة بين جُدّة وعدن (حمضة ، القُصيليات ، سيبان ، الحُديدة ، أرض الحُصَيْب [زَبيد] موشج ، بُقعة ، جزيرة زُقَر ، عارة) . وتقع في ٥٥ بيتاً ، وبحرها الطويل ، ومطلعها :

سرت نسمة الفردوس من أرض مكة بريح الصبا فاشتاقت السير حلبتي

وهي بالجملة أقوم لغةً ، وأمتن رصفاً ، ولكنها لا تبرأ من سَقَط ، أمثال :

مسافتهم زامين والريح طيب كذا سنة للزقر كن متلفت (٣٢)

خصوصاً إذا ما كان ليلك ظلتي (٣٥)

* * *

وبعد ، تحمد العروبة للأستاذ شوموﭬسكي توفره على بعث تراثها ونشر مآثرها ، وقد بذل في إخراج هذا الكتاب أكرم الجهد .

(دمشق) الدكتور عزة النص

رسالة الغفران[1]

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

— ٢ —

٤ — أورد أبو العلاء ص ١٦٨ قول الأعشى :

محقبا زكرة وخبز رقاق وحباقا وقطعة من نون

وقال : « يعني بالحباق جرزة البقل » . وشرحت المحققة الحباق بأنه نبات طيب الرائحة[2] ، وما قاله الشيخ أولى وأجود ، يشهد لذلك أن البيت ورد في الأغاني ١١٩/٣ (طبعة الساسي) في جملة أبيات عزاها لحنين الجبري ، وروايته :

محقبا ركوة وخبز رقاق وبقولا وقطعة من نون

(١) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٧) .

(٢) الحباق وزن كتاب جمع حَبَق عن ابن خالويه كما في اللسان ومستدرك التاج ، والحبق أنواع كثيرة ذكرها الأمير الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية . (لجنة المجلة)

٥ — أورد الشيخ ص ١٨٥ أبياتاً من قافية عدي بن زيد ، فيها :

لم يعبه إلا الأداحي فقد وبَّـــــر بعض الرئال في الأعلاق

وضبطت المحققة (الأداحي) بتشديد الياء وضمها ، والصواب ـ هنا ـ تسكينها ليتزن البيت .

٦ — أورد أبو العلاء ص ٢٦١ أبياتاً من الرجز في وصف رحى اليد ، وهي :

أعددت للضيف وللجيران حربتين تتعـاوران

لا ترأمان وهما ظئران

وقالت المحققة في كلتا الطبعتين : « . . . أما الحربة فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، . . . . ويمكن أن تكون (حربتان) هنا مثنى حُرَيْبة تصغير حراة وهي الجانب والشق والناحية ، وقد يفرض ـ على بعد ـ أنها (رُحَيَّتان) لا (حربتان) مثنى رُحَيَّة مصغر رحى ، صحفها الناسخ فقدم الحاء على الراء ، وهذا الاحتمال الثاني لا قوة له ، لأن المعنى إنما يقوم على ما بين حجري الرحى من التلازم دون التراؤم » .

ثم عقبت ـ في الطبعة الجديدة ـ بذكر ثلاثة آراء في ضبط الكلمة وتوجيهها ، أحدها رأيي وخلاصته أنها (حَرِّيَّتين) مثنى حرّيّة ، نسبة للحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أي أن هذه الرحى متخذة من حجارة الحرة . والآخر للدكتور محمد يوسف ، أدلى به في كلمة عقب بها على مقالي في مجلة الكتاب عدد تموز (يولية) ١٩٥١ ، وخلاصته أنها مصحفة عن (جُرَيْبَتين) ، والثالث للأستاذ السيد أحمد صقر ، ذهب فيه إلى أنها مصحفة عن (خِدَبَّتين) .

وما كنت قلته ـ سنة ١٩٥١ ـ اجتهاداً قد وجدته مؤخراً منصوصاً عليه ، فقد أورد ابن قتيبة الأبيات ـ مع خلاف في بعض اللفظ ـ في المعاني الكبير ص ٣٧٦ وقال : « يعني رحيين من الحرّة » . وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

٧ — أورد الشيخ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ أبياتاً من قصيدة حائية متدافعة بين أوس بن حجر وعبيد بن الأبرص ، منها :

كأنّ ريقه لما علا شطبا أقراب أبلق ينفي الخيل رمّاح

وكانت المحققة ضبطت ـ في الطبعة الاولى ـ كلمة (شُطبًا) بضم الشين وفتح الطاء ، وشرحتها بأنها جمع شطبة وهي السعفة الخضراء . فصححتُ ـ في مقالي السابق ـ ضبط الكلمة ، وذكرت انها ينبغي أن تضبط (شَطِبًا) بفتح الشين وكسر الطاء ، أو بالتحريك ، بالاعتماد على القاموس المحيط واللآلي ومعجم البلدان ، وهو اسم جبل . فأصلحت المحققة ـ في الطبعة الجديدة ـ الشرح على ما جاء في مقالي ، على حين أبقت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة كالسابق (شُطَبا) .

٨ — أورد الشيخ ص ٢٧٦ بيتاً من رائية الأفوه الأودي ، وهو :

ريّشتْ جرم نبلا فرمي جرمها منهن فوق وغرار

ثم أورد منها ص ٢٨٩ بيتاً آخر وهو :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

وضبطت المحققة الروي في كلا البيتين بالسكون ، والصواب الضم ، فالبيتان من قصيدة مطلقة الروي (انظرها في ديوانه ص ١١ — ١٣ في مجموعة الطرائف الأدبية) وفيها :

يحلم الجاهل للسلم ولا يقر الحلم إذا ما القوم غاروا

ومثل هذا البيت لا يمكن تقييده لأنه موصول بواو الغائبين .

٩ — وقال ص ٣١٨ : «وكان سيبويه ينشد هذا البيت بكسر الهمزة :

أحب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب»

وضبطت المحققة (احب) الثانية بالنصب ، وكنت اقترحت ـ في مقالي السابق ـ ضبطها بالرفع . فدفعت المحققة هذا الوجه . وحجتي في الموضوع أن

المضارع إنما ينصب بعد حتى إذا كان مستقبلاً بالنسبة الى ما قبلها ، وأما إذا دلّ على الحاضر ـ كما هو الحال في هذا البيت ـ فالوجه الرفع .

١٠ ــ أورد أبو العلاء ص ٣٢١ قول علقمة بن عبدة :

يهدي بها أكلف الخدين مختبر   من الجمال كثير اللحم عيثوم

ثم قال : « فروي [يهدي] بالدال غيرِ معجمة » .

وضبطت المحققة (غير) بالكسر ، والصواب فتحها ، فهي منصوبة على الحال ، ولا يصح ـ هنا ـ الوصف إذ لا توصف المعرفة بنكرة .

١١ ــ أورد الشيخ ص ٣٢٣ بيتين من معلقة عمرو بن كلثوم ، وهما :

فما وجدت كوجدي أم سقب   أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها   لها من تسعة إلا جنينا

وذكر أن (شمطاء) ـ في البيت الثاني ـ يجوز عنده نصبها من وجهين ، ذكر أولها ثم قال يذكر الآخر : « والآخر أن يكون من ولاء المطر .. » ويغلب على الظن أن في الكلام سقطاً ، وأن الأصل « والآخر أن يكون [ولي] من ولاء المطر .. » ، ليستقيم وجه الكلام .

١٢ ــ أورد ص ٣٢٤ قول الراجز :

دار لظميا وأين ظميا   أهلكت أم هي بين الأحيا

والصواب (دار لظمياء ..) ليتزن البيت .

١٣ ــ ذكر أبو العلاء ص ٣٢٩ ميمية المرقش المفضلية (هل بالديار أن تجيب صممْ) ثم قال : « على أن مرقشا خلط في كلمه فقال :

ماذا علينا أن غزا ملك   من آل جفنة ظالم مرغِمْ »

وقالت المحققة في الطبعة الأولى : « الشاهد هنا في كسر حركة ما قبل الروي (مرغِمْ) وهو في بقية القصيدة بالفتح ، وهذا عيب في القافية سماه أبو العلاء هنا خلطاً » . وأما في الطبعة الثانية فقد أشارت إلى ما قالته في الطبعة الأولى ،

ثم أشارت إلى رأيي ، وخلاصته أن ما عناه أبو العلاء بالخلط هنا إنما هو مجيء البيت من البحر الكامل الأحذ المضمر ، لأن قوله (نة ظالمْ) وزنه (متفاعلْ) على حين أن سائر الأبيات من السريع . ولم تقطع المحققة بأحد الوجهين .

وقد انحرفت المحققة في التعبير عن رأيي ، فذهبت الى اني قلت : إن وزن البيت (مستفعلن مستفعلن متفاعلن) وهذا شيء لم أقله ، وهذه الصيغة التي جاءت بها ليست من الكامل الأحذ في شيء . وكل ما ذكرته ما سقته آنفاً من أن قوله (نة ظالم) وزنها (متفاعلن) . فخـرج البيت بذلك إلى الكامل المضمر الأحذ .

وهذه النقطة تحتاج الى شيء من البسط ، فالرأي الذي أبديته ما أزال مصراً عليه . والعيب الذي أشارت إليه المحققة هو ما يسمى في مصطلح القوافي (سناد التوجيه) ، ومن عادة أبي العلاء أن يسمي السناد ـ على مختلف أنواعه ـ باسمه الصريح ، كما فعل ص ٣٢٢ عندما عرض للسناد في معلقة عمرو بن كلثوم ، ثم إن مرقشاً قد ساند في معظم أبيات القصيدة بالضم والكسر ، فلم عـني أبو العلاء بذكر هذا البيت خاصة ؟ ومن هنا يبدو أنه إنما عنى ظاهرة في هذا البيت لا يشاركه فيها سائر الأبيات ، وهو ما ذكرناه .

١٤ ـ قال أبو العلاء ص ٣٥٥ يحكي قول ابن دريد في بيتين ينسبان إلى آدم عليه السلام في ثانيهما إقواء ـ : « فقال أول ما قال : أقوى » .

هكذا ضبطت المحققة هذه العبارة جعلت النقطتين بعد (قال) الثانيـة ، فجعلت (أول ما قال) ظرفا لـ (قال) الأولى ، والصواب وضعها بعد (قال) الأولى (قال : أول ما قال أقوى) فيكون (أول ما قال) ظرفاً لـ (أقوى) وداخلا في مقول ابن دريد . والمعنى أن آدم قد وقع في الإقواء أول ما أخذ بقول الشعر . ويشهد لما ذهبتُ إليه أن الشريف ابن الشجري أورد القصة في أماليه ١ / ٣٨٤ (طبعة حيدر آباد) ، وعبارته في حكاية قول ابن دريد :

«هذا شعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء» والقصة أيضاً أوردها ياقوت في معجم الأدباء ٨/١٨٦ وعبارته في حكاية قول ابن دريد : «أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله» ثم أنشد البيتين .

١٥ — أورد أبو العلاء ص ٣٥٨ أبيات النابغة التي يذكر فيها قصة الحية «ذات الصفا» وفيها قوله :

كما لقيت ذات الصفا من خليلها　　وكانت تديه المال غبا وظاهره

وكانت المحققة ضبطت (غبا) في الطبعة الأولى بكسر الغين ، وذهبتُ في مقالي ـ اعتماداً على ما ورد في الديوان ص ٦٢ (طبعة بيروت) ـ إلى أنها بضم الغين ومعناها : ما غمض من الأرض ، وهذا وهم قد وقعتُ فيه ، وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة ، والصواب أنها بكسر الغين ، والغِب أن ترعى الإبل يوماً وترد من الغد ، والظاهرة أن ترد كل يوم نصف النهار . وقد وردت الكلمتان في حكاية المعري نفسه للقصة ص ٣٥٦ وشرحتهما المحققة ثمة شرحاً صحيحاً ، إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي كنت انسقت إليه .

١٦ — عرفت المحققة ص ٣٦٦ بمذافر بن أوس قالت : «لعله عذافر الفقيمي ، أورد ابن قتيبة في (أدب الكاتب) رجزاً له وقال: «وليس بحجة ـ وهو فقيمي ، وكان بكري إبله إلى مكة»» . وهذا يوهم أن العبارة السالفة كلها من كلام ابن قتيبة ، وهو لم يقل إلا «وليس بحجة» ، وأما سائر الكلام فلناشر الكتاب الأستاذ محيي الدين عبد الحميد في حاشية الكتاب . انظر (أدب الكاتب ص ٣٩٩) .

١٧ — أورد أبو العلاء ص ٤٢٦ قول أبي نواس :

نديم قيل محدثهْ ملكٍ

وضبطت المحققة الثاء من (محدثه) بالضم ، والصواب الفتح ، لأن الأصل (محدَثهُ ملكٍ) وهذه الهاء مزيدة للمبالغة كما هي في علامة ونسابة وراوية لا للتأنيث ، وسكنها الشاعر للضرورة .

١٨ — أورد أبو العلاء ص ٤٢٧ بيتاً من الرجز وهو :

يا بيذره يا بيذره يا بيذره

وكانت المحققة في الطبعة الأولى جعلته نثرا ، وكنتُ نبهت إلى ذلك في مقالي ، ولكن هذا التنبيه أسقط في جملة ما أسقط من المقال . وأزيد الآن أن البيت من أبيات في جمهرة ابن دريد ١/٢٣ ، و ٢١٩ وروايته (يا بيدره) بالدال المهملة .

١٩ — قال الشيخ ص ٤٥٧ : « . . يقنت على رهط الإجبار ويسند إلى عبد الجبار » .

وشرحت المحققة القنوت بما لا يفهم منه المقصود تماما ، ومعنى العبارة — فيما نرى — أنه يقنت في صلاته ويدعو على الجبرية . وهذا ما كنت ذهبت إليه في نقدي الطبعة الأولى ، إلا أن المحققة لم ترضه ، وعلقت بقولها : « . . صرف القنوت إلى الدعاء على فئة لا وجه يرجحه . والسياق أن الرجل مراء كاذب التدين يتعبد على طريقة رهط الإجبار ، ويروي أو يعتقد على طريقة المعتزلة » . ويشهد لما ذهبت إليه ما أثر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يدعو في قنوته لأسلم وغفار ، ويدعو على عضل والقارة . وما قالته المحققة من أن أبا العلاء أراد أن يصف الرجل بأنه مراء صحيح ، ولا ينافي ما قلت ، لأن أبا العلاء وصفه بأنه « . . ما يزال يحتقب من المآثم عظائم . . » فهو يدعو على مخالفيه من الجبرية ويقول بمقالة المعتزلة ، مع عكوفه على المآثم ، وهي — في نظر المعتزلة — تجعل الإنسان لا مؤمناً ولا كافرا وإنما في منزلة بين المنزلتين .

٢٠ — قال الشيخ ص ٥٢٣ « . . فأخذ — أي ابن القارح — عن الكتابي سور التنزيل » .

وكانت المحققة في الطبعة الأولى ص ٤٨٩ ذهبت إلى أنهـا (الكتابي) مستظهرة بقول أبي العلاء : « وما عنيت بالكتابي من نسب الى توراة وإنجيل ،

دون من نسب إلى القرآن الجيل » . وذكرت أن نيكلسون قرأها (الكتاني) - بالنون - ولكنه أخطأ معرفة المعني بذلك ، وقالت المحققة : « وإذا صحت قراءة نيكلسون تعين أن يكون الكتاني هنا أبا حفص الكتاني أحد شيوخ ابن القارح . . . ولكن يبقى بعد هذا سؤال هو : لم عني أبو العلاء بذكر الكتاني دون بقية الشيوخ الذين ذكرهم ابن القارح وهم جميعاً من الأعلام ؟ »

وكنت علقت - في مقالي السابق - على هذا الكلام بقولي : « ما قرأه نيكلسون هو الصحيح ، وإن كان لم يوفق إلى معرفة المعنيّ بذلك ، وما قالته المحققة من أنه يتعين - إن صحت قراءة نيكلسون - كونه أبا حفص الكتاني صحيح أيضاً ، أما الجواب على سؤالها فغاية في البساطة ، وهو أن أبا حفص هذا شيخ ابن القارح في القراءة ، ويتضح هذا من قول ابن القارح في رسالته : « . . . وأبي حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد . . » وأبو بكر هذا إمام القراءة في المئة الرابعة ، وهو الذي اختار القراءات السبع المعروفة .

هذا ما كنت كتبته في تلك الأيام ، إلا أن مجلة « الكتاب » أسقطته فيما أسقطت ، ويظهر أن المحققة رأت أصول المقال ، فعلقت في الطبعة الثانية مرجحة قراءتها (الكتاني) قالت : « . . وهي بلا ريب أقوى وأرجح . . » .

والكتاني هذا ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذوا عن ابن مجاهد ، ثم ترجم له أيضاً وذكر من أخذوا عنه ، إلا أنه لم يذكر ابن القارح فيهم .

٢١ - أورد الشيخ ص ٥٣٤ أبياتاً قيل إنها لطفيل الغنوي يمدح رسول الله (ﷺ) ، وأولها :

وأبيك خيرٍ إن إبل محمد ... غُزُلٌ تناوح أن تهب شمال

هكذا جاء ضبطه في كلتا الطبعتين (خيرٍ) و (غُزُلٌ) وصوابه كما رواه المرتضى في أماليه ٢/١١٦ :

وأبيك خيراً إن إبل محمد ... عزل تناوح أن تهب شمال

ورواه أيضاً ابن رشيق في العمدة ٢/٩٨ ، وروايته :

وأبيك حقاً إن إبل محمد عزل نوائح أن تهب شمال

وشرح المرتضى البيت قال: «أراد: أبيك الخير، فلما طرح الألف واللام نصب. والعُزْل: التي لا سلاح معها، وسلاح الإبل سنامها وأولادها، وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها، فلما كان ذلك صادّاً عن الذبح، ومانعاً منه، جرى مجرى السلاح لها، فكأنه يقول: هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاح، من حيث كانت شحمة سمينة فهي كالعزل إذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها». وانظر حول هذا المعنى وأمثاله المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣٩١ — ٣٩٢ وسمط اللآلي ٦٣١ — ٦٣٢، وأساس البلاغة ولسان العرب (رمح).

٢٢ — قال أبو العلاء ص ٥٦٣ «.. ولا كالدينار في البيت الذي أنشده أبو عمر الزاهد ..»

وترجمت المحققة — في كلتا الطبعتين — لأبي عمر الزاهد هذا على أنه «أبو عمر الزاهد الدمشقي من كبار مشايخ الصوفية وساداتهم ..» وكنت استدركت في مقالي السابق على المحققة هذا وقلت: «ولا شأن لأبي عمر الزاهد هذا في رواية الشعر. والمراد هو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب» وعلقت المحققة على كلامي بقولها: «الذي بدا لي أن هذا البيت بأبي عمر الزاهد المتصوف أشبه ..». ولكن هذا لا ينهض حجة على ما قلنا، فالمعروف في الرواية واللغة إنما هو غلام ثعلب.

* * *

هذا ما عنّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران، وإني لأشكر من رأى فيما أبديت خطأ فردني إلى الصواب، كما أشكر المحققة الأديبة جهدها وخدمتها للأدب ولغة العرب.

راتب النفاخ

مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

خلال عامين من رئاسته (من ايلول ١٩٥٥ الى ايلول ١٩٥٧)

طبعت في دمشق عام ١٩٥٧ في ٢٢٨ صفحة من قطع الوسط
ويلي النص مجموعة من الصور التذكارية

رافق فخامة الرئيس الأول الفكرة التحررية منذ نشأتها وناضل مع المناضلين الأحرار في سبيل بعث القومية العربيـة وتحقيقها ، ولم يتطرق الى نفسه رغم وعورة مسالكها اليأس ولا خامرها الوهن ، جالد الإرهاب وصابر الاضطهاد ، وقارع بأس الاستعمار في عنفوان سلطانه ، وله في كل مرحلة من مراحل نضال الأمة ونهضتها مآثر حميدة وقبسٌ منيرٌ ، سارت بهديه البلاد ، وجنت بقيادته الرشيدة أطيب الثمرات .

أخلص فخامته لشعبه بأفعاله ، وصدقه القولـــ ، ولم يخلف له وعداً ، ولم يحنث له بعهد ، فهو له الصادق الأمين والمرشد الحكيم ، شارك شعبه في آماله وآلامه ، وأفراحه وأتراحه ، ومنحته الأمة ثقتها طوعاً ، وألقت اليـه باختيارها مقاليد أمورها .

ومن حسناته السماح بجمع هذه الخطب ونشرها للملأ للذكرى وشحذ الهمم ، وهي صفحات مشرقة نقية ، رائدها الصراحة والإخلاص والوفاء ، مجموعة خطب بل مجموعة حكم ألقاها فخامته خلال عامين اثنين في مناسبات مختلفة وأحداث هامة في حياة الشعب السوري ، وهي كما وصفها في مقدمته ناشر هذه المجموعة : « سجل وقائع ، وتوضيح مناهج ومبادئ ، ودعوة في كل مناسبة إلى النضال والعمل ، والدأب في سبيل حرية العرب ووحدتهم ، وفي سبيل تأمين حياة كريمة عزيزة ، موفورة الرخاء في ظل العدالة الاجتماعية لكل سوري ولكل مواطن عربي» .

أمد الله في حياته لأداء رسالته وتحقيق آماله .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب

رئيس المجمع العلمي العربي

انتهت مدة انتخاب معالي الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ ، فعقد المجمع العلمي العربي جلسة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وجدد بالإجماع انتخابه لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقمه ٣٥١٤ بتاريخ ١٢ كانون الأول سنة ١٩٥٧ .



أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ 〃 عز الدين التنوخي
١١ 〃 فارس الخوري
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 مرشد خاطر
١٥ الأمير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
١٦ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي سورية
٢ الاستاذ عمر ابوريشة 〃
٣ الأستاذ محمد سليمان الأحمد 〃
٤ الدكتور قسطنطين زريق 〃
٥ الاستاذ أنيس المقدسي لبنان
٦ 〃 بشارة الخوري 〃
٧ الشيخ سليمان ظاهر 〃
٨ الدكتور صبحي المحمصاني 〃
٩ 〃 عمر فروخ 〃
١٠ الأستاذ مارون عبود 〃
١١ الدكتور نقولا فياض 〃
١٢ الأب ا. س. مرمرجي الدومنكي فلسطين
١٣ الاستاذ قدري حافظ طوقان 〃
١٤ 〃 محمد الشريقي 〃
١٥ 〃 احمد حامد الصراف العراق
١٦ الدكتور داود الجلبي 〃
١٧ الاستاذ ساطع الحصري 〃
١٨ 〃 طه الهاشمي 〃
١٩ 〃 عباس العزاوي 〃
٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي 〃
٢١ الاستاذ كوركيس عواد 〃
٢٢ الشيخ محمد بهجة الاثري 〃

٢٣ الاستاذ محمد رضا الشبيبي العراق
٢٤ الدكتور مصطفى جواد 〃
٢٥ الاستاذ منير القاضي 〃
٢٦ 〃 احمد حسن الزيات مصر
٢٧ الدكتور احمد زكي 〃
٢٨ الاستاذ احمد لطفي السيد 〃
٢٩ 〃 خليل ثابت 〃
٣٠ الدكتور طه حسين 〃
٣١ الاستاذ عباس محمود العقاد 〃
٣٢ الدكتور عبد الوهاب عزام 〃
٣٣ الشيخ محمد الخضر حسين 〃
٣٤ الدكتور منصور فهمي 〃
٣٥ الأمير يوسف كمال 〃
٣٦ الشيخ محمد نور الحسن السودان
٣٧ الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٣٨ 〃 خير الدين الزركلي 〃
٣٩ 〃 علي الفقيه حسن ليبية
٤٠ 〃 حسن حسني عبد الوهاب تونس
٤١ 〃 محمد الطاهر بن عاشور 〃
٤٢ 〃 محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٤٣ 〃 عبد الحي الكتاني مراكش
٤٤ 〃 عبد الله كنون 〃
٤٥ 〃 علال الفاسي 〃
٤٦ 〃 احمد اتش تركية
٤٧ الدكتور علي أصغر حكمت ايران
٤٨ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند

٤٩ الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي الهند
٥٠ 〃 عبد العزيز الميمني پاكستان
٥١ 〃 يوسف البنوري 〃
٥٢ الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسة
٥٣ الاستاذ دوسو (رينه) 〃
٥٤ 〃 كولان (جورج) 〃
٥٥ 〃 لاوست (هنري) 〃
٥٦ 〃 ماسه (هنري) 〃
٥٧ 〃 ماسينيون (لويس) 〃
٥٨ 〃 أربري (أ ٠ ج ٠) بريطانية
٥٩ 〃 جيب (هـ ٠ ا ٠ ر ٠) 〃
٦٠ 〃 غليوم (الفرد) 〃
٦١ 〃 ريتر (هلموت) المانية
٦٢ 〃 هارتمان (ريشارد) 〃
٦٣ 〃 ديدرنغ (س ٠) السويد
٦٤ الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة
٦٥ الاستاذ فيليب حتي 〃
٦٦ 〃 غومز (اميليوغارسيا) اسبانية
٦٧ الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٦٨ الاستاذ موجيك (هانز) 〃
٦٩ 〃 ماهلر (ادوارد) المجر
٧٠ 〃 جبرايلي (فرنشيسكو) ايطالية
٧١ الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٧٢ الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك
٧٣ 〃 كرسيكو (يوحنا هتنن) فنلاندة
٧٤ 〃 رشيد سليم الخوري البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	〃 مسعود الكواكبي	〃
٤	الاستاذ الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 سليم عنحوري	〃
٨	〃 عبد الله رعد	〃
٩	〃 رشيد بقدونس	〃
١٠	〃 اديب التقي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	الاستاذ معروف الأرناءوط	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	〃
١٥	〃 محمد البزم	〃
١٦	〃 سليم الجندي	〃
١٧	الشيخ عبد القادر المغربي	〃
١٨	الأب جرجس شلحت	〃
١٩	〃 جرجس منش	〃
٢٠	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
٢١	الشيخ كامل الغزي	〃
٢٢	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
٢٣	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٤	الشيخ راغب الطباخ	سورية
٢٥	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٦	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٧	〃 محمد زين العابدين	〃
٢٨	الدكتور صالح قنباز	〃
٢٩	الشيخ سليمان الأحمد	〃
٣٠	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٣١	الشيخ سعيد العرفي	〃
٣٢	البطريرك ماراغناطيوس افرام	〃
٣٣	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٣٤	الأب لويس شيخو	〃
٣٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٣٦	الاستاذ جبر ضومط	〃
٣٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٤٠	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٤١	〃 بولس الخولي	〃
٤٢	〃 امين الريحاني	〃
٤٣	الامير شكيب ارسلان	〃
٤٤	الشيخ ابراهيم المنذر	〃
٤٥	الاستاذ جرجي يني	〃
٤٦	الشيخ احمد رضا	〃

٤٧	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	لبنان
٤٨	〃 فيليب طرازي	〃
٤٩	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٥٠	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٥١	الاستاذ نخلة زريق	〃
٥٢	الشيخ خليل الخالدي	〃
٥٣	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٥٤	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٥٥	〃 عادل زعيتر	〃
٥٦	〃 محمود شكري الآلوسي	العراق
٥٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٨	〃 معروف الرصافي	〃
٥٩	〃 طه الراوي	〃
٦٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٦١	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٦٢	〃 رفيق العظم	〃
٦٣	〃 احمد كمال	〃
٦٤	〃 احمد تيمور	〃
٦٥	〃 احمد زكي باشا	〃
٦٦	الدكتور يعقوب صروف	〃
٦٧	السيد محمد رشيد رضا	〃
٦٨	الاستاذ حافظ ابراهيم	〃
٦٩	〃 احمد شوقي	〃
٧٠	الشيخ احمد الاسكندري	〃
٧١	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٧٢	الاستاذ داود بركات	مصر
٧٣	الدكتور امين المعلوف	〃
٧٤	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٧٥	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٧٦	الدكتور احمد عيسى	〃
٧٧	الأمير عمر طوسون	〃
٧٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٧٩	الاستاذ انطون الجميل	〃
٨٠	〃 خليل مطران	〃
٨١	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٨٢	〃 محمد لطفي جمعة	〃
٨٣	الدكتور احمد امين	〃
٨٤	الاستاذ عبد الحميد العبادي	〃
٨٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٨٦	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٨٧	〃 زكي مغامز	تركية
٨٨	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٨٩	الاستاذ عباس إقبال	〃
٩٠	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٩١	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
٩٢	〃 هوار (كليمان)	〃
٩٣	〃 بوفا (لوسيان)	〃
٩٤	〃 ماسنيو	〃
٩٥	〃 كي (أ .)	〃
٩٦	〃 بلسه (رينه)	〃

٩٧ الاستاذ ميشو بللير فرنسة
٩٨ « مارسيه (وليم) «
٩٩ « مرجليوث (د٠س٠) بريطانية
١٠٠ « بفن «
١٠١ « براون (ادوارد) «
١٠٢ « كرينكو (فريتز) «
١٠٣ « هومل المانية
١٠٤ « ساخاو (ادوارد) «
١٠٥ « هوروفيتز (يوسف) «
١٠٦ « هارتمان (مارتين) «
١٠٧ « ميتفوخ (اوجين) «
١٠٨ « بروكلمن (كارل) «
١٠٩ » غولد صيهر (اغناطيوس) المجر
١١٠ » ماكدونالد (د.ب) الولايات المتحدة
١١١ « هرزفلد (ارنست) «
١١٢ « سارطون (جورج) «
١١٣ « كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
١١٤ « برتلز (ايفيكين) «

١١٥ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
١١٦ « لوبس (دافيد) البرتغال
١١٧ « جويدي (اغنازيو) ايطالية
١١٨ « نالينو (كارلو) «
١١٩ « غبريئيلي (اوجينيو) «
١٢٠ « مونته (ادوارد) سويسرة
١٢١ « هس (ج٠ ج٠) «
١٢٢ « كوفالسكي (ت٠) بولونية
١٢٣ « موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٢٤ « هورغرنيه (سنوك) هولاندة
١٢٥ « اراندوك (ك٠) «
١٢٦ « هوتسما (م٠ ت٠) «
١٢٧ « بوهل (ف٠م٠ب٠) الدانيمارك
١٢٨ « استروب (ج٠) «
١٢٩ « سترستين (ك٠ف٠) السويد
١٣٠ « سعيد ابو جمرة البرازيل



وفاة الأستاذ ا . ايفيكين برتلز
(١٨٩٠ _ ١٩٥٧)

نعى إلينا معهد الدراسات الشرقية في موسكو الفقيد ا ١٠١ ٠ برتلز أحد أساتذة المعهد البارزين ، والعضو المراسل للمجمع العلمي العربي ومجمع العلوم السوفياتي ، والعضو الفخري في مجمعي العلوم الإيراني والتركماني . وقد خسر بوفاته الاستشراق علماً من أعلامه العاملين . وكان الفقيد كأستاذه وصنوه المرحوم كراتشكوفسكي حجة في اختصاصه ، عميق الغور في أبحاثه ، شملت معارفه ودراساته رقعة واسعة من العالم الإسلامي الآسيوي ، وتعددت بقدرها خصائصه وتنوع مواضيعه .

ولد الفقيد برتلز في عام ١٨٩٠ ، وهو ابن طبيب من بطرسبورغ ، انصرف في بادئ أمره الى العلوم الطبيعية ، وألف على حداثته أبحاثاً فيها ، ثم درس الحقوق وانتسب في ذات الوقت الى المعهد الموسيقي ثم توجه أخيراً الى الاستشراق ، فدخل في عام ١٩١٨ الكلية الشرقية في جامعة بتروغراد ، وكان من أبرز أساتذته : بارتولد وكراتشكوفسكي وفريمان وروماسكيفتش وسميرنوف وغيرهم من أفاضل المستشرقين ، فنال منها شهادة الدكتوراه في علوم اللغات . وما كاد يتخرج من الكلية الشرقية حتى لمع اسمه وتبوأ مركزاً سامياً بين علماء الاستشراق وتميز عنهم بتعدد اللغات التي يحسنها ، وكان يتقن أربعاً وعشرين لغة غربية وشرقية استعملها في أغراضه العلمية . وعهد اليه في سنة ١٩٥٠ مديرية شعبة تاريخ الشرق السوفياتي وثقافته ، ومنح تقديراً لعلمه جائزة ستالين .

وقد يطول بنا سرد مفردات مؤلفات الفقيد البالغة (٢٣٠) بحثاً أكثرها باللغة الروسية ونقتصر على التعريف بموضوعاتها :

ترجم كثيراً من النصوص العربية والسنسكريتية والطادجيكية والبوشتو والاوزبكية والتركمانية والازربجانية والفارسية والتركية ، ووضع كتابين في قواعد اللغتين الفارسية والبوشتو ، وأشرف على وضع المعاجم التالية : رومي طادجيكي ، وطادجيكي رومي ، وأفغاني رومي ، وله دراسات واسعة عن تاريخ الأدب الفارسي والطادجيكي والاوزبكي والتركماني والأدب العربي في القرون الوسطى . وله أبحاث طويلة عن التاريخ الإسلامي والمذهب الصوفي .

ويعتبر الفقيد رحمه الله باعث النهضة الثقافية بين شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس . وكان في طليعة المستشرقين العاملين انتاجاً ومن أوسعهم آفاقاً ، وافاه أجله قبل أن يستنفد نشاطه وتفتر همته فأدّى على أكمل وجه رسالته ، وخلد بتصانيفه ذكره .

رحمه الله رحمة واسعة .



المرحوم الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

(١٨٩٧ ــ ١٩٥٧)

وفاة الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

فجع المجمع العلمي العربي في دمشق بعضو من خيار أعضائه المراسلين في فلسطين ، وهو المرحوم عادل زعيتر ، وخسرت الثقافة العربية بفقده أحد أعلامها العاملين ، كان رحمه الله من رجال القانون اللامعين والساسة المناضلين المخلصين ، اكتسب في فلسطين ثقة مواطنيه وتقديرهم .

ولد الفقيد في نابلس سنة ١٨٩٧ وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت وحصّل الآداب في الكلية السلطانية بالآستانة .

دُعي الى الجندية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ، وكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني . ولما اضطهد الترك العرب انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ، فحكم عليه الترك بالإعدام غيابياً سنة ١٩١٧ . ناب في عام ١٩١٩ عن نابلس في المؤتمر السوري ، وكان في جملة من نادوا بملكية فيصل على سورية ، وساهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد ، واشترك في جميع المؤتمرات الفلسطينية .

دخل في سنة ١٩٢١ كلية الحقوق في جامعة باريس ونال في سنة ١٩٢٥ شهادتها ، ثم عاد سنة ١٩٢٧ الى فلسطين وامتهن فيها المحاماة ، ودرّس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الاقتصاد السياسي والمالي والفقه الدستوري والدولي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق بالقدس . ثم استقال من التدريس وانقطع الى العلم والأدب والسياسة المثالية . انتخب في سنة ١٩٥٣ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق .

ونقل الى العربية من روائع المؤلفات الغربية الكتب التالية :

١ — روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو .
٢ — العقد الاجتماعي .
٣ — أصل التفاوت بين الناس .
٤ — إميل أو التربية لجان جاك روسو .
٥ — حضارة العرب .
٦ — حضارات الهند .
٧ — روح الجماعات .
٨ — السنن النفسية لتطور الأمم .
٩ — فلسفة التاريخ .
١٠ — روح التربية .
١١ — حياة الحقائق .
١٢ — الآراء والمعتقدات .
١٣ — روح الثورات والثورة الافرنسية .
١٤ — روح الاشتراكية .
١٥ — روح السياسة .
١٦ — اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لبون .
١٧ — ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية لبوتول .
١٨ — النيل .
١٩ — البحر المتوسط .
٢٠ — كليوپاترة .
٢١ — بسمارك .
٢٢ — نابليون .
٢٣ — ابن الإنسان .
٢٤ — الحياة والحب لإميل لودفيغ .
٢٥ — حياة محمد لإميل درمنغم .
٢٦ — تاريخ العرب العام لسيديو .
٢٧ — الآلهة عطاش .
٢٨ — حديقة أبيقور لأناتول فرانس .
٢٩ — كنديد أو التفاؤل لفولتير .
٣٠ — أصول الفقه الدستوري لإيسمن .

وله في الموضوعات التي ألقاها في معهد الحقوق بالقدس مؤلفات لم تطبع .
كان الفقيد في طليعة المترجمين ، أميناً في نقله ، سلساً في أسلوب إنشائه ، رحمه الله رحمة واسعة .

مؤتمر الأدباء العرب

خلال الأسبوع الثاني من هذا الشهر (٩ — ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٧) انعقد في القاهرة المؤتمر الثالث للأدباء العرب ، وقد دعت إليه جمهورية مصر ، ولبت الدعوة وفود الدول العربية ، وجعلت مقرها قاعة المتحف الزراعي ، واتخذت موضوعها « الأدب والقومية العربية » يتحدث فيه الأدباء من كل قطر عربي خلال ستة أيام كان أولها للافتتاح وآخرها للاختتام ، وفيما بينهما انقسمت الأحاديث إلى عناوين أربعة هي : الشعر ، والنثر ، والنقد ، وحماية الأديب ، وصلتها كلها بالقومية العربية .

وكان لا بد أن يذهب الأدباء مذاهب شتى في فهم هذه العناوين والتعبير عنها ومناقشتها ، يحملون في أقوالهم ثقافة قطرهم ومشربه ومنحاه ، يختلفون باختلاف أسنانهم من شباب ، وكهولة ، وشيخوخة ، ومن انصراف الى بعض الأدب القديم ومتانته وروعته إلى عكوف على بعض الأدب الحديث في سهولته وطرافة ألوانه وغرابة فنونه ، ومن نظرة إلى لغة العرب على أنها مقدسة كريمة من نبع عظيم ، ونظرة أخرى على أنها واسطة للتعبير ليس غير ، صالحة للتلوين والتبديل لعلها تشبه الألوان المستحدثة في لغات الغرب .

وكانت فرصة لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يستمع إلى شباب يجدون الشعر في أقوال لا يربط بينها وزن ولا يحدها بحر ، ولا يصلها معنى بمعاني الشعر العربي الموروث . ويستمع إلى آخرين يريدون العامية في الحديث والكتابة ، ويرون أن المسرحية أو القصة تسقط حين تكتب في الفصحى ، وتسمو إلى ذرى القوة حين ترسم في العامية ، ثم يستمع إلى نقد هذه الآراء كلها .

وكانت كذلك مناسبة فريدة أن يستمع مؤرخ العصر إلى ألوان الفهم عند الشباب وغير الشباب في موضوع القومية العربية ، فهي ترتبط حيناً بالدين ،

وحيناً بالعرق ، وأحياناً بالعنصرية والتاريخ . فبعضٌ يرى القومية في ترابط العرب ، وبعض يراها في اتحاد المسلمين ، وبعض يرى أن تكون في أهدافها إنسانية عالمية تجمع العالم بأقوامه وأقطاره .

وطبيعي أن يتحدث الأدباء عن نظريات الأدب المختلفة في قوالبه الجمالية والمثالية ، أو في خدمته وأنواعه ، وأن يتطرقوا إلى نظرية الفن للفن أو الفن للشعب . وأن يتساءلوا هل يرتفع الأديب إلى مستوى المثالية ، ويرفع إليه قراءه من الشعب ، أم ينزل من مستواه إلى أبناء الشعب ليفهموه ويدركوا أقواله .

وقد تحدث الدكتور طه حسين عن القومية العربية في الشعر القديم ، ورأى أن نتمسك بالقطامي والأخطل لأنهما عربيان ، ثم نظر إلى الأديب فجعل له الحرية في فنه وقوله لأن انتاجه وعبقريته ونبوغه مفخرة لقومه وأمته فلا سبيل إلى أن نفرض على الفنان طريقة أو منهجاً . ولكنه رأى أن يقوم الأديب بواجبه نحو أبناء وطنه يشعر بمشاعرهم ويتحسس بآلامهم ، وأن تنهض الأمة بواجبها نحو أدبائها . وتحدثت الدكتورة سهير القلماوي عن تطور القومية العربية وصلتها بالأدب فرسمت السبل الواضحة البيّنة لأدب المستقبل . وارتفع الأستاذ محمود المسعدي إلى ذروة النقد والفن المثالي في تحليل الأدب والقومية العربية وحرية الفنان وصلته بالإنسانية ، فكان مع زميليه اللذين ذكرنا واسطة العقد من هذا المؤتمر .

واشترك في الخطابة أدباء وعلماء كالشيخ محمد بشير الإبراهيمي عن الجزائر ، والأستاذ عبد الله كنون عن المغرب ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين عن العراق ، فكانوا في مباحثهم على هدوء العلماء وأناة الباحثين وعمق المفكرين الناقدين ، فاستحقوا إعجاب السامعين وثناءهم .

وكان من الطبيعي كذلك أن يتحدث المؤتمر عن الوعي القومي والسياسة التحررية والنضال الشعبي والحياد الإيجابي ، وموقف الأدباء العرب من هذه المفاهيم المستحدثة في ألفاظها ، القديمة في ألوانها ، وتطرقوا الى الأوطان السليبة والربوع المهددة كالجزائر الحبيبة وفلسطين المنكوبة ، وسورية ومصر

المجاهدتين ، مما استثار الحماسة والأسى والوطنية ، وانتهى بالسامعين إلى قرار الدفاع عن الوطن العربي بأقلام الأدباء والكتّاب للحفاظ على قوميتنا وتراث شعبنا .

ولا شك في أن هذا المؤتمر كان سوقاً للشعر والخطابة والحديث والمناقشة ، يستحق التسجيل على أنه يمثل بعض التيارات المعاصرة ، ويصور بعض الآراء المستحدثة في النصف الأول من القرن العشرين ، ولعل هذا ينبّه الأذهان إلى ضرورة البحث والدرس والتأليف ، ويدفع إلى التفكير بانشاء فروع في المجامع العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد لبحث هذه النظريات ، وتأليف كتب في تأريخ القومية العربية ومختارات للأدب العربي القومي نثره ونظيمه ، في أناة عاقلة وحكة بالغة ودرس طويل . فليس الارتجال طريقاً إلى صنع المناهج الدائمة ، وليس النقاش السريع من أسس البحث المنظم العاقل ، لأن نتائجه تذهب بذهاب الزمن الذي قيلت فيه . ولعلّ مجامعنا العربية تصغي إلى ندائنا فتقدم للشباب خميرة دراساتها وعميق فهمها وواسع اطلاعها ، لعلهم يستنيرون بهديها ويأخذون بنظمها ، قبل أن تستولي عليهم بعض منازع الفكر الأجنبي المرتجنة وثورات الأدب العصبية فتبعدهم عن جذور التراث الكريم ، وتربطهم بفرع من فروع التفكير التي لا تتصل بماضينا ولا تصلح لحاضرنا ولا تمكن للأسس السليمة في مستقبل أدبنا وقوميتنا .

الدكتور سامي الدهان

ابن سينا الشاعر

الشيخ الرئيس ، وإن كان رجل حكمة وفلسفة وطب ، اشتهر اسمه بها ، وقيس به سواه فيها ؛ حتى قال ابن عنين ، أديب الشام (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) يمدح الإمام فخر الدين الرازي ، في قصيدته اللامية :

غلط امرؤ بأبي علي قاسه هيهات قصّر عن مداه أبو علي [1]

(١) ديوان ابن عنين (طبعة دمشق ١٣٦٥) ص ٥٤ ، من كلمته التي أولها :

ربح الشمال عساك أن تتحملي خدمي إلى المولى الإمام الأفضل

هو أيضاً ، متظرف يطرب إلى الأدب ، ماجن لا يلهيه الدرس عن الشراب [١] والغناء .

رزق الشيخ ابن سينا صفاء الأدباء ، وتخلق بأخلاق أولي الظرف ، وقد أوتي حسن الطبع ، وبلاغة المنطق ، وفصاحة الكلام ؛ فتعاطى القريض ، وقال الشعر ، وعالج النظم . فقد حدثنا – وهو صادق – أن والده أحضر له معلم الأدب – وهو في غضاضة الغصن – وأنه بلغ ما بلغ أولو الكمال ، وهو في أوائل الصبا [٢] .

ثم أتيح له أن يظفر بخزانة نوح بن منصور ، التي فتحت له أبوابها في بخارى ، فقرأ ما بها من كتب العربية ، واطّلع على مجموعات الأدب ، ودواوين الشعر ؛ وهو لم يكمل ثماني عشرة حجة [٣] . وقد كان الشعر فسحته إذا ناب خطب ، وعوذه إذا اشتدّ زمان ؛ ينفس به كربه ، ويفرج بإنشاده همه [٤] ؛ فقد قال – وهو يعاني ما ينوء بأمثاله من الغبن – :

لما عظمت فليس مصر واسعي ... لما غلا ثمني عدمت المشتري

وقال – وهو في السجن – :

دخولي في اليقين كما تراه ... وكل الشك في أمر الخروج

وقد كان – على فضله – ماجناً (كما مرّ) ؛ قال تلميذه الجوزجاني : إنه كان يجمع تلاميذه في داره كل ليلة ، فكانوا إذا فرغوا ، حضر المغنون والشراب [٥] .

لقد بلغ هذا الطبيب الأديب – على كل حال – مرتبة أكابر أئمة اللغة المحققين ، وقصته مع أبي منصور الجبان ، شاهد عدل ؛ استطاع أن يكتب ما يصح

(١) اعتذر ابن سينا عن نفسه بأنه كان يشربها تداويا . (لجنة المجلة)
(٢) سرگذشت (طبعة طهران ١٣٣١ ش) ص ١ .
(٣) المرجع المذكور ص ٤ – ٥ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٥) سرگذشت ص ٧ – ٨ .

انتسابه إلى الصابئ ، والصاحب ، وابن العميد ، ونظم أشعاراً في الغريب ، وألف معجماً سمّاه (لسان العرب)[١] ، وصنف رسالة في أسباب حدوث الحروف ومخارجها ، وعمل القصيدة المزدوجة في المنطق[٢] ، ومعتصم الشعراء في العروض[٣] ، وله خطب وتحميدات وأسجاع كثيرة[٤] ، تنم على وفور فضله ، ونظم القصائد والأشعار في الزهد ، يصف فيها أحواله[٥] ، كما تضاف إليه أراجيز في الحكمة والمنطق والطب[٦] ، وله ـ كذلك ـ رسائل بارعة بالعربية والفارسية ، ومخاطبات ، ومكاتبات ، ومراسلات ، وهزليات . ويعدّون في رسائله (كتاب الملح في النحو)[٧] .

وقد استشهد الرضي الاسترابادي ـ المتوفى سنة ٦٨٦ ـ بشيء من شعره في باب الحروف العاطفة من كتاب (شرح الكافية)[٨] ، وهو قوله :

سيّان عندي إن برّوا وإن فجروا   إذ ليس يجري على أمثالهم قلم[٩]

وهذه منزلة رفيعة ، لم يرزقها إلا الأقدمون من فحول الشعراء ، قبل طبقة بشار بن برد .

---

(١) فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ٢٠٩ .
(٢) سرگذشت ص ١٦ .
(٣) المرجع المذكور ص ١٧ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٦) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ، تأليف يحيى مهدوي (طبعة طهران ١٣٣٣ ش) ص ٢٥ – ٨ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٧١ – ١٨٠ ، و ص ٢٢٥ .
(٧) سرگذشت ص ١٨ .
ومما يؤكد اهتمامه بالأدب والشعر ، ما قاله ابن ماكولا : انه رأى ديوان شعر الإمام أبي بكر الزاهد ، وأكثره بخط ابن سينا (تراجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣٢ ، ج ١ ص ١٩٥) .
(٨) شرح الكافية (طبعة استانبول ١٣١٠) ج ٢ ص ٣٧٦ ، وتراجع خزانة الأدب للشيخ عبد القادر البغدادي (مصر ١٢٩٩) ج ٤ ص ٤٦٤ .
(٩) البيت من كلمته المطولة التي أوّلها :
يا ربع نكّرك الأحداث والقدم   فصار عينك كالآثار تتهم
تراجع خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٥ – ٦ .

هذه نبذة صغيرة من مقام الرجل في العربية والأدب ، وهو الذي قال في كلمته التي منها الشاهد المذكور آنفاً :

أمّا البلاغة فاسألني الخبير بها   أنا اللسان قديماً والزمان فم[١]

أمّا الشعر فإنه ذو اللسانين ، وله شعر جيد في العربية والفارسية[٢] . ويوجد في أياصوفية ديوان صغير جدّاً[٣] عدّته ١٠ صفحات ، قوامه ١٨٨ بيتاً .

هذا وقد نسبت إلى ابن سينا أراجيز مختلفة ، وشعر كثير ؛ منـه الرائية الطويلة التي أوّلها :

بربّك أيهـا الفلك المدار   أقصد ذا المسير أم اضطرار

وهي ٥٠ بيتاً ، وقائلها ؛ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن شبل ، البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ[٤] . والأرجوزة التي ذكرها الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ في كتاب (حياة الحيوان) ؛ وقال : قيل إنها لابن شيخ حطين[٥] .

أما عينيته التي عني بها الناس قديماً وحديثاً ، فلعلّ أقدم أصولها الموجودة ، يرجع إلى حدود سنة ٥٨٠ هـ[٦] ، وهي عشرون بيتاً . وقد قال ابن أبي الوفاء ، المتوفى سنة ٧٧٥ هـ : إنها ١٦ بيتاً[٧] .

---

(١) ديوان ابن سينا (وستأتي صفته) الورقة ٤٣ أ .

(٢) خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٧ .

(٣) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ [الرسالة الثامنة] الورقة ٤١ أ - ٤٥ أ نسخة (اياصوفيه كتبخانه سي) وقد تفضل صديقنا المحقق الجليل الأستاذ مجتبى المينوي فأذن لي وصورتها على المايكروفلم الموجود عنده في خزانته بطهران ، وقد نخمن هو تاريخ كتابتها سنة (٥٨٠ - ٦٠٠ هـ [ظ ؟]) . ويراجع كتاب مؤلفات ابن سينا للأب جورج شحاته قنواتي (مصر ١٩٥٠) ص ١٢١ - ٢ .

(٤) ارشاد الأريب لياقوت الحموي (طبعة مرغليوث ١٩٢٧ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٤١) ونسبها إلى الشيخ ابن سينا من المتأخرين الشيخ محمد علي بن علي بن محمد عز الدين الشامي العاملي الحناوي الصوري المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ في الجزء الأول من كتاب (سوق المعادن والحلل وكل ما يسرّ الأفئدة ويقرّ المقل) نسخة الشيخ عبد الله السبيتي في الكاظمية . ويراجع - أيضاً - كتاب مؤلفات ابن سينا ص ٣٢١ .

(٥) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (مصر ١٣١١) ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٦) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ في اياصوفية / الرسالة الثامنة - الورقة ٤٤ ب - ٤٥ أ .

(٧) الجواهر المضية ج ١ ص ١٩٥ .

وقد رواها : محيي الدين بن عربي [١]، وابن أبي أصيبعة [٢]، وابن خلكان [٣]، ...الفعي [٤]، وابن كثير [٥]، والدميري [٦]، والبهاء العاملي [٧]، وعبد الرؤوف ...وي [٨]، وابن العماد [٩]، والسيد نعمة الله الجزائري [١٠]، والسيد عباس ...موي المكي [١١]، والحاج ملا هادي السبزواري الحكيم [١٢] وفئة كثيرة ...المتأخرين [١٣] .

وقد شرحها طائفة من الأفاضل [١٤]، وقلدها كثير من الشعراء، وردّ عليها

) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (مصر ١٣٠٥) ج ١ ص ١١٩ .
) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مصر ١٢٩٩) ج ٢ ص ١٠ - ١١ .
) وفيات الأعيان (مصر ١٢٦٧) ج ١ ص ٤٢٢ - ٣ .
) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ١٣٣٨) ج ٣ ص ٥٠ .
) البداية والنهاية (مصر ١٣٥٨) ج ١٢ ص ٤٢ - ٣ .
) حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٢٨ .
) الكشكول (مصر ١٢٨٨) ص ٢٤٥ - ٦ ، و (طهران ١٢٩٦) ص ٢٦٣ .
شرح قصيدة النفس (مصر ١٣١٨) ص ٢٧ - ١٤٤ .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مصر ١٣٥٠) ج ٣ ص ٢٣٦ - ٧ .
) مقامات النجاة (نسخة حكمت آل اقا . في طهران ، المخطوطة سنة ١٢٢٨) الورقة ١٤٤ ب .
) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (مصر ١٢٩٣) ج ٢ ص ٢٢٠ .
) أسرار الحكم (طهران ١٢٨٦) ص ٢٩٠ - ٣٠١ .
) دانشنامه ناصري (طهران ١٢٩٦) ص ٧٩ ، وتسع رسائل في الحكمة والطبيعيات (قسطنطينية ١٢٩٨) ص ١٢٩ - ١٣٠ ، وكتاب بلوهر وبوذاسف (بمبي ١٣٠٦) ص ٢٨٧ - ٨ ، ومنطق المشرقيين (مصر ١٣٢٨) المقدمة صفحة كب - كج ، ومطرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار لعبد الحسين الطبيب التبريزي (تبريز ١٣٣٤) ج ١ ص ١٤٤ - ٥ ، وجشن نامه الدكتور ذبيح الله صفا (طهران ١٣٧١) ج ١ ص ١١٦ - ٧ ؛ وشرح عينية ابن سينا بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ (طهران ١٩٥٤) ص ٣ - ١٢ .
) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ١٩٥ - ٧ ، وكشف الظنون (طبعة تركية ١٩٤٣) ج ٢ ص ١٣٤١-٢ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٥٢ - ٥ .

بعض أشياخ الحكمة ، وأجازها شرذمة من فحول الأدب والشعر ، وأكاد أميل الى القول ان خير من ردّ عليها ، الأديب العراقي ، الشيخ عبد علي الحويزي المشعشي ، البصري (١) ، في قصيدته المشهورة ، التي أولها :

لا ابتداء إلاّ له إنتهاء   جلّ من كلّ شأنه إبتداء (٢)

وقد كنت عنيت أنا بإخراج العينية وتحقيقها في مهرجان ابن سينا الألفي بطهران سنة ١٣٧٣ ﻫ ، كما وازنت بين أشعار الشيخ العربية والفارسية ، والظن كل الظن أن أشعاره الفارسية ـ وإن كانت قليلة ـ خير من شعره العربي ، وفور معان ، وجودة إنشاء ، وفصاحة بيان .

الدكتور حسين علي محفوظ



(١) هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي ، من أفاضل تلاميذ بهاء الدين العاملي . كان فاضلاً بارعاً ، شاعراً فائقاً ، من أشياخ الأدب في عصره ، ويعدّ من الطراز الأول في صناعة الكتابة ، قرّبه ولاة البصرة ، وأحسنوا إليه ، فلازمهم حتى مات بها في أواخر القرن الحادي عشر ، وخلف آثاراً جليلة كثيرة . له ترجمة في سلافة العصر للسيد علي خان المدني (مصر ١٣٢٤) ص ٥٤٦ – ٥٤) وريحانة الأدب لمحمد علي التبريزي الخياباني المدرس (طهران ١٣٦٦ – ٧١) ج ١ ص ٣٥٧ – ٨ ، وروضات الجنات للسيد محمد باقر الخوانساري (ايران ١٣٦٧) ص ٣٥٤ – ٥ ، وأمل الآمل لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ايران ١٣٠٧) ص ٤٨١ – ق ٢ ، وخلاصة الأثر للمحبي (مصر ١٢٨٤) ج ٣ ص ٤٢٧ – ٣٢ ، وفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي (طهران ١٣٢٩ ش) ج ١ ص ٢٣٧ – ٨ ، والتأسيس للسيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠) ص ١٨٢ .

(٢) أثبتها الشاعر نفسه في باب (حلي الأفاضل) من كتابه كلام الملوك ملوك الكلام ص ١٤٧ – ٨ نسخة دار الكتب الوطنية (كتابخانه ملي) بطهران ، المرقومة ٩٠٧ / مخطوطات . المكتوبة سنة ١٢٨٤ ﻫ .

(الفواهق)

في البيت السادس من عينيّة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، القائل :

فَخَالَفَهَا عَارِي الفَوَاهِقِ شَاسِبٌ أَخُو قَفْرَةٍ أَضحَى وأمسى مُجَوَّعَا

جاء التعليق على كلمة « الفواهق » في الحاشية كما يلي : « كأنه أراد بالفواهق جمع فهقة ، وهي عظم عند مركّب العنق ، ولكن جمعها فِهَاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحّفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين . » ولكن يردّ على ذلك أنّ النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . »

وأرى أنها « الفواهق » لا تصحيف فيها ولا لبس . وهي جمع « فاهقة » وقد جرت على القياس المعروف في جمع « فاعلة » . والفاهقة هي الفهقة ذاتها . يعزّز ذلك أن كثيراً من أنحاء الشوف بلبنان ولا سيما بلدتنا ، تجري فيها هذه الكلمة « الفاهقة » على ألسنة الكبار والصغار ، حقيقةً ومجازاً . ولست أذكر أني سمعتها من أحد إلاّ بهذا اللفظ . . يقول من يأتي الماء في يوم حرّ : « لقفت الماء على وجهي وفاهقتي » . ويقول المغيظ الحنَق : « امتلأتُ الى فاهقتي » .

إن المتكلمين باللغة العامية يغلب أن ينقلوا الألفاظ عمّن تقدّمهم نقلاً أميناً ، جيلاً بعد جيل . وفيما نعلم أن عائلتنا جاءت لبنان من نواحي الأردنّ من نحو أربعمائة سنة . وانّ أجدادنا من « هوازن » نزلوا في بعض أنحاء الأردن منذ الفتح العربي ، في مكان غير بعيد عن « الفَلْجَة » موطن الشاعر الحارثي . وعندي أنّ تلك الجماعات المتجاورة قديماً استعملت « الفاهقة » وتناقلتها بهذا اللفظ ، بدليل ورودها في قصيدة عبد الملك ، وبقائها محفوظةً متناقلةً عندنا الى هذه الأيام . وأرى أنهُ لا يقدح في هذا كون الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى .

وورد في البيت الثالث ص ٥٦٦ : « فما شَقَّ ضوءُ الفجرِ حتى تَصَدَّعَتْ » . وهنا استعمل فعل « شَقَّ » على نحو ما تحكيه جماعتنا باللغة العامية ، إذ تقول : « شَقَّ الضوء ، وشَقَّ الفجرُ ، وقمت شُقّة الفجر ، الخ » . لعلّ في هذا سنداً لذاك ؛ والله أعلم .

عارف أبو شقرا

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء

REVUE DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS
Vol. XXXIII, N° 1.

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق

صدر من مطبوعات المجمع

١ ـ أسرار العربية لأبي البركات الأنباري بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٢ ـ الجزء الثاني من ديوان ابن أبي حصينة (شرح أبي العلاء المعري) بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس .

مطبعة الترقي بدمشق